

الاسلام
والفنون الجميلة

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

الطبعة ١٦ خراج بيروت - لبنان : ٢٩٢٤٠٧٨ - ٣٩٣٤٠١٤
بروكينا : شروق - الكويت ٥٥٩٥١ KITEKOK LTD
بيروت - مصر ب . ٨٠٩٤ - مكتب : ٣١٥٨٨٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٧١٣
بروكينا : شروق - الكويت : ٥١٦٦٥٧٥ 20١75 ٢٨5

د. محمد علي مازة

الاسلام والفنون الجميلة

دار الشروق

المعلم للفنان حلمى التوبى

تقديم

على امتداد مساحة الفكر العربى والإسلامى ، تصاعد الجدل ، منذ سنوات ، حول موقف الإسلام من الفنون .. فنون السماع : الغناء والموسيقى .. وفنون التشكيل : الرسم والنحت والتصوير ..

تصاعد الجدل ، ولا نقول نشأ ، فلقد كان قائما هذا الجدل على امتداد القرون التى تمثل عمر حضارة الإسلام .. قائما بين الذين يقولون بإباحة هذه الفنون وحملها ، وبين الذين يكرهونها ، وبين الذين يصعدون بهقه الكراهة إلى حد التحريم ..

وهذا التصاعد لهذا الجدل حول موقف الإسلام من هذه الفنون قد تمثل فى تجاوز « القول » إلى « الممارسة والتطبيق » عند فصيل من قضائل الحركة الإسلامية المعاصرة ، يحكم بحرمة هذه الفنون .. فهناك بيوت حرمت فيها الأغاني ، وحطمت الصور .. وهناك نفر من غلاة الإسلاميين نزعوا من « بطاقات الهوية » صورهم الشخصية ! .. بل لقد قرأنا - منذ سنوات - عن طالس بجامعة الأزهر أثر مقاطعة الدراسة وهجران التعليم على الاستجابة لإدارة شئون الطلاب التى طلبت منه صورته كى توضع فى « السجلات » ؟ .. ناهيك عن الكتب التى ألقت ، أو أعيد طبعها ، والمقالات التى نشرت فى الجدل الدائر حول هذا الموضوع ..

وإذا كنا نتقدم بهذا الكتاب إلى مختلف الفرقاء الذين يختلفون حول موقف الإسلام من الفنون الجميلة .. فنون السماع وفنون الصور .. فنحسم .. ببراهين فكر الإسلام .. العقلية والعقلية .. هذا الجدل القائم في هذا الميدان .. فإننا نود أن ننجم .. في هذا التقديم .. على حقيقة .. ستبرهن عليها فصول هذا الكتاب ، وتؤكد عليها « ملاحقة » .. حقيقة : أن الإسلام والفنون الجميلة قد ظلما جميعا في أغلب هذا الجدل المستعر من حول حكم العلاقة بينهما ١٢ ..

● فهذه « الحرب » القائمة بين أنصار تحريم الفنون وبين أنصار حلها وإباحتها ، يحسبها الفريقان قائمة في ميدان واحد ، بينما هي .. في الحقيقة .. قائمة في ميدانين مختلفين .. فكأنما أظلم فرقائهما يحاربون بضراوة ضد طواحين الهواء ١٣ ..

فلو اتفق الفرقاء .. أهل الحلّ وأهل الحرمة .. على أخذ رأي الإسلام ، في هذه القضية ، من مصادره الجوهرية والنقية : الوحي الإلهي ، كما تمثل في القرآن الكريم .. والبيان النبوي للبلاغ القرآني ، كما تمثل في السنة النبوية الشريفة ، قولاً وفعلاً وإقراراً ، تلك التي جسدت البلاغ القرآني تجرية حضارية معيشة في عصر صدر الإسلام .

ولو أنهم ، جميعاً ، قد استرشدوا « بالثوابت » التي جاءت في « فكر » أهل الاجتهاد .. من أئمة فقهاء الإسلام .. ولم يقفوا ، فقط عند كتابات أهل التقليد ..

ولو أنهم استحضروا .. وهم يقرأون « فكر » أئمة الإسلام .. في هذه القضية .. الغلاصات الاجتماعية والمذهبية ووقائع التاريخ التي أحاطت بنشأة هذا « الفكر » .. لو حدث ذلك ، لالتقى الفرقاء في ميدان واحد ، ولانطلقوا من منطلقات متفقة ، ولتحاكموا إلى معايير موحدة .. ولو أن ذلك

قد حدث لما استعمرت هذه الحرب ، ولما تصاعد هذا الجدل ، ولما احتدم هذا الخلاف ، الذي بدد ويبدد الطاقات في الصراع حول موقف الإسلام من الفنون!..

ولو اتفق هؤلاء الفرقاء - من أهل الحلّ وأهل الحرمة - على تحديد المعنى الذي يقصدون عندما يقولون : « الفنون الجميلة ».. الجميلة في ذاتها، والجميلة في وظائفها وتأثيراتها ومقاصدها.. واتفقوا ، كذلك ، على نوع وماهية « الإنسان » الذي يريده عصرنا من أمتنا ، ليستطيع مواجهة التحديات الشرسة المعاصرة ، تلك التي تقف لنهضة الأمة بالمرصاد.. لو حدث الاتفاق على نوع وماهية هذا الإنسان الذي تحتاجه الأمة ، لنهض به من ومدتها الحضارية الراهنة ، لاتفق هؤلاء الفرقاء - أو على الأقل تقاربت مواقفهم من « نوع الفن الجميل » اللازم لتكوين هذا الإنسان.. فننون الدعة والبطالة والتواكل والاسترخاء والسطحية والتفاهة غير فنون الحمية والعمل والعزم والانتماء والنهوض.. والفنون التي تبنى الأمة المجاهدة لأبد مختلفة عن « فنون » الخنا والفساد والفسق والانحلال!..

... ولو حدث الاتفاق - بين فرقاء حلّ الفنون وحرمتها - على هذه الأسس والمنطلقات والمقاصد والغايات ، لتوحد ميدان النظر ، وموضوع البحث ، ولاتفق الفرقاء على كلمة سواء في هذا الميدان.. أو تقاربت مواقعهم على أقل تقدير!..

لكن شيئاً من ذلك لم يحدث .. فاستعرت الحرب ضد طواحين الهواء!.. واستهلك الجدل ، من الفريقين ، الكثير من الطاقات والامكانيات .. وكان هذا الكتاب ، الذي نأمل أن ينتقل بالقضية إلى موقع جديد..

كذلك ، نود أن نحدد - في هذا التقديم - ماذا نعنيه بمضامين المصطلحات

التي جعلناها عنواناً لهذا الكتاب... فذلك تقليد من تقاليد البحث العلمي ،
نحرص على أن نلتزم به فيما نقدم من كتابات إلى العلماء والباحثين
والقراء..

فنحن عندما نعنون بعضاً من كتبنا بعنوان : (الإسلام و...)^(١) ..
فلأننا نعني ونريد أن نقول : إن هذا هو اجتهادنا ورأينا وفهمنا للإسلام ..
ولم ولن يتبادر إلى ذهننا أن الرأي الذي نقدمه هو ذات « حكم الله » الفاصل
في الموضوع .. إنه اجتهادنا ، الذي لا يصادر الاجتهادات الأخرى باسم
الإسلام .. فليس لبشر حظ من هذا السلطان .. سلطان السلطة الدينية ،
التي تفرد ويتفرد بها شارع الدين ، سبحانه وتعالى ، ومُبلغ الدين ، صلى
الله عليه وسلم .. وهي السلطة التي نقضنا جواز إضفائها على البشر في أكثر
من كتاب!..

إنه رأي الإسلام ، كما نراه نحن .. وليس « حكم الله » الذي يجبّ
اجتهادات المجتهدين .. وإذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد
وصى صاحبه ، ذلك الذي ذهب على رأس الجيش محارباً ، فقال له : « إذا
حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فسلام تنزلهم على
حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم
لا .. »^(٢)..

(١) لنا بهذا العنوان عدة كتب ، منها : (الإسلام وحقوق الإنسان) و (الإسلام والمستقبل)
و (الإسلام والمرأة) و (الإسلام والسلطة الدينية) و (الإسلام والحرب الدينية) و (الإسلام
والوحدة الوطنية) و (الإسلام والعروبة) و (الإسلام وقضايا العصر) و (الإسلام وفلسفة
الحكم) .. إلخ ..

(٢) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن مساجدة والإمام أحمد .

إذا كان هذا هو شأن اجتهادات الصحابة ، بالنسبة إلى « حكم الله » ..
فأحسرى أن تكون هذه السنة مرعية ، وأن يكون على وعى بها الكساتبون
والقارئون على السواء!.

كذلك ، فإننا لا نتحدث في هذا الكتاب ، عن رأى الإسلام في مطلق الفن ..
فرخم أن الفن إنما يعنى مطلق الموهبة والمهارة .. إلا أننا نقصد إلى الحديث
عن رأى الإسلام في « الفن الجميل » على وجه الخصوص .

وإذا كان الفن هو : « التطبيق العملي للنظريات العلمية ، بالوسائل التى
تحققها .. وجملة الوسائل التى يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر
والعواطف ، وبخاصة عاطفة الجمال .. كالتصوير ، والموسيقى ، والشعر ..
وهو تعبير خارجى عما يحدث في النفس من بواعث وتأثيرات ، بواسطة
الخطوط أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ .. وهو مهارة تكتسب
بالدراسة والممارسة .. فإنه .. في مقامنا هذا .. ليس مطلق المهارة .. وإنما
المهارة التى يحكمها الذوق الجميل والمواهب الرشيقة ..

وإذا كان الجمال هو: اليهاء والحسن والزينة ، التى تقع .. كما يقول ابن
الاثير (٥٥٥ هـ - ٦٣٠ هـ - ١١٦٠ - ١٢٣٢ م) .. على الصور والمعانى .. فإن
خروج المهارات - أى الفنون - عن المقاصد الرشيدة ، يجريها من شرق
الاتصاف بالجمال !.. فابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ - ٩٨٠ - ١٠٣٧ م) -
الفيلسوف المسلم - قبل عشرة قرون - يرى أن جمال المقاصد والغايات
شرط في وصف المهارات بصفة الجمال ، فيقول : « وجمال كل شئ » وبهاؤه
هو أن يكون على ما يجب له » (٣) .. وعلى ذات الدرب .. وفي عصرنا الحديث -

(٣) انظر ذلك في (لسان العرب) - لابن منظور - طبعة دار المعارف - القاهرة و(المعجم الفلسفى)
- وضع مجمع اللغة العربية - القاهرة ١٢٩٩ / ١٩٧٩ م. و(المعجم الوسيط) - وضع مجمع =

يقول الناقد والأديب الروسي بلنسكى (Belnsky ١٨١١ - ١٨٤٨ م) «إن الحمل شقيق الأخلاق ، فهذا كان عمل فنى ما عيب حقيقة فهو أخلاقى بنفس المعنى . فإن الصور الفنية الإيحائية التى تعكس حياة الناس وسلها وحمالها تعرض الاحترام والحب والاعجاب المخلص ، وتعطى أنماط الأبطال الحقيقيين في الحياة للقرئ والمتفرج متعة وبهجة جمائيتين أما الصور السلبية ، فإنها تنشر مشاعر الاستنكار الأخلاقى والاحتقار التى ترتبط ارتباطا وثيقا في طابعها بمشاعر الازدراء والاحتقار التى نحسها عندما نترك ما هو قبيح ورسى* ومن ثم فإن وحدة الجمال والأخلاقى هى أساس الدور التربوى ودور التحويل الأيديولوجى اللذين تقوم بهما الفنون في الحياة الاجتماعية » (٤)

هكذا يتفق ما كتبه الفيلسوف المسلم ابن سينا - في (النحلة) - قبل عشرة قرون - مع ما كتبه الناقد الروسي بلنسكى - ونشرته (الموسوعة الفلسفية) السوفيتية - حديثا ، على اشتراط جمال المقاصد والغايات لإصفاء صفة الجمال على المفكرات - الفنون - « فوحدة الجمال والأخلاقى هى أساس الدور التربوى ودور التحويل الأيديولوجى اللذين تقوم بهما الفنون الجميلة في الحياة الاجتماعية وجمال كل شئ وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له » كما يقول ابن سينا وبلنسكى

ثالث هـى مصامير المصطنعات ، التى جعلناها عنوانا لهذا الكتاب

= ملحة انجليزية - القاهرة ١٣٩٢ ١٩٧٢ م و (المعجم الفلسفى) وضع يوسف كرم

ويوسف شلاله و مراد وهبة طبعة القاهرة ، ١٩٧١ م

(٤) (الموسوعة الفلسفية) - السوفيتية - بإشراف م دورمثن ، وب يوديس ترجمة سمير

كرم طبعة بيروت ١٩٧٤ م مادة « لجمال والأخلاقى »

فنحن نعى بـ « الإسلام » رأينا واجتهادنا ورؤيتنا لموقف الإسلام في هذه القصيدة « الفن » ، التي تحتهد لتقديمها رأي الإسلام ، هي الفنون « الجميلة » الجميلة في ذاتها كثمرة للمهارات الفنية العبقريّة للإنسان الفنان . والجميلة ، أيضا ، في المقاصد ، والغبات التي تنغيها في الحياة الاجتماعية بالمجتمع الذي أسس عليه .

* * *

كذلك ، فنحن لا نعى ببيان رأي الإسلام في الفنون الجميلة ، أن هناك « دعونا - دينية » ، هي تلك التي يرمى عنها بين الإسلام ذلك أن الدين « وضعه الله » ، يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - . «^(٥) والعلوم التي هو - الدين - موضوعها هي العلوم « الثمينة » .. بينما « الفن » إبداع بشري ، وهو داخل - عند تصنيف العلوم - في علوم الحضارة وفنونها ورعم « الصلوة » التي تقيمها عقيدة الفنان وأيديولوجيته بين فلسفتها وبين « الفن » الذي يبدعه ، فإن هذا « الفن » يظل غير « العقيدة » ، وإن وقعت المغامرة عند « التمييز » فلم تهبط إلى « الانحسار » التام ، كما لم ترتفع إلى « الاتمام » التام .

فالمر المتسق مع الإسلام ، هو ذلك الذي يحقق مقاصده في أمته وفي الإنسانية ، عندما تشيع فيه الصبغة التي صنعت بها عقيدته وميراثها أيديولوجيته إبداع الإنسان الفنان إنها خيوط غير مرئية ، تلك التي تربط « الوضع الإلهي » « بالإبداع الإنساني الجميل »

ونحن نستطيع أن نتكلم هذه الخيوط في « الفطرة الجمالية السليمة » .

(٥) انظر سيف الجرجاسي (التعريفات) - مادة الدين - طبعة القاهرة - سنة ١٩٣٨ م

التي لا بد وأن يزكيها دين الفطرة الإسلام! وفي بصوص الوحي الإلهي -
القرآن الكريم - تلك النى عرضت لقيمة الحمال ودوره في خلق الله ، وفي
حياة الإنسان ، وفي مهام العمران بالمجتمعات وفي البيان النبوي - السقة
الغيبوية الشريعة - التي حسدت مقاصد الوحي الإلهي في هذا الميدان
وفي الاجتهادات التي مثلت « ثوابت » الفكر الإسلامي في موقف الإسلام
من الفنون الجميلة ، عبر تاريخ الاجتهاد في حضارة الإسلام

تلك هي مهمة هذا الكتاب ، التي تحاول أن تنهض بها قصونه ، سواء
منها تلك التي درسنا فيها مختلف جوانب القضية أو تلك « النصوص »
التي سقناها في « المدمق » الذي دينا به هذا الكتاب ، والتي قدمنا فيها أطر
الاجتهادات التي عرضت للقضية ، والتي مثلت وتمثل معالم الاجتهاد
الإسلامي فيها عبر الزمان وعبر المكان وعبر المذاهب التي ابحاز إليها
هؤلاء الأئمة المجتهدون

مبنا استطاعت صفحات هذا الكتاب أن تحسم هذه القضية . قضية
موقف الإسلام من الفنون الجميلة وأن تصل بفرقاء النزاع المهتم
حولها إلى كلمة سواء . بنبغا الغاية من وراء الجهد الذي بذلناه فيه
والله من وراء القصد منه نستمد العون والتوفيق

دكتور : محمد عمارة

الفصل الأول

المسلم . . والجمال

من الناس من يحسب أن هناك خصومة بين الإسلام وبين الجمال ، تدعو المسلمين إلى التحم في النظرة إلى الحياة وإدارة الطهر إلى ما في الكون من آيات البهجة والريثة والجمال يحسبون ذلك ، فيقولونه ، أو يعبرون عنه بالسلوك المتحم إزاء آيات الجمال والفنون والابداعات الجمالية في هذه الحياة

ولو كان هذا المسلك الخشن والغليظ والمتجهم ، أثرا من آثار المحن التي يُمتحن بها المسلمون في مرحلة الاستضعاف التي يعيشونها ، ورد فعل للتحديات المعادية التي تفرض الهم والحزن على الوجدان الإسلامي المرهف، أو مظهر الغضبة لحرمان الله المنتهكة ، لكان ذلك مررا ومفهوما . لكن أن يكون هذا التجهم ، في نظر هذا الفريق من الإسلاميين ، هو مما يقتضيه المنهج الإسلامي في الحياة ، فذلك هو الذي يدعو إلى استجلاء مطلق ومفهوم المنهج الإسلامي إزاء جماليات الحياة

وحدير بالتنبيه أن هؤلاء الذين يحسبون قيام علاقة التلارم بين التجهم ومخاصمة الأحاسيس الجمالية وبين منهج الإسلام ، منهم الإسلاميون ،

الدين يحسبون - مخلصين - أن هذا هو الموقف الحق بالإسلام الصحيح في هذا الموضوع ، ومنهم الخصوم الذين يتحدثون من مسلك الغلظة لبعض الإسلاميين تجاه حمايات الحياة سبيلا للطعن على الإسلام - والقضية ، إذن ، أكبر من أن تكون « حيارا حشوا » لبعض من الإسلاميين هم أحرار في سلوكه ، وإنما هي قد عدت واحدة من المطامع التي يحاول نفر من خصوم المنهج الإسلامي استخدامها - ضمن مطامع أخرى - لنشويه صورته منهج الإسلام في الفكر والحياة - الأمر الذي يكسب الحديث عن هذه القضية أهميته ، ويجعل له مكانه الطبيعي في سياق الحديث عن معالم منهج الإسلام



وبأدى ذى بدء ، فإذا كانت « الحضارة » هي جماع إبداع الأمة في عالمي « الفكر » و « الأشياء » ، أي في « الثقافة » التي تهذب الإنسان وترتقي به ، وفي « التمدن » الذي يحسد ثمرات الفكر - في التصنيق - والتقنية - أشياء يستمتع بها الإنسان المتحضر - إذا كانت هذه هي « الحضارة » ، فإنها - كإبداع بشري - في منظور الإسلام وفي التجربة الإسلامية ، وثيقة الصلة بدين الإسلام كوضع إلهي ، نزل به الوحي على قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فعلى التجربة الحضارية الإسلامية ، كان « الدين » هو الطاقة التي اشمرت ، ضمن ثمراتها ، توحيد الأمة ، وقيام الدولة ، والإبداع في كل ميادين العلوم والفنون والآداب ، شرعية وعقلية وتجريبية ، كما كان الدافع للتفتح على الموارث القديمة والحديث للحضارات الأخرى

وإحيائها ، وغربلتها ، وعرضها على معيير الإسلام ، واستلهاهم المتسوق منها مع هذه المعايير ، لنصبح جزءا من سبيح هذه الحضارة الإسلامية ، التي وإن كانت إبداعا بشريا ، إلا أنها قد اصططعت بصيغة الإسلام الدين ، كما كانت ثمرة لمطابقة أتى مثلها وأحداثها عندما تجسد في واقع المسلمين

تلك هي العروة الوثقى بين بين الإسلام وبين حضارته بما فيها من إبداع شمل مختلف الميادين . الشرعية . والعقلية . والتجريبية والجمالية

بل إننا لو تأملنا في مكان « الهجرة » في دعوة الإسلام ودولته وأمتة . لرأيناها أكثر وأكبر من إبحار لإنقاذ الدعوة من حصار « الشرك المكّي » . لأن الهجرة في حياة هذه الدعوة لم تقف عند الهجرة من مكة إلى المدينة - ومن قبلها الحبشة - وإنما كانت ، أيضا ، هجرة من « البداوة » ، إلى « الحصار » ، من « البادية » إلى « الحاضرة » من حياة « الأعراب » التي تغلب عليها العنطة ويسود فيها الحفاء إلى حياة « العرب » الذين استقروا في « القرى » فغدا بأمكانهم أن يقيموا « مدينة » و « حصار » في هذه « القرى » كانت إنحارا حضاريا ، ينتقل بالجماعة البشرية من طور ترحال البداوة الذي يستحيل معه قيام « التراكم » في الإبداع - الثقافي والتعمدي - إلى طور الاستقرار والحضور في « القرى » الحاضرة ، الأمر الذي يتيح لإبداعات الإنسان أن « تتراكم » ، فتتعلو بناء حضاريا مناسبا للجهود الإبداعية المدور فيه

تلك هي « المكنة الحضارية » للهجرة في حياة دعوة الإسلام ، في عصر صدر الإسلام وتلك هي بدايات خيوط العروة الوثقى بين الإسلام الدين

- الوضع الإلهي - وبين الحاضرة الإسلامية - الإبداع الإسلامي لأمة الإسلام

وفي ضوء هذه « الحقيقة الحضارية » نفهم اصطفاء الله ، سبحانه وتعالى ، « مكة » ، أم القرى - وحاضرة الحواضر - مهبطاً للوحى بالرسول الجديد - وعهم مغرى كون « يثرب » - المدينة - وهى ثمانية القرى والحواضر - هى دار الهجرة وعاصمة الدولة ومنازة الدعوة . بل ونفهم سر استمساك القرى والحواضر الثلاث - المدينة ومكة والطائف - بالإسلام ، يوم ارتدت عنه ، أو عن وحدة دعوته ، البوادي بمن فيها من الإعراب ، عندما زلزل وهاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قلوب هؤلاء البدو والأعراب^{١٩} نفهم جميع ذلك في ضوء العلاقة العضوية بين هذا الدين وبين الإبداع الحضارى للإنسان الذى تدبّر بهذا الدين

بل ونفهم أن هذه العلاقة بين « الدين » وبين « الحاضرة » ، ومن ثم « الحاضرة » ، ليست خصيصة إسلامية ، وإنما هى سنة من سنن الله فى كل الشرائع والرسالات فكما اصططفى الله حاضرة مكة ، لتبدأ منها الدعوة . قائلاً لرسوله (ولتصدر أم القرى ومن حولها)^(١) أنباءاً فى قسراته الكريم ، أن هذا الاصطفاء إنما كان أطراداً لسننة إلهية (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون)^(٢) فأم القرى ، وحاضرة الحواضر كانت دائماً هى موطن الرسال والرسالات ، وذلك للعلاقة العضوية بين « الدين » و« الحضارة » ، على امتداد تاريخ الإنسان .

ولأن هذا هو دور « الهجرة » فى دعوة الإسلام وأمته ودولته ، ولأن هذه

هى وظيفتها الحضارية - الانتقال بالإنسان - للأعرابي - من غلظة البادية وتجهم خشونتها - إلى مدنية الحاضرة وتثقّف - تهذب - عقول أبنائها ... لأن هذا هو دورها ، وهذه هى وظيفتها الحضارية ، كان المسلمون يستعظمون ويستنكرون رجوع المهاجر عن « المدينة » وانتقاله إلى « البادية » مرة أخرى حتى لقد سموا هذا الانقلاب « ردة » وقرأنا فى مصدر السنة ذلك السؤال الاستنكارى الذى سألّه أحد الولاة لمن عاد فتعرب - رجع أعرابيا بعد هجرته - « أترددت على عقبيك ، تعربت ١٩ » (٢)

تلك هى بدايات الخيوط بين الإسلام الدين وبين الحضارة وهى بدايات لا يرشحها كى يوحى بالتجهم إراءها ، ولا بمخاصمة إبداعاتها الجمالية بحال من الأحوال ١

ثم إن « الجمال » الذى يظن بعض من الناس مخاصمة الإسلام إياه ، هو - إذا نحن تأملناه - بعض من آيات الله ، سبحانه وتعالى ابتقى أبدعها فى هذا الكون ، وأودعها فيه . إنه بعض من صنع الله وإبداعه ، سبحانه ، سواء وسخره للإنسان ، طالبا من الإنسان أن ينظر فيه ، ويستجلى أسرارهِ ، ويستقبل تأثيراته ، ويستمتع بمتاعه ويعتبر بعبرته (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ فأخرجنا منه حضا بخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان داية وجبات من أعصاب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه ، انظروا إلى ثمره إذا أثمر ويتعه ، إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) (٤) إنها آيات خلق الله ، يأمر الإنسان أن ينظر فيها

وأيمما يمم الإنسان بصره أو بصيرته أو عقله أو قلبه ، فإنه واجد آيات الله التى خلقها « رية » للوجود ، ودعاه إلى النظر فيها . (إنا رينا السماء

انديا سزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد (٥) (ورينا السماء
 انديا بمصابيح وحفظاً ، ذلك تقدير العزيز العليم) (٦) (ولقد جعلنا في
 السماء سروجاً وربانها للباظريين وحفظاً من كل شيطان رحيم إلا من
 استرق السمع فاصعه شهاب مبين) (٧) (افهم يبطروا إلى السماء فوقهم
 كيف بنيناها وربناها ومالها من قروح) (٨) .

فهذه « الرية » - التي هي آيات إبداع الله سبحانه وتعالى ، هي « رية
 جمال » يدعو الله الإنسان إلى النظر فيها من ونقور لنا أن خلقها ليس
 « للحفظ » فقط ، ولا « للمفعة » وحدها وإنما « للرية » التي أدعها الله
 ينظر فيها الإنسان ويستمتع بما فيها من جمال :

ومثل ذلك حديث القرآن الكريم عن آيات خلق الله التي أدعها له في
 صورة « الحيوان » المسحر للإنسان فليست « المنفعة » المادية وحدها
 هي العية من هذا الخلق والتسخير ، وإنما « الجمال » و « الزينة » أيضاً
 غايات يتغياها الإنسان في هذا الخلق الذي خلقه الله . (والاعام خلقها لكم
 فيها دفء ومافع ومها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين
 تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا باليه إلا بشق الأنفس ، إن
 رمكم لراءوف رحيم والحيل والبال والحمير لتركبوها وربية ، وبخلق ما
 لا تعلمون) (٩)

فليست « المنفعة المادية » فقط هي عاية خلقها وتسخيرها للإنسان ، إذ
 « الجمال والرية » كذلك « منفعة » محقة ولازمة أيضاً للإنسان ،
 والبحار ، التي سخرها حلقها للإنسان لا تقف منافعها عند المنافع
 المادية : اللحم الطري ، وسبح الاتصال - وإنما إبتغاء « الحلية » والزينة

والجمال ، ، أيضا ، من منافعها (وهو الذى سحر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) (١٠)

وعندما يشير الله سبحانه إلى بعض من نعمه وآياته يرى قرأه الكريم يلفت النظر إلى ما ينزل من السماء من ماء تمتلئ به الأودية فيحيى الأرض ويرينها للناظرين وإلى ما يستخرجه الإنسان ، فالسار من حلى الرينة والجمال ، المستخرجة من معاس الأرض . ففي الزرع طعام ، ورينة ، وفي الذهب والفضة نقد ، وحلية وجمال يتجمل به الإنسان (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابدا وما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يصرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يصرب الله الامثال) (١١)

إن هذا الجمال وتلك الرينة هى آيات الله ، أبدعها وبنها فى هذا الكون ، وأمر الإنسان أن ينظر فيها . إذن ، فالنظر فى هذا الجمال ، والاستقبال لآيات الرينة ، وفتح قنوات الاحساس الإنسانى على صبع الله هذا ، هو امتثال لأمر الله ، سبحانه وتعالى (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف نبيناها وزيناها) وهذا النظر ، فى هذه الآيات ، هو سبيل من سبيل الاستدلال على وجود الله ، وعلى كمال قدرته وبديع صعبه وما تعطير النظر فى آيات الجمال هذه - باصطناع الحصومة بين الإسلام وبين جماليات الحياة - إلا تعطيل للدليل على وجود الصانع المدع لهذه الآيات

ويستوى مع هذا التعطيل للنظر - بقمع أدواته وسد قنواته وإهمس

ملكاته .. « النظر » المجرب من « الاحساس » بآيات الجمال المودعة في هذه المخلوقات

والذين لا يرون في المحيط الذي يعيشون فيه غير « المنافع المادية » ، ولا ترى بصائرهم آيات الجمال في هذا المحيط ، لاشك أنهم معسبون وموصوفون بقول الله سبحانه (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون) (١٢)

كذلك فإن تنمية الاحساس الجمالي لدى الإنسان المؤمن هي تنمية للملكات والطاقات التي أنعم بها عليه الله وفي ذلك الشكر لله الذي أنعم بها وإن في استخدام هذه الملكات سبيلا للاستمتاع بما خلق الله في هذا الكون من آيات الزينة والجمال الشكر لله على نعمة خلقه لهذه الزينة ولهذا الجمال وصدق الله العظيم إذ يقول (وأما بعمة ربك فحدث) (١٣) وصدق رسوله الكريم عندما قال « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » (١٤)

* * *

وإذا كان المسلم - بحكم إيمانه وإسلامه - مدموا إلى التخلق بأخلاق الله، ليكون ربانيا ، ومطلوب منه أن يسعى ، قدر الطاقة ومع ملاحظة فوارق المطلق عن النسبي - أن يسعى كي يتحلى بمعاني أسماء الله الحسنى فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا أن « الحميل » هو من أسماء الله وفي الحديث الشريف « إن الله جميل يحب الجمال » (١٥) .. فالمتسلم ، إنس ،

مدعو إلى الاتصاف بالجمال ، الذى هو البهاء والحسن ، فى الفعل وفى الخلق ، وإلى تنمية إحساسه بالجمال الذى أودعه الله فى الكون ، جمال الصور وجمال المعانى على حد سواء ^(١٦) . فعلى ذلك « كمال » للإنسان و«سعادته» له أيضا . وكما يقول الإمام الغزالى « فإن كمال العبد وسعادته فى التخلق بأخلاق الله تعالى والتحلل بمعانى صفاته ، وأسمائه ، بقدر ما يتصور فى حقه . فيقرب بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان . لأن استعظام الصفة واستشرافها ينتعه شوق إلى تلك الصفة وعشق لذلك الحلال والجمال ، وحرص على التحللى بذلك الوصف إن كان ذلك ممكنا ، أو يبعث الشوق إلى القدر الممكن منه لا محالة . وبذلك يصير العبد ربانيا ، أى قريبا من الرب تعالى » ^(١٧) . عندما يكون حميلا ، يتصف ويستمتع بصفات وآيات الحسن والبهاء ، التى أبدعها البارئ - الجميل ، الذى يحب الجمال - .

ولأن هذا هو موقف المذهب الإسلامى من آيات الجمال والزينة المبنوثة فى الكون ، ومن صفات الحسن والبهاء المتاحة للإنسان فى هذه الحياة ، كانت دعوة القرآن الكريم الناس إلى اتخاذ الزينة عند كل مسجد أى إلى إقامة التلازم وعقد لقرآن بين التزين وبين دعاء الله واستئول بين يديه ، فكلاهما - التزين ، والصلاة - شكر لله سبحانه وتعالى (يا بى آدم خدوا زينتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) ^(١٨) . ونحن نلاحظ أن هذه الآيات تدعو الإنسان - مطلق الإنسان

(يابني آدم) - وليس المسلمين وحدهم ، وذلك تنبيهها على أن هذا هو مقتضى العطرة التي عطر الله الناس عليها ، طلب الزينة والجمال وتصحيحا للانحراف ابذى جعل العبادة رهيانية تدير الظاهر لصفات الحسن ومظاهر الجمال في هذه الحياة - (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) - إنه المذهب الإسلامي ، الذي يعيد الإنسان - في هذه القضية ، كما في سواها - إلى « فطرته » والتي يمثل التجميل والتزيين ملمحا أصيلا من ملامحها وفي حديث عائشة ، رضى الله عنها ، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم « عشرة من الفطرة قص الشارب ، وقصر الأطافر ، وعسل أنبراجم ^(٢٩) ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، والاستنشاق ومنتف الإبط وحلق العانة ، واغتصاص الماء ^(٣٠) » (٣١)

وإذا كان « المسجد » ، في العرف الإسلامي ، هو مطلق مكان السجود ، ولذلك كانت الأرض كلها مسجدا لأبناء الإسلام ، فإن اتخاذ الريئة هو فريضة إسلامية في الأوقات الخمسة التي يمثل فيها المسلم ، يوميا بين يدي مولاه ، أي أنها فريضة إسلامية في كل زمان - تقرينا - وفي أي مكان .

وهذه الفريضة يتأكد التبنيه عليها في أيام وأماكن الاجتماع ، كالجمع والأعياد وفي حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ما على أحدكم ، إن وجد سعة ، أن يتحد ثوبين لجمعته ، سوى ثوبي مهنته » ^(٣٢) و« من اغتسل - أو تطهر - فأحسن الطهور ، وليس من أحسن ثيابه ، ومس ما كتب الله له من طيب أو دهن أهله ، ثم أتى الجمعة ، فلم يبلغ ولم يفرق بين اثنين ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » ^(٣٣) .

ولا يحسن أحد أن « الزينة » التي يطلبها الإسلام ويأمر بها مقصورة على الثياب الحسنة ، والطيب ، وحسن التحمس ، فقط ، عند المشول بين يدى الله فى الصلاة . ذلك أن « الزينة » إذا كانت اسما جامعاً لكل شيء يُتزين به^(٢٦) فإن مصادر طيبها ، ومواطن الاحساس بها مبعثرة فى كل آيات الجمار التي خلقها الله وأندعها وأودعها فى سائر أسحاء هذا الوجود . وفى الجنات وأزهارها وورودها - بل إن فى مطلق السات - زينة للأرض ، تتزين بها ، وتتجسم ، كى يستمتع بها الإنسان . ولقد كان من دعاء النبى - صلى الله عليه وسلم - فى حديث الاستسقاء - « اللهم أنزل علينا فى أرضنا ريبتها »^١ وكانت دعوته إلى تزيين قراءه القرآن بالصوت الحسن « زينوا القرآن بصواتكم »^(٢٥)

فالحيل « ستر وجمال للرجل يتخذها تكريماً وتحملاً » ولا ينسى حق بطونها وظهورها وعسرها ويسرها .^(٢٦)

والثياب الجديدة ، نعمة لا يعف المسلم إراءها عند « منفعتها المادية » وحدها ، وإنما يبصر فيها « المعانى الحمالية » للثوب الجديد . وفى الحديث النبوى يرويه عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « من استجد ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته الحمد لله الذى كساى ما أوارى به عورتى ، وأتحمّل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى أحلق - أو قال ألقى - فتصدق به ، كان فى دمة الله تعالى وفى حوار الله وفى كنف الله حياً وميتاً ، حياً وميتاً »^١ (٢٧)

« الثياب » للمنفعة المادية ، و « للتجسس » كذلك . ولقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن الخطاب ، وقد رآه لابس ثوباً حديثاً « ألبس

جديدا ، وعش حميذا ، ومث شهيدا ، ويرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرة^١

ولقد مير الإسلام ما سب طلب الجمال ، والاستمتاع به ، عندما يحكمه الاقتصاد والاعتدال . وعندما يكون شكر ، لأنعم وأهب هذا الجمال ، وبين «الكبر» الذي نهى عنه الإسلام ، وتوعد مقترفيه . فعندما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي يرويه ابن مسعود - « لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر » . عند ذلك قال رجل

« يا رسول الله ، إني ليعجبني أن يكون ثوب غسيلة ، ورأس دهيذا ، وشراك نعل^(٣٩) جديدا - وذكر أشياء - حتى ذكر علاقة سمولة^(٤٠) - أقمن الكبر ذلك يا رسول الله^٤ .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا ، ذلك الجمال ، إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر من سفة الحق وأزدرى الناس^(٤١) »
فالجمال محمود . بل هو سعى على رب الاتصال بطرف من صفات الله المعلنة في أسمائه . وليس هو الكبر المذموم ، الذي هو تسفيه الحق وأزراء الناس.

وأیضا - فليس هذا الجمال هو « البغى » الذي ينهى عنه الإسلام . ولقد سأل الصحابي مالك بن مرارة الرهاوي ، رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال

« يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى ، فما أحب أحدا من الناس فصلني بشاركين فما فوقهما ! أفليس ذلك هو البغى^٥ .

﴿ فقال - صلى الله عليه وسلم - « لا » ، ليس ذلك بالبعى ، ولكن البغى من
طر - أو قال - سفه الحق وغمط الناس ﴾ (٣٢).

فالحرص على التجميل ، إلى حد التنافس في الاتصاف بمصناته والجمع
لؤهلاته ، ليس من « البغى » الذى ينهى عنه الإسلام

ولقد أباح لإسلام للمرأة أن « تتجمل بالخطاب » ، إظهار النعمة الجمال ،
وطلبا للزواج . وفي حديث الصحابية سبيعة بنت الحارث الأسلمية عندما
توفي عنها زوجها سعد بن خولة ، ووضع حملها منه ، وبرئت من نفاسها .
« تجملت للخطاب » - مدخل عليها أبو السنابل بن معكك - من بني عبد اددر
فقال لها - ما لي أراك متجملة لعك ترتجفين النكاح ^{١٩} إنك ، والله ، ما أنت
بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، فذهبت سبيعة إلى رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وسألت عن ذلك - عن « العدة » - وليس عن « التجميل
للخطاب » - فلم يكن ذلك موضع خلاف - قالت « ما هتاسى رسول الله بأنى
قد حلت حين وصعت حملى ، وأمرنى بدلترويح إن بدا لى » (٣٣)

بل لقد رأينا ، الجمال - والتجميل « نعم ، يدعو الرسول ربه أن يسبغها
الله على الصحابي أبو زيد الأنصاري ، فيقول في الدعاء له ، « اللهم حمكه
وأدم جماله » ^١ . ووجدنا القرآن الكريم يتحدث عن زينة الأرض وورخرفها
كمهمتين من مهام خلافة الإنسان عن الله في عمرائها . إن تستهى هذه
الخلافة ، نطى صفحة هذه الحياة الدنيا ، إلا إذا بلغ الإنسان الشأن في هذا
السبيل (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات
الأرض مما يأكل الناس والالعام حتى إذا أحدث الأرض ورخرفها وأرينت

وَضُنْ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْص بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٥) .

هذا هو منهج الإسلام إزاء آيات الجمال والحس والسهاء والزينة والرخرف التي أبدعها الله وأودعها في الوجود ، طالبا من الإنسان النظر فيها والاستقبال لتأثيراتها والاستمتاع بمتاعها ، شكرا لله على إبداعها ، وعلى إبداعه الحواس المستقبلة لتأثيراتها ، وتخلقا ببعض من صفات الله - سبحانه - الذي هو « حميل يحب الجمال » كقوله عليه الصلاة والسلام



ولقد كان منهج العبوة الذي تجسد في سلوك الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حاسة نفسه ، ومع أهله ، وفي تشريعه للناس - كمن هذا المنهج - بصدد التربية الجمالية ، ولسلوك الجمال - البيان العملي والممارسة التطبيقية للبلاغ القرآني ، الذي شرع الله فيه منهج الإسلام في هذا الميدان

فهذا الرسول ، الذي جاء رحمة للعالمين ، كان النموذج الأرضي للإنسان الذي يستشعر كل آيات الجمال في خلق الله ويلفت النظر بهذا السلوك الجمال ، ليغدو سمة متميزة في مذهب الإسلام وحضارة المسلمين

لم يكن الرسول « مترفا » ، ولا « مستغنيا » ، ولكن الله قد أغناه عن الحاجة ، بعد أن كان فقيرا عائلا (ووجدك عائلا فأغنى) (٣٦) لم يكن « الراهب » الذي يقيم الخصام بين مملكة الأرض ومملكة السماء ولا « الناسك نسكا أعجمي » ، الذي يدير ظهره لبلدي وحياتها ، كان يقبل الهسية ، ويهدي إلى الناس ، وكان يتصدق ، دون أن تتطلع نفسه أو تمتد بده

إلى شيء من الصدقات . كان له من المال - في « عدك » - ومن الغنائم - سهم وصفايا - ما يكفيه وأهله . كإمام للدولة، بمقاييس سيطرة تلك الدولة ودرجتها في الثراء ، في ذلك الزمان وذلك المكان . كان المال في يده لكنه لم يستول على قلبه في يوم من الأيام .

ونحن إذا شئنا أن نتلخص في سيرته - في خاصة نفسه - نمادج شاهدة على رقيه وارتقائه في السلوك الجمال ، والاحساس بالجمال ، فإنا واجدون الكثير

● يروى ابن عباس فيقول « كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتفاعر ، ولا يتطير ، ويعجبه الاسم الحسن » ١ (٣٧)

والدين يتأملون هذا السلوك ، في صمء قضيتنا ، يدركون أن التفاؤل إنما هو ثمرة لرؤية إيجابيات الواقع وجماليات المحيط . وهو صد التشاؤم ، الذي لا يرى صاحبه سوى القبح والسلبات . وأيضا هو غير السداجة ، التي لا يصر صاحبها لا الإيجابيات ولا السلبات ١ . فالتفاؤل موقف إيجابي من حماليات الحياة وإيجابيات المحيط

« ولا يتطير » لأن المتطير هو الذي لا يرى من الأشياء إلا جانب القبح والشؤم . على حين أن في هذه الأشياء - كل الأشياء - من وجوه الخير والجمال م يطرد التطير والتشاؤم عن الذين يبصرون هذا الخير وهذا الجمال

« ويعجبه الاسم الحسن » ١ أي أنه - صلى الله عليه وسلم - قد بلغ في استشعار آثار الجمال إلى الحد الذي جعله يلمحها حتى في الأسماء فهو يدرك أثر « العنوان » في الدلالة والإيماء على « المصموم والموضوع » ١ .

● وفي مأكله ومشربه - على بساطتهما - كان طائفا للحمال والاستمتاع .

« كان يحب العسل والحناء » (٣٨) و « كان أحب الشراب إليه الحلوى الباردة » (٣٩). فكان - على بساطة عيشه - دواقه يحب الطيب والجصيل من الطعام والشراب - وقصصه شهيرة عندما كانت تعاف نفسه خلال الطعام إذ لم تستطع نفسه عليه الصلاة والسلام

● وكما لبس البسط من الثياب فلقد « لبس جبة رومية » (٤٠) وعندما أهديت إليه حبة من دباج منسوج قبه الذهب ، لبسها - صلى الله عليه وسلم - وقام عن المنبر ، وجلس ولم يتكلم ، ثم نزل ، فجعل الناس يلمسون الحبة ويبتطرون إليها ! فلما حشى افتتانهم بأمثال هذه الأشياء سألهم * « أتعجبون منها ؟ »

* قالوا ما رأينا ثوبا قط أحسن منه !
* فقال - صلى الله عليه وسلم - لناديين سعد بن معاذ في الحنة أحسن مما ترون !^(٤١)

نفس لبس هذا الذي لم ير الناس ثوبا قط أحسن منه لكنه ذكروهم بما هو خير منه وأفضل عند الله !

● وعلى اختياره للباس في أدوات منزله وحاجيات أهله فلم يكن يعاف استخدام ثمن الأدوات ويروي حميد فيقول « رأيت عبد أس بن مالك قدحا كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - فيه صبة فضة » (٤٢)

● وعندما تحدث عن الطيبات التي يعشقها ويحبها في هذه الحياة ، كشف لنا عن ذوق راق ، يستشعر آيات الجمال ، ويستمتع بطيبات الحياة « حُب إلى من الدنيا النساء ، والطيب ، وجعلت قرعة عيني في الصلاة » (٤٣).

ومن الذى لا يرى الرقى في الشخص ، والسمو في الإنسانية محسدا في هذا النبي العظيم الذى جعلت قرعة عينه في الصلاة والذى كان يقوم الليل حتى تتورم قدماء والذى كان لا يحسب في شجاعة المقاتل ، حتى يقول عيسى بن أبى طالب - وهو من هو في الفروسية والقداء - في حبر شجاعة النبي المقاتل كنا إذا حمى الوطيس واحمرت الحدق احتمينا برسول الله ^{١٥} هذا النبي ، هو ذاته الذى يقف بالمسجد أثناء اعتكافه فيه للعبادة ، والمعتكف لا يغادر المسجد أثناء الاعتكاف - يقف على عتبة حجرة أم المؤمنين عائشة - وكانت حائضا لا يجر لها دخول المسجد - يقف على عتبة الحجرة ، بين يدي روجه ، ليرجل له ، شعره أثناء الاعتكاف ^{١٦} أى رقى هذا الذى تجسده تلك الصورة الإنسانية الجميلة ، التى يصورها حديث عائشة « أنها كانت تُرجل النبي ، وهى حائض ، وهو معتكف في المسجد ، فيداولها رأسه وهى وحجرتها » ^(١٦)

● ثم أى رقى في الجمال وانتجمل يبلغ ذلك الذى تحدث عنه خادمه أسير بن مالك عندما وصف هذا الجانب من حياته ، فقال « ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا أطيب من ريح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا مسست قط ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أزهر اللون ، كأن عرقه لبؤلؤ » ^(١٦)

ترى ، هل هناك في الجمال والجمال أرقى من ذلك الذى كان « كأن عرقه لبؤلؤ » ^{١٧} هذا هو رسول الله - حسد في عشقه للجمال ، وورقاؤه على درب منهج الإسلام في التربية الجمالية فكانت حياته ، في خاصة نفسه ، استحسيدا لسنه اننى علما إياها عندما قال « إن الله جميل يحب الجمال »

أما « سيرته الجمالية » في أهله ، فإنها هي الأخرى نموذج للجمال الراقى ، وللرقى الجمالى . تدهشنا اليوم . بعد أكثر من أربعة عشر قرناً فما بالنا إذا تصورناها في ذلك التاريخ البعيد ؟^{٤٧} .

● هذه عائشة ، زوجة رضى الله عنها التى تروى عنه الحديث ، وفلتى في الدين . كانت نعتشوق اللعب بالتمثيل نماثيل البنات ، والخيل ذات الأجنحة . وكانت تسمى خيل سليمان^{٤٨} . وكانت لها صواحب يأتينها ويلعبن معها في بيت النبوة . وعندما كان صواحبها يستحجن من رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يدفعهن دفعا رقيقا ليلعبن مع عائشة بالتمثيل^{٤٩} . تروى ذلك أم المؤمنين عائشة فتقول « كنت ألعب بالبنات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكى إذا رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم . يغمص مني ، فكان رسول الله يسرهن إلى يلعبن معي »^{٥٠} (٤٧)

● وهذا النبى ، الذى يأنيه الوحى . ويبلغ رسالة ربه ، ويقود الدولة ، ويرعى الأمة ، ويكاتب الملوك . ويقاقل صناديد الشرك ، ويبهض سعيير وجه الحياة على الأرض . هذا النبى يمارس « السباق » مع زوجته عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها . وأين ؟ ليس سرا وراء الحدران والأبواب المغلقة . وإنما في الطريق وهم مسافرون^{٥١} .

تروى عائشة حديث هذا الحلق الراقى في الاستمتاع بهجران الحياة ، وفي الأخذ بحظه من طيباتها ، فتقول « خرجت مع العبي في بعض أسفاره ، وأنا جارية^{٥٢} لم أحمل اللحم ولم أبدين ثقل اللباس تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال لي تعالى حتى أساقك ، فسايقته فساقته^{٥٣} فسكت عنى حتى إذا

جعلت النعم ومحدث ونسيته ، خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس
تقدموا ، فتقدموا ، ثم قال تعالى حتى أسألك ، فسانقته فسبقني ، فجعل
يصحك وهو يقول هده بتلك ، « (٤٩) »

ترى ، هل هناك ما هو أرقى من هذا السلوك الحميل الذي وإن حمل
صاحبه تبعات الدنيا بأسرها ، فإنه لا ينسى حفظه من جماليات الحياة ^{٥٠}
إننا نسوق هذا الطرف من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا
لنعجب أو نستدر العجب ، وإنما نقول إن هذا هو المنهج الطبيعي والوحيد
للإسلام في علاقة المسلم بجماليات الحياة منهج (ابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك) (٥٠)
فلقد أحسن الله إليك بآيات الحمال التي زين بها كل ما في الوجود

والإحسان المقابل هو أن نحسن الاستعداد لهذه النعم الألهية ، ومرتقى
بقنوات وأدوات وحوس استشعارها والاستمتاع بها شكرا له على ما أنعم
، وإقامة للتوازن والوسطية الإسلامية ، التي وإن أكرت الترف والاسراف
في الملذات فإنها تكرر الرهبانية ونسك الأعاجم وإدارة لظهر بصيحات الحياة
و تعطيل الحواس التي أنعم الله بها علينا عن أن تستمتع بطيبات وجماليات
هذه الحياة إنه المنهج الذي يعلمنا أن كل عمر يرتقى بإنسانية الإنسان ،
حتى ما كان منه « لهوا » يروح عن النفس ، و « ثدة » حلالا ، فهو « عبادة »
الله ، يستمتع بها الإنسان في دنياه ، وتكتب له بها الحسنات التي يوفاهها في
آخراه . يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم إن كل شيء يثو به
الرجل باطل إلا رمية الرجل بقوسه ، وتأديبه مرسه ، وملاعبته امرأته ،
فإنهم من الحق ! ^{٥١} ويقول « عجبت من قضاء الله عر وجل ، لمؤمن ،

إن أصابه خير حمد ربه وسكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر .
المؤمن يُؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته » (٥٢) فحتى في
العشق ، والحنان ، والملاعبة ، يُؤجر المؤمن ، لأنه يستمتع بطيبات الحياة
وجمالياتها

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقف - في هذا المنهج - عند تقريري
جابر بن عبد الله

- « أتزوجت ؟ »

- فيقول جابر نعم

- فيسأله الرسول « أبكرا ؟ أم ثيبا ؟ »

- فيقول جابر لا ، بل ثيبا

- فيقول - صلى الله عليه وسلم - « أقلأ بكرا تلاعبها » (٥٢) وتلاعبك !

تلك هي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التربية الجمالية .
وهذا هو منهج النبوة بإزاء جماليات الدنيا وزينة الكور وطيبات الوجود .
وهكذا تجسد هذا المنهج التنوي سنة عملية وأسوة حسنة ، صربنا عليها
الأمثال ، وسقنا لها النماذج الشاهدة من حياته الشريفة ، في خاصة
نفسه ، وفي علاقاته بأهله ، وفي توجيهاته للناس .

إنه منهج العشق الجلال للطيب من آيات الجمال ، ينفى - بل ويسنكر -
ذلك القبح الذي يفتعل الحصام بين المسلم وبين طيبات وجماليات هذه
الحياة . فالمسلم لن يستطيع أداء فريضة الشكر لله على نعمة الجمال ، إلا
إذا عرف ، واستمتع ، بأنعم الله في هذا الجمال !

الهوامش

- (١) الأنعام ٩٢ (٢) القصص ٥٩
(٣) رواء البخاري ومسلم والنسائي (٤) الأنعام ٩٩
(٥) الصافات ٧٠٦ (٦) مسند ١٢
(٧) الحجر ١٦ - ١٨ (٨) ق ٦
(٩) النحل ٥ - ٨

(وفي الحديث الشريف عن الحيل - « الحيل معقود بنو صيها انجر إلى يوم القيامة وهي لرجل نجر ولرجل ستر وجمال ، وعلى رجل ورد فأما اندي هي له ستر وجمال ، هرقل يتخذها تكريما وتجملأ ولا يندسى حق بطونها وظهرها وصرها ويسرها وأما اندي هي عنبه ورد هرقل يتخذها بدحا وأثرا ورياء ويطرا » رواء مسلم والإمام أحمد)

- (١) النحل ١٤ (١١) الرعد ١٧
(١٢) الأعراف ١٧٩ (١٣) الضحى ١١
(١٤) رواء الترمذي

(١٥) رواء مسلم والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد - وهو في إحدى روايات أنس مبررة لحديث أسماء الله الحسنى ، انظر الغزالي (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) ص ١٠٧ طبعة القاهرة سنة ١٩٦١

(١٦) انظر تعريف « الجمال » في (لسان العرب) لابن منظور طبعة دار المعارف القاهرة.

- (١٧) (التقييد الأسقى في شرح أسماء الله الحسنى) ص ٢١ ٢
- (١٨) الأعراف ٣٢، ٣١
- (١٩) التراجم معرّف ترجمة - بضم الداء وسكون الراء وضم الجيم - عُقْد الأصابع وحفاصلها كلها أو هي خطوط الكف التي يترسب فيها الغبار
- (٢٠) انقصاص الماء من معانيه الاستعجاء
- (٢١) رواه النسائي (ولقد ذكر راوي الحديث تسع صفات ، وبسبب العاشرة)
- (٢٢) رواه ابن ماجه
- (٢٣) رواه ابن ماجه والإمام أحمد
- (٢٤) انظر معنى مصطلح « الزينة » في (لسان العرب) لاس من منظور
- (٢٥) رواه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والإمام أحمد
- (٢٦) من حديث أبي هريرة - رواه مسلم والإمام أحمد
- (٢٧) رواه الترمذي و ابن ماجه والإمام أحمد
- (٢٨) رواه ابن ماجه والإمام أحمد
- (٢٩) شراك العمل السير يكون على وجهها
- (٣٠) علاقة السوط السير في مقبض السوط ، يعنى منه
- (٣١) رواه مسلم والترمذي و ابن ماجه والإمام أحمد
- (٣٢) رواه أبو داود والإمام أحمد - (واشراك السير يكون على وجه العمل)
- (٣٣) رواه مسلم والنسائي وأبو داود
- (٣٤) رواه الإمام أحمد
- (٣٥) يونس ٢٤
- (٣٦) الضحى ٨
- (٣٧) رواه الإمام أحمد
- (٣٨) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والدارمي وابن ماجه والإمام أحمد
- (٣٩) رواه ترمذي والإمام أحمد

- (٤٠) رواه الترمذى ، من حديث المعيرة بن شعبة
- (٤١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة والإمام أحمد
- (٤٢) رواه الإمام أحمد
- (٤٣) رواه مسلم والنسائى والإمام أحمد
- (٤٤) رواه الإمام أحمد
- (٤٥) الأزهري الأبيض لمستتر
- (٤٦) رواه مسلم والإمام أحمد
- (٤٧) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة والإمام أحمد
- (٤٨) أى صغيرة شابة
- (٤٩) رواه أبو داود والإمام أحمد
- (٥٠) القصص ٧٧
- (٥١) رواه الترمذى والنسائى وأبو داود وابن ماجة والإمام أحمد
- (٥٢) رواه الإمام أحمد
- (٥٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجة وأبو داود والدارمى والإمام أحمد

* * *

الفصل الثاني جماليات السَّماع

لكن

إذا كان هذا هو مستوى الوضوح والحسم الذي بلغه المنهج الإسلامي في الانتصار للتربية الجمالية ، وربط أواصر العوده بين أحاسيس الإنسان المسلم وجوانسه وبين آيات الحمائل ومظاهر الزينة في الوجود فلماذا هذا الذي نراه سلوكا لنفر من الإسلاميين يخاضع الجمال ويحيد القبح ، وهذا الذي نراه اتهمهما موجهها إلى الإسلام - من حائله ومخاضميه - بمحاصرة الجمال ؟

ولماذا شاعت وتشيع انكشابات والمآثورات حول هذه المحاصمة ومحاصمة « الغناء » و « الموسيقى » وأدواتهما ، والعماء لفنون التشكيل رسمونحنًا وتصويرًا - على وجه الخصوص ؟

إن الخلاف النشأ بين فقهاء الإسلام حول إباحت أو منع الغناء والموسيقى والرسم والنحت والتصوير - وهي من أبرز الفنون الجمالية التي عرفها الإنسان في تطوره الحضاري - خلاف قديم وشهير وهناك العديد من المآثورات الروية وأغلبها أحاسيث نبوية - تختلف مضامينها في

هذا الموضوع وحول هذه المآثورات ، وملابساتها، وصحتها - رواية
ودراية وحول اتساق بعضها مع البعض الآخر - أدت وتدور أغلب آراء
المختلفين في هذا المقام . ولذلك ، فإن الوصول في هذا الأمر إلى رأى مطمئن
إليه ، يقودنا إلى كلمة سواء ، يدعونا إلى أن ننظر نظرة فاحصة ومقارنة
ونقدية إلى هذه المآثورات وبيادى ذى بدء فنحن بإزاء

(أ) وقائع حدثت في عصر البعثة ، وفي بيت النبوة والمسجد النبوى
وبيوت الصحابة . هى مما يسجل في « السنة العملية » والممارسة التطبيقية
للمنهج النبوى أى أنها « شواهد مادية » ، تعلن عن إباحة الغناء ، وتقيد ،
أيضا ، بأن اجتهادات مخالفة قد حدثت أثناء هذه التطبيقات والسنة العملية ،
أراد أصحابها - وهم صحابة أجلاء - منع الغناء ، لكن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - أقر الغناء ، ونبه أصحاب هذه الاجتهادات على خطئها
وخطئهم فيها

(ب) أحد عشر ماثورا من الأحاديث تفيد منع الغناء والنهى عنه وتوعد
المغنين والسامعين

(ج -) تفسير عدد من مفسرى القرآن الكريم للمراد « بالنهى » في الآية
القرآنية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير
علم) (١) على أنه هو العناء تلك هى المآثورات والسنة العملية
والتفسير التى جاءت في الغناء والأدوات الموسيقية المصاحبة له . والتى
دار سببها ومن حولها خلاف الفقهاء حول موقف الإسلام من حكم الغناء ،
وموقف المسلمين من هذا الفن

● فمن السنة العملية التى رويت في إباحة الغناء ، فختار ثلاث مرويات ،

شهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الغناء في اثنتين منها ، ولم يقف موقفه منه عند إقراره فقط ، وإنما خطأ من اجتهد لمعه أما المروية الثالثة فكان شهود الغناء فيها بعض الصحابة ، الذين خطأوا من اجتهد لمعه ، وقالوا إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد رخص فيه ، فهو مباح

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت « دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندي جاريتان يغنيان بغناء بعث^(٢) ، فاصطح على الفراش ، وحول وجهه فدخل أبو بكر فأنهرني ، وقال مرمار الشيطان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -^(٣) فأقبل عليه رسول الله ، فقال «دعهما» فلما غفل - (أي أبو بكر) - غمزتهما فحرحتا^(٤)

فنص أمام سنة عملية ، أقر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الغناء ، في بيت الندوة ، من فدتين غننا بأشعار تتحدث عن ذكريات وقائع الحرب في التاريخ بن والقاريخ الحاهي^(٥) وعندما اعترض الصديق أبو بكر ، محنتها في الغنى ، اعترض الرسول على هذا الاجتهاد ، مؤكدا الإباحة - ولم يضع أحد من علماء الجرح والتعديل في أحد من رواة هذا الحديث -

وعن عائشة ، أيضا - وفي رات الحديث - تكملة تروى أحداث واقعة ثانية لسنة عملية أخرى في هذا الموضوع . تقول ، رضي الله عنها «وكان يوم عيد ، يلعب السودان - الحبشة - بالدرق^(٦) والحرايب ، في المسجد ، فإما سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإما قال «تشتهين تنظرين» ، فقلت نعم ، فأقاصني وراءه ، حدى على خده ، يسترنى بثوبه ، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فزجرهم عمر ، فقال النبي «أمأ بنى أرفدة دونكم

متى أرفدة» (٥) حتى إذا ملئت قال «حسبك» ، قلت نعم ، قال
«فأذهبي»

فهذا ، أيضا ، سُنَّة عملية أقرت اللعب .. (التمثيل) .. المصحوب بالغناء
والرقص .. قعى بعض الروايات أنهم كانوا يغنون شعرا يقول

يا أيها الصيف المعرج طارقا لولا مررت بآل عبد الدار
لولا مررت بهم تريد قراهم منعوك من جهد ومن إقتار
وفي بعض الروايات « كنت الحبشة يزفون (أى يرقصون) وفي
بعضها « يرقصون بيريدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويقولون
محمد عبد صالح » (٦)

وعندما اجتهد عمر بن الخطاب في المنع ، عارضه الرسول - صلى الله
عليه وسلم - مرة الإباحة ومؤكدا لها .

ومن الأمور ذات الدلالة في هذا المقام ، أن البخاري عند ما روى هذه
السُنَّة العملية لم يصعبها في « باب اللعب » ، وتحت عنوانه ومصطلحه
وحده ، وإنما رواها في « باب اللهو » وتحت عنوانه ومصطلحه أيضا

فلقد روى حديث أم المؤمنين عائشة .. رضي الله عنها « كان الحبش
يلعبون بحراهم ، فسترني رسول الله وأنا أنظر ، فما زلت أنظر حتى كنت
أتصرف فافسروا قدر الجارية الحديث السن تسمع اللهو » (٧)

كما روى عن أبي هريرة .. في « باب اللهو بالحرا » - قوله « بينما
استبشة عند النبي - صلى الله عليه وسلم - بحراهم ، دخل عمر فأهوى إلى
الحصى فحصبهم بها ، فقال دعهم يأمر »

وعبر هذه المأثورات الثلاث ، التي أكدت الإباحة بنحطة اجتهدات المنع ،

هناك الأحاديث الكثيرة التي تؤكد على الإنابة ، وتتحدث عن الفكر الشاهد لها وعليها

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « يا عائشة ، ما كان معكم لهو ؟ » فإن الأنصار يعجبهم اللهو ^(٨)

وفي رواية ثانية لهذه الواقعة أنكحت عائشة ذات قرابة لها رجلاً من الأنصار ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أهديتم الفتاة ؟ ألا بعثتم معها من يقول أتياكم أتياكم ، فحيانا وحيآكم » ^(٩)

وفي حديث آخر ، عن السائب بن يزيد أن امرأة جاءت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال « يا عائشة ، أتعرفين هذه ؟ » قلت لا ، يا نبي الله قال « قينة بنى فلان ، تحب أن تغنيك » ، فغنتها ^(١٠)

أما الإمام أحمد ، فإنه يروى - في مسنده - عن عبد الله بن عمير - أو عميرة - قال ، « حدثني روح ابنة أبي لهب ، قال دخل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، حين تزوجت ابنة أبي لهب ، فقال « هل من لهو ؟ »

تلك هي بعض مآثورات السنة النبوية - وأغلبها وقائع « سنة عملية » - الشاهدة على إباحة هذه الفنون الحميمة - غناء ورقصا ، وتمثيلاً - وهي المآثورات التي أقرت الإنابة وأكدت في مواجعة الاجتهاد في المنع ، فخطأت هذا الاجتهاد .

● أما وقائع وروايات السنة العملية ، التي تحدثت عن الغناء في مجتمع الصدر الأول ، على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دون أن يكون هناك حل ولا اجتهاد يمنع منه ، فهي كثيرة جداً في كتب السيرة

والحديث ومنها على سبيل المثال لا الحصر .

عندما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، مهاجرا ، فرح أهلها وكانوا ينتظرون مقدمه لعدة أيام - حتى ليروى البراء بن عازب فيقول : ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء كفرحهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصعدت دوات الحدور عن الأسطحة من قدومه يقلر

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داعي
أبها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

أما جوارى - (فتيات) - بنى النجار ، فلقد خرجن إليه - صلى الله عليه وسلم - عندما بركت ناقته بباب أبى أيوب الأنصاري - من بنى مالك بن النجار - خرجن يضربن بالدفوف ويعقبن

فحن جوار من بنى النجار يا حبيبا محمد من جار
فقال لهن - صلى الله عليه وسلم -
« أتحببني ؟ »

- قلن نعم ، يا رسول الله
- فقال « الله أعلم أن قلبي يحبكم »

وفي إحدى الروايات ، أن أبا بكر الصديق - رضى الله عنه - وهو صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الهجرة - همّ بزجر الحوارى عن هذا الغناء فقال له الرسول « سعهن يأبى بكر حتى تعلم اليهود أن ديننا فسيح »^{١٩}

فهو مَعْلَم ، إذن . من معالم الفسحة والحرونة التي يستجيب بها الإسلام
لحاجات النفس الإنسانية . وسبيل من سبيل الترويح التي تنقي عن النفس
الوحشة وتبرؤها من عوامل الحزن والضيق^١

وعندما شرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن استقر بالمدينة -
في بناء المسجد ، كان يحمل - مع الصحابة - طوب اللّٰين ، عشاركا في البناء
وخلال العَمَر ، كان ينشد مَترنما

هذا الجمال لا جمان خبير هذا أمر بنا وأظهر

ومن الصحابة من كان - أثناء ذلك - يغني أغاني العمل فيقول البعض
منهم

لئن قعدنا والذنبى يعمل ذلك إذن للعمل المضلل^٢
وكان آخرون يترنمون

لا يستوى من يعمر المساحدا يدأب فيها قائما وقاعدا
ومر يرى عن التراب حائدا^(١)

ولقد صنع ذلك الأشعريون - قوم أوى موسى الأشعري - عندما قدموا
إلى المدينة فعن أنس بن مالك ، قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« يقدم عليكم عدا أقوام هم أرق قلوبا بالإسلام منكم » ، قال فقدم
الأشعريون - فيهم أوى موسى لأشعري - فلم دنوا من المدينة جعلوا
يرتجزون يقولون

هذا تلقى أحبة محمدا وحربه^(٢)

وحديث آخر يحكى كيف شهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «ندب»

الحواري ، على أنعم المدفوف بذكره بالأبطال الشهداء في وقائع الإسلام ،
 فعن أبي حسين قال كان يوم لأهل المدينة يلعبون ، فدخلت على الربيع
 بنت معوية بن عقراء فقالت دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
 فوجدت على موضع فراشي هذا ، وعدى حورستان تديسان أناس الذين قتلوا
 يوم بدر ، تصرعان بالدهوف ، فعالتا فيما تقولان

وفينا نبي يعلم ما يكون في غد

فقال صلى الله عليه وسلم « أما هذا فلا تقولاه ، لا يعلم ما في غد إلا الله
 عز وجل » (١٢)

تلك بعض من مآثورات السنة النبوية - وأعلىها وقائع « سنة عممية » -
 لشاهدة على إباحة الغناء ، وما صاحبه من فنون مساعدة

● أما المآثورات التي منعت الغناء ونهت عنه وحذرت منه ومن سماعه ،
 فإنها تبلغ عشرين مأثورة ، ما بين حديث أو تفسير « للهو » في الآية
 نكرمة (ومن الناس من يشتري لهو الحديث لنصل عن سبيل الله بغير
 علم) تفسير « اللهو » بأن المراد به الغناء .

وأحد هذه الأحاديث مروى عن عائشة - التي أوردنا رواياتها للعديد من
 الأحاديث الشاهدة على حل الغناء - وفيه تقول - عن النبي - صلى الله عليه
 وسلم - أنه قال « إن الله حرم المغنية - (وفي رواية القيعة) - وبيعها
 وثمنها وتعليمها والاستماع إليها » (١٣)

ولقد تتبع الإمام ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ -
 ١٠٦٤ م) - وهو من هو - كظاهري - في الالتزام بالسنة - وهو من هو في
 نقد لرجال والروايات - تتبع هذه المآثورات ، فعرض رواياتها على ما

استقرت عليه قواعد الجرح والتعديل للرواة ، فخلص إلى أن هذه الأحاديث جميعها معلولة . فقال « وكل هذا لا يصح منه شيء » ، وهي موضوعة . ولعد اتفق معه في هذا النقد لهؤلاء الرواة كثيرون من محدثين والحفاظ وعلماء الرجال من مثل الذهبي - صاحب (ميزان الاعتدال) وابن حجر العسقلاني - صاحب (لسان الميزان) - . وكنموذج من هذا النقد لرواة هذه الأحاديث

١ - حديث عائشة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « إن الله حرم المغيبة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع إليها » في رواية هذا الحديث « سعيد بن أبي رزيق ، عن أبيه » وكلاهما لا يسرى أحد من هما »

٢ - حديث محمد بن الحنفية عن أبي بن أبي طالب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « إذا عملت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء » .. ومنها - « واتخذ القِيَّات ، والمعارف »

« جميع رواية هذا الحديث إلى يحيى بن سعيد لا يُدرى من هم ويحيى بن سعيد لم يرو عن محمد بن الحنفية كلمة ولا أدركه »

٣ - حديث معاوية « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن تسع ، منهن الغناء »

في رواية هذا الحديث « كيسان ، ولا يسرى من هو ، ومحمد بن مهاجر ، وهو ضعيف » وفيه النهي عن الشعر ، وهم يبيحونه

٤ - حديث سلام بن مسكين عن شيخ شهد ابن مسعود يقول الغناء ينبت البغاق في القلب

في رواه هذا الحديث شيخ لم يُسمَّ ولا يعرفه أحد .

٥ - حديث أبي أمامة سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول
« لا يحل تعليم المغنيات ولا شراؤهن ولا بيعهن ولا اتخاذهن ، وثمانهن
حرام ، وقد أنزل الله ذلك في كتابه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليوصل عن سبيل الله بغير علم) ، والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته
بالغناء إلا ارتدعه شيطانان يصربان بأرجلها صدره وظهره حتى يسكت »
في رواية هذا الحديث « إسماعيل بن عياش ، وهو ضعيف ، والقاسم ،
وهو مثله « ضعيف !

٦ ، ٧ - حديثي عبد الملك بن حبيب

(أ) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن المغنى أذنه بيد
شيطان يرضه حتى يسكت »
(ب) وأنه قال « إن الله حرم تعليم المغنيات وشراؤهن وبيعهن وأكل
أثمانهن » .

وأحاديث عبد الملك كلها هالكة ! .

٨ - حديث البخاري « ليكون من امتي قوم يستملون الحر والحرير
والخمر والمعارف »

لم يورده البخاري مستندا ، وإنما قال فيه قال هشام بن عمار ، ثم هو
إلى أبي عامر ، أو إلى أبي مالك ، ولا يُدرى أبو عامر هذا

٩ - حديث أنس ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من جلس إلى
قينة صبَّ في أذنه الأثك يوم القيامة »

أما هذا الحديث « قبلية » لأنه عن مجهولين ، ولم يروه أحد قط عن مالك

من ثقة أصحابه ، والثاني عن مكحول عن عائشة ولم يلقها قط ، ولا أدركها ، وفيه أيضا من لا يُعرف ، وهو هاشم بن باصح وعمر بن موسى ، وهو أيضا منقطع ، والثالث عن أبي عبد الله الدوري ، ولا يُدرى من هو .

١٠ - حديث ابن شعيبان . عن ابن عباس في قول الله عز وجل (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) قال الغناء وأحاديث ابن شعيبان هالكة

١١ - حديث ابن أبي شعبة . عن أبي مالك الأشعري ، أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « يشرب ناس من أمتي الحمر يسمونها بغير اسمها ، تضرب على رؤوسهم المعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض »

في رواية هذا الحديث « معاوية بن صالح ، وهو ضعيف ، ومالك بن أبي مريم ، ولا يُدرى من هو » .

١٢ - حديث : إن الله تعالى بهي عن صوتين ملعونين ، صوت نائحة ، وصوت مغنية

وهو حديث لا يُدرى من رواه .

١٣ - حديث عقبة بن عامر الجهني « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل شيء يدهو به الرجل فداخل إلا رمى الرجل بقوسه ، أو نأديه فرسه ، أو ملاعبته امرأته ، فإسهن من الحق »

وفي رواية هذا الحديث عبد الله بن زيد بن الأزرق ، وهو مجهول ، وله طريقا آخر ، في رواته خالد بن زيد ، وهو مجهول

١٤ - حديث - « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب لا يكون أربعة

ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين الغرضين ،
وتعليم الرجل السباحة »

وهذا الحديث « مغشوش مدلس دليلة سوء ، لأن الرهري المذكور في روايته ليس هو ابن شهاب ، لكنه رجل رهري مجهول اسمه عبد الرحمن ، ! » وبه طريق آخر ، في روايته عبد الوهاب بن بحت ، وهو غير مشهور بالعدالة

ثم إن هذا الحديث ليس فيه تحريم فاللعب - كما في هذه الرواية -
و« السهو واللغو » - كما في روايته الأخرى - غير التحريم

١٥ - حديث عائشة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من مات وعنده جارية معنية فلا تصلوا عليه » .

في رواية هذا الحديث ، هاشم ، وعمر وهما مجهولان ومكحول لم يلق
عائشة

١٦ - حديث عبد الله بن عمر قال رجل يا رسول الله ، لي إبل أفاحدو فيها ؟ قال نعم قال أما غني فيها ؟ قال اعلم أن المغني أذناه بيد شيطان يرغبه حتى يسكت »

في رواية هذا الحديث عبد الملك ، وهو هالك ، والعمرى الصغير ، وهو ضعيف

١٧ - حديث أبي هريرة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« يمسح قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنزير ، قالوا يا رسول الله يشهدون أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ؟ قال نعم ، ويصلون ويصومون ويحجون » قالوا ، فما بالهم يا رسول الله ؟ قال اتخذوا المعارف ،

والقيئات ، والدفوف ، ويشربون هذه الأشربة ، فباتوا على لهوهم وشرابهم
فأصبحوا قردة وخنزير .»

هذا الحديث مروي عن رجل لم يُسم ولم يُدر من هو

١٨ - حديث أبي أمامة - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « تبیت
طائفة من أمتي على لهو ولعب ، وأكل وشرب ، فيصبحوا قردة وخنزير ،
يكون فيها خسف وقذف ، ويبعث على من أحيائهم ريح فتنسقهم كما
نسفت من كان قبلهم باستحلالهم الحرام ، ولبسهم الحرير ، وصرهم
الدفوف ، وانحاذهم القيار »

في رواية هذا الحديث الحارث بن نبهان . وهو لا يكتب حديثه . وفرقد
السبخي ، وهو ضعيف ، وسليم بن سالم ، وحسان بن أبي سنان ، وعاصم
بن عمر ، وهم غير معروفين

١٩ - حديث أبي أمامة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم « إن الله
بعثني رحمة للعالمين ، وأمرني بحو المعازف والمزامير ، والأوثان ،
والصلب ، لا يحمل بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن ،
وئمنهن حرام »

في رواية هذا الحديث القاسم ، وهو ضعيف

٢٠ ... أما التفسير المنسوب إلى عدد من أئمة المفسرين للقرآن الكريم ،
والقائل إن المراد باللهو في الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) هو
الغناء ، فضلا عن ما في هذا التفسير من تعارض مع الأحاديث النبوية
الصحيحة التي جاء فيها الكلام عن الغناء المباح باسم اللهو - « ما كان
معكم لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللهو » هل من لهو . فافقدوا قدر

الحارية الحديثة الس تسمع اللهو « قد رخص لنا في اللهو عند العرس »
 فإن ابن حرم يراه مجرد تفسير مفسرين ، وليس حديثاً عن رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - ولا ثبت عن أحد من أصحابه ، وإنما هو قول بعض
 المفسرين ممن لا يقوم بقوله حجة ، وما كان هكذا فلا يجوز القول به ثم لو
 صح لما كان فيه متعلق ، لأن الله تعالى يقول (ليضل عن سبيل الله) ، وكل
 شيء يقتنى ليضل به عن سبيل الله ، فهو إثم وحرام ، ولو أنه شراء
 مصحف وتعليم قرآن « ١ » .

هكذا أورد ابن حرم - وهو الخبير بالحجة في نقد النصوص - كل ما
 يتعلق به دعاة تحريم الغناء من الرويات ، وأبرر عللها ، فأسقط حجيتها
 عندما أثبت افتقارها إلى شروط الثبوت ، ثم عقب على كل ذلك بقوله :
 « ولا يصح في هذا الباب شيء أصداً ، وكل ما فيه فموضوع ، والله لو أسند
 جميعه أو وحد منه فأكثر من طريق الثقات إلى رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - لما ترددنا في الأخذ به فلا حجة في هذا كله لوجوه
 أحدها أنه لا حجة لأحد دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

والثاني أنه قد حالف غيرهم من الصحابة والتابعين

والثالث أن نص الآية يبطل احتجاجهم بها ، لأن فيها (ومن الناس
 من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بحير علم ويتخذها هزوا أولئك
 لهم عذاب مهين) (١٥) وهذه صفة من جعلها كان كافراً بلا خلاف ، إذا اتخذ
 سبيل الله تعالى هزوا ولو أن امرأة اشترى مصحف ليضل به عن سبيل الله
 ويتخذها هزوا لكان كافراً فهذا هو الذي دم الله تعالى ، وما لم يقط ، عن
 وجل ، من اشترى لهو الحديث ليتلهى به ويروح نفسه ، لا ليضل عن سبيل

الله تعالى ، فيبطل تعلقهم بقول كل من ذكرنا

وكذلك من اشتغل عامداً عن الصلاة بقراءة القرآن ، أو بقراءة السنن ، أو بحديث يتحدث به ، أو بنظر في ماله ، أو بغناء ، أو بغير ذلك فهو فاسق عاص لله تعالى ومن لم يقص شيئاً من لفرائض اشتغالا بما ذكرنا فهو محسن

واحتجوا فقالوا من الحق الغباء ؟ أم من غير الحق ؟ ولا سبيل إلى قسم ثالث ، فقالوا وقد قال الله عز وجل (وماذا بعد الحق إلا الضلال) (١٦) ؟

فجوابنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « إنما الأعمال بالخيات ، ولكل امرئ ما نوى » (١٧) . فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله تعالى فهو فاسق ، وكذلك كل شيء غير العداء ، ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل ، وينشط نفسه بذهب على البر ، فهو مطيع محسن ، وفعله هذا من الحق ومن لم ينو طاعة ولا معصية ، فهو لغو معفو عنه ، كخروج الإنسان إلى بستانه متبرها ، وقعوده على باب داره متفرجا ، وصباحه ثوبه لازورديا أو أحمر أو غير ذلك ، ومد ساقه وقبضها ، وسائر أفعاله ، فيبطل كل ما شغلوا به بطلانا متيقنا ، والله تعالى الحمد ، وما نعلم لهم شبهة غير ما ذكرنا » (١٨)

أما الإمام العرطبي (١٧١ هـ / ١٢٧٢ م) - صاحب (الجامع لأحكام القرآن) - فإنه يفتح أمام العقل المسلم أبواب النظر في تفسير أية (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليصل عن سبيل الله بغير علم ويتحدثها هزوا

أولئك بهم عذاب مهين) وذلك عندما يورد لنا آسناد عزولها ، فنرى فيها أن اللهو المدموم هنا ليس هو فن الغناء الحسن - المباح - ، ولا هو مطلق الغناء - كفن من العصور الجميلة - وإنما هو في رأيه - غناء المجور ، المثير والمهيج للفرائز الحيوانية الشهوانية - أو ذلك اغناء الموظف للصرف عن الإيمان بالإسلام ، والذي كان يصنعه واحد من رؤوس الشرك في مكة - وهو النصر بن الحارث بن علقمة (٢هـ ، ١٢٤م) - وهو من شياطين قريش ، وصاحب لواء المشركين يوم بدر - ذلك أنه قد اشترى كتب الأعاجم ، واشترى القيان ، ليغري بأساطير الكتب ، وبغناء النقيين الناس عن الدخول في الإسلام والاستماع إلى القرآن فهذا هو اللهو الموظف في الإضلال عن سبيل الله ، الذي تحدثت عنه الآية الكريمة

بل ويذهب القرطبي على أن أئمة الإسلام - كالحسن البصري (٢١ - ١١٠ هـ / ٦٤٢ - ٦٢٨ م) - من يرى أن المراد باللهو هما « هو الكفر والشرك » . ومن ثم فلا علاقة لهذه الآية بمطلق الغناء ،

يحكى القرطبي ذلك ، عندما يفسر هذه الآية ، ويقول : إن ابن مسعود يرى أن المراد باللهو هيها هو الغناء . ثم يردف قائلا « وهو الحسن هو الكفر والشرك »

وتأوله قوم على الأحاديث التي يتلها بها أهل الباطل واللعب وقيل برئت في النصر بن الحارث ، لأنه اشترى كتب الأعاجم - رستم^(١٩) ، وأسفنديار^(٢٠) - فكان يجلس بمكة ، فإذا قالت قريش إن محمداً قال كذا ، ضحك منه ، وحدثهم بأحاديث ملوك انفرس ، ويقول حديثي أحسن من حديث محمد - حكاه الفراء والكلبي وغيرهما .

وقيل كن - أي النصر بن الحارث - يشتري المغنيات ، فلا يطفر بأحد

يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قبنته فيقول أطعميه وأسقيه وغشيه ، ويقول هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه ! .
هذا القول والأول - (أى شراء البضر للمعنيات ، وشراؤه لكتب الأعاجم - ليلهى بها عن الإسلام ويضل بها عن سبيل الله) - ظاهر في الشراء - (ومن الناس من يشتري) - .

وقالت طائفة الشراء في هذه الآية مستعار ، وإنما نزلت الآية في أحاديث قريش وتلهمهم بأمر الإسلام وخوضهم في الناطل قال ابن عطية « فكأن ترك ما يجب فعله وامتنال المنكرات شراء لها »

ثم يمضى القرطبي ليؤكد على أن تفسير اللهو هذا بالغناء لا يمكن أن يصرف إلى مطلق الغناء ، وإنما هو خاص « بالغناء » الذى يحرك النفوس ويبعثها عن الهوى والعزل والمجون ، الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن ، فهذا النوع إذا كان في شعر يشبه فيه ، بذكر أنساء ووصف محاسنهن وذكر الحمر والمحرقات ، لا يختلف في تحريمه ، لأنه اللهو والغناء المذموم بالاتفاق فأما ما سلم من ذلك فيجوز القليل منه في أوقات الفرح ، كالعرس والعيد ، وعب التنشيط على الأعمال الشاقة وأما طبل الحرب فلا حرج فيه ، لأنه يقيم النفوس ويرهب العدو والدفع مباح وقيل إن الطبل في النكاح كالدف ، وكذلك الآلات المشهورة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رعب » (٢١)

ويدعم هذا الرأي - في موقع آخر من تفسيره - عندما يعرض لآيات سورة الجمعة (بأيتها الذين آمنوا إذا دوى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وادروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا

فخصيت الصلاة فاستشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ، وادكروا الله كثيرا لعلكم تفلحوا . وإذا رأوا تجارة أو لهوا أنفصوا إليها وتركوا قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (٢٢)

فقى هذه الآيات ورد الحديث عن « اللهو » باعتبار حكمه كحكم (التجارة) في كل منهما الطيب والخبيث ، ولك منهما أوقاته التي يجب أن لا تتعارض مع أوقات فرائض الإسلام .

فهذا « اللهو » - الذي نتحدث عنه هذه الآيات - كان غناء مصحوبا بأدواته - من المزامير والطبول - ولم تأت الآيات لنبهه عنه في ذاته ، وإنما لتعيب الانصراف عن خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة ، إلى هذا اللهو ولتعيب كذلك ، الانصراف عن الخطبة إلى تلقي قافلة التجارة القادمة إلى المدينة ، يقودها دحية بن خليفة الكلبي .

نعلم ذلك من ملابسات وأسباب نزول هذه الآيات ، التي يوردها القرطبي عندما يقول « كان يوم الجمعة ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب فدخل رجل فقال إن دحية بن خليفة الكلبي قدم بتجارة - وكان دحية إذا قدم تلقاه أهله بالدقاق - وقال جابر بن عبد الله كانت الجوارى إذا نكحن - (تزوجن) - يمررن بالمزامير والطبل ، فانعضوا - (أى المسلمين - من المسجد) - إليها - (أى إلى المزامير والطبول) - فنزلت « الآيات » (٢٣) فالنهي عنه ليس اللهو وليس التجارة ، وإنما التلهي والانشغال بهما عن الصلاة !

ويزيد من حلاء وتأکید هذا المعنى ما أورده القرطبي ، أيضا ، من أن الذم لا يلحق بمطلق اللعب ، ولا بمطلق اللهو ، وإلا كان الذم لاحقا بمطلق

الحياة الدنيا والتي جاءت الإشارة إليها بأنها لعب ولهو - ١٩ - فهي تفسير قول الله سبحانه (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ، ولتدار الأجرة حين للذين يتقون أفلا تعقلون) (٢١) ، يكشف القرطبي عن أن المراد ليس دم مطلق الحياة الدنيا وما فيها من لعب ولهو ، وإنما المراد « والمقصود بالآية تكذيب الكفار في قولهم « إن هي إلا حيانا الدنيا » (٢٥)

تلك هي رؤية الإمام القرطبي - وروايته عن أئمة التفسير - في معنى « اللهو » الذي هو إضلال عن سبيل الله ، وفيها يقطع بأى العناء الحسن ، الموظف لتنشيط النفس وإعانتها على العمل ، ولما ارتقاء بالعواطف وإحداث السرور والسعادة في ماسياتها - كلاما ولحنا وصوتا وأدوات - هو مما أباحه الإسلام - وهي رؤية تدعم ما قاله ابن حزم في دت الموضوع

بالغناء ، إذن ، لا يعدو أن يكون بعضا من ألوان الجمال ، الذي خلقه الله ومعيار الحل والحرمة فيه هو « وظيفته » التي يوظف فيها و«المقصد» الذي يقصده الناس من ورائه . فإن أسهم في ترقية السلوك الإنساني ، والارتقاء بعواطف الناس ، وأعان على تدقيق نعم الله في كونه ، والكشف عن آيات الجمال في إبداعه ، كان خيرا - وإلا فهو منكر بلا خلاف

تلك هي شهادة ابن حزم والقرطبي ، في هذه العصية « الخلاعية » . وتلك هي قصة المصباح الإسلامي مع « شبهة » الحسام بينه وبين العناء والسماع - وهي قصة تؤكد اتساق موقف هذا المنهج ، الساعي إلى تنمية الحواس الجمالية في الإنسان - ليدوم سعيه على درب الاكتشاف ما أودع الله في هذا الكون من آيات الزينة والجمال .



وأدوات الموسيقى

أما آلات العزف - الموسيقى - فإن الأحاديث التي وردت في منعها أو تحريمها ، هي الأخرى معلولة ، بمقاييس « علم الجرح والتعديل » وكنماذج لهذه الحقيقة

● حدث عائشة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « أمرني ربي عز وجل بنفى الطنبور والمزمار » رواه إبراهيم بن اليسع بن الأشعث المكنى - والنسائي يقول عنه إنه « ضعيف » ، أما البخاري فإنه يقول إنه « مذكر الحديث » .

● وحديث علي بن أبي طالب « نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ضرب الدف ولعب الصنج وصوت الزمارة » وفي روايته عبد الله بن ميمون ، عن مطر بن سالم والأول « داهب الحديث » والثاني « شبه مجهول » .

● وحديث ابن عباس عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « صوتان ملعونان في الدين والآخرة صوت مزمار عند نعمة ، وصوت مدبة - (أو ربة) - عند مصيبة »

وفي روايته محمد بن زياد الصحاحي الشكري ، الذي يقول فيه أحمد بن حنبل « أمور كذاب خبيث يضع الحديث » ٢

● وحديث علي بن أبي طالب عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « بعثني ربي عز وجل بمحق المرامير والمعارف ، والأوثان التي كانت

تُحَبَّد في الحاهلية ، والخمر ، وأقسم ربي عز وجل بحزته ألا يشربها عبد في الدنيا »

ورواة هذا الحديث محمد بن الفرات ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن لحارث الأعور ، وجميعهم مجروحون . فالأول منهم يقول عنه أبو بكر بن أبي شيبة إنه « شيخ كذاب » . والثالث قال فيه البخاري إنه « منكر الحديث » . وقال عنه يحيى بن معين . « ليس بشيء » . ولا يكتب حديثه . ولقد قال الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر (٤٤٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٥٦ - ١١١٣ م) في هذه الأحاديث وأمثالها « هذه الأحاديث وأمثالها ، احتج بها من أنكر السماع ، جهلاً مدعهم بصناعة علم الحديث ومعرفة ، فترى الواحد منهم إذا رأى حديثاً مكتوباً في كتاب جعله لنفسه مذهباً ، واحتج به على مخالفه ، وهذا غلط عظيم ، بل جهل جسيم » (٢٦)

أما الذين حاولوا تخريج دلالات الأحاديث الصحيحة ، التي جاءت في إباحة السماع ، حتى لا تشهد لإباحة الاستماع ، وإن شهدت لإباحة السماع^{١٩} - ومنهم الإمام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ ، ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) الذي قسّر حضور النبي - صلى الله عليه وسلم - مجلس غداة الجاريتين في بيت عائشة ، وإنكاره على أبي بكر منعهما من الغناء . قسّر ابن تيمية موقف الرسول بأنه كان « يسمع » ولا « يستمع »^{٢٠} (٢٧) قلآن محاولته هذه هي نموذج للتخريجات البادية التمثل والتكلف ، والتي لا يمكن لثقلها أن توهن من حجج الذين يبيمون الاستماع والسماع كليهما .

ففي حديث عائشة - رضي الله عنها ، الذي تقول فيه إنها زفت امرأة من الأنصار ، فقال لها النبي - صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ، ما كان

معكم من بهو ، فإن الأنصار يعجبهم اللهو ٩ . « (٢٨) .

في هذا الحديث يرى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يثشير باللهو ، ويوحه الأنظار إليه ، باعتباره الصواب والطبيعي والمطلوب في هذا المقام^١ .
أما حديث عامر بن سعد ، فإنه قاطع في أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد رخص لصحابته في « اللهو عند العرس » . يقول عامر بن سعد دخلت على قرظة بن كعب ، وأبى مسعود الأنصاري ، في عرس ، وإذا جوار يغدين ، فقلت : أتتما صاحباً رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن أهل بدر ، يفعل هذا عندكم ؟ فقالوا : اجلس إن شئت فاسمع معنا ، وإن شئت اذهب^٢ . « فقد رخص لنا في اللهو عند العرس » (٢٩)

فهو توجيه ورخصة تجعل الإباحة حكم الطيب الحسن منه وليس مجرد « عارض » يسمعه الإنسان ، دون أن تكون له إرادة وبية طلب الاستماع إليه

وإذا كان « اللهو » - كما مر في حديث جابر بن عبد الله - شاملاً لأدوات العناء مع الغناء - من مثل المزمار والطبول والدفوف - وما ماثلها في وطيفتها يقاس عبيها - فإنها - ولاشك - داخلة في الأجرى في معناه .
ولذلك ، فلقد أصاب أس حرم عندما قال بإباحة الآلات والمعارف ، انطلاقاً من هذه الأحاديث التي صحت ، واستناداً إلى « العلة » التي رآها قاطعة في ثبوت حديث تحريم المعارف واستشهاداً بكونها مالا حلالاً في نظر الإمام أبي حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ - ٦٩٩ - ٧٦٧ م) الذي قال « من سرق مزماراً أو عوداً قطعت يده ، ومن كسرهما ضمنهما »^٣ . إذ لو كانت محرمة ، لكانت هدراً ، كالخمر ، وأدوات الميسر ، وغيرها من المحرمات ولما

لم تكن كذلك ، فإنها مال حلال ، به حرمة ، من سرقه يقطع ، ومن أكله
يضمن . إذ الأصل في الأشياء هو الحل ، ما لم يرد نص بالتحريم
أما الإمام العزالي - والذي عرض للسمع غناء وموسيقى ، بدراسة
مسهبه - فإنه يحمل الموقف الإسلامي المنحاز إلى الاستمتاع الحلال
بالجماليات الحلال ، غناء وموسيقى ، عندما يرى ذلك قطرة إمسانية
يزكيها الإسلام ، الذي ينكر التجهم والحصام مع جماليات الحياة فيقول
« . ومن لم يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج .
ليس له علاج ' ومن لم يحركه السماع فهو ناقص ماثل عن الاعتدال ،
بعيد عن الروحانية ، رائد في غلط الطبع وكثافته على الجمال والطيور ، بل
على جميع السهائم ' ، فإن جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة . » (٢١)
هذا عن منهج الإسلام وموقفه من جماليات السماع



الهوامش

- (١) بقول ٦
- (٢) معات حصص للأوس ويوم معات وقعة من وقائع الجاهلية كانت بين الأوس والخزرج، تنصرف فيها الأوس
- (٣) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه - (وتحويل الرسول وجهه ، هو عن رؤية المتقيين ، وليس عن السماع ، فاداه الأوس)
- (٤) اندرقة الترس من جلود ، ليس فيه حشب ولا عتب
- (٥) أى أعطاهم الأمان ، صد زجر عمرو بن الخطاب لهم و « بونكم بين أرمدة » إعراء وتشجيع على مواصلة اللعب ، أى عنيتكم باللعب الذى أنتم فيه . و « أرمدة » لقب للحشيشة ، سموا به لأن أرمدة كان أشهر أجدادهم
- (٦) أخرج هذه الرواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك
- (٧) رواه النسائي
- (٨) رواه البخاري
- (٩) رواه النسائي
- (١٠) رواه النسائي
- (١١) انظر ذلك في (الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوى) ج ٤ ص ١٧٨ - ١٨٣ طبعة بيروت ، سنة ١٩٧٧ م . ولغزلى (إحياء علوم الدين) ص ١١٢٠ طبعة دار الشعب ، القاهرة
- (١٢) رواه الإمام أحمد
- (١٣) رواه الإمام أحمد وانظر الفويرى (نهاية الأرب) ج ٤ ص ١٤١ طبعة دار الكتب المصرية القاهرة

(١٤) رواء الترمذى ، ورواه الطبرانى في الأوسط باسناد ضعيف وقال البيهقى ليس بمحفوظ

(١٥) لقمان ٦ (١٦) يونس ٣٢ .

(١٧) رواء البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه

(١٨) انظر تفصيل ذلك - لايس حرم - في (رساله في الغناء للهوى ، مباح هو " او محظور) و (اعنى) المسألة رقم ١٥٦٥ - وجميعها في مطبع هذا الكتاب - ويشهد لذلك أيضا عبارة البخارى التى عين بها أحد أبواب كتاب الاستئذان ، وهى « ما من كل نهر باطل إذا شغله عن طاعة الله » وهى تعنى أن اللهو الذى لا يشغل عن طاعة الله ، ليس مباحا فقط ، وإنما هو غير باطل أى مفيد

(١٩) هو رستم دستان - من أبطال الفرس الأسطوريين - قالوا إنه عاش حوالى سنة ٣٠٠ ق م وتنسب إليه حواش كثيرة وعجيبة ولقد تسمى الشاعر الفارسي الفاروسى بمعامراته في « الشهامة » وبمعامراته يرين الفنانون الفرس صفحات المخطوطات

(٢٠) أسفنديار بطل اسطورى فارسي من أبناء ملوكهم ، وإليه تنسب بطولات وفتوحات ضد الترك وغيرهم من الشعوب

(٢١) (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٤ ص ٥٢ - ٥٤ طبعة دار الكتب المصرية - والرفث هو قول العجش -

(٢٢) الحصة ٩ - ١١

(٢٣) (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٨ ص ١١٠ ، ١١١

(٢٤) الأتعان ٣٢

(٢٥) (الجامع لأحكام القرآن) ج ٦ ص ٤٩٤

(٢٦) انظر البويرى (نهاية الأرب) ج ٤ ص ١٤٧ - ١٦٠

(٢٧) أنى تيمية (مجموعة الرسائل الكبرى) ج ٢ ص ٢٠٢ طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هـ

(٢٨) رواه القمحاوى

(٢٩) رواه النيسابى

(٣٠) (رسالة في الغناء الملهى ، أمباح أم محظور) - رسائل بن حزم - ج ١ ص ٤٢٩

(٣١) (أحياء علوم الدين) ص ١١٢١ - ١١٢٢

✽ ✽ ✽

الفصل الثالث

إذن .. فيما الخلاف ؟!!!

لكن

إذا كان هذا هو مبلغ الوضوح والحسم ، فيما يتعلق بمنهاج الإسلام في جماليات السماع ، يزكي ما هو طيب ودافع منها ، وينهي عن الخبيث كموقعه من كل المساحات - فقيم ، إذن ، ولماذا هذا الخلاف المستعرة ناره بين قوم من الاسلاميين حول الغناء ؟ ولم هذه الكتب والرسائل التي نهبت - في القرون الأخيرة وفي زمننا الحاضر - إلى تحريم « السماع »^{١٤} وإلى أي شيء يستند هؤلاء الذين يحرمون الغناء وألحانه ، والموسيقى وأدواتها ، إذا كان علماء « الرجال » وأساطين « الرواية » لأحاديث النبوية قد قطعوا بلسان ابن حرم وغيره - بأن مرويات التحريم « لم يصح منها شيء » ، وهي موضوعة « ١٥ ».

لماذا هذا الخلاف - رغم هذا الحسم والوضوح^{١٦} - وإلى أي شيء استند ويستند المخالفون^{١٧} .

إننا ، ونحن نجيب على هذا التساؤل ، وبحاول تجلية حقيقة هذا الخلاف ، الذي يشغل مساحة كبيرة من اهتمامات قطاع من قطاعات الحركات الإسلامية المعاصرة ، سنجد أننا بإزاء لوبين من الخلاف والمخالفين

● فهناك المقلدون من عامة كُتّاب « - ولا نقول «مقهاء» - عصر التراجع لحضارة الإسلام ، أولئك الذين عاشوا وكتبوا في ظل سيادة « النصوصية » الحرفية - الجامدة « وهيمنة » التقليد « وضمور منكة » الاجتهاد » وفي عصر التراجع هذا ، كان الغناء ، كهن من انفسور الراعية والجميلة ، قد تراجع ، بل انحط ، هو الآخر ، فصبر أقرب إلى الفسوق والمجون منه إلى الفن الجميل ، وغدت الموسيقى وأدواتها ومجالسها قرينة بتعاطى الخمر ، ومقدمة لتهييج العرائز الحيوانية وانشهوة لئى الإنسان وهذا ، وأمام هذا الواقع الجديد والمطاري على الحياة الإسلامية وحضارتها ، كان الاتجاه الذي قال بتحريم السماع وكان الاستناد في هذا التحريم إلى الأحاديث الضعيفة التي رويت في التحريم . لقد كان الغناء فسقاً وفجوراً ، وكان الدين يتصدون للكتابة فيه غير خبراء بنقد المرويات والتميز بين الروايات ما استفدوا في التحريم - وهو صحيح في حق هذا اللون من « الغناء » - إلى الموضوع والمعلول من المرويات وهؤلاء هم الذين يقول فيهم الامام الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر « لأن هذه الأحاديث وأمثالها احتج بها من أنكر السماع ، جهلاً منهم بصناعة علم الحديث ومعرفته ، فترى الواحد منهم إذا رأى حديثاً مكتوباً في كتاب جعله لنفسه مذهباً ، واحتج به على مخالفه ، وهذا غلط عظيم ، بل جهل جسيم » (١)

هكذا أصبح « الغلط العظيم ، والجهل الجسيم » سبباً في شيوع الاستدلال بهذه المرويات الموضومة على تحريم « الغناء » - عندما انقطع وجه اشتبه بين هذا « الغناء » وبين الفن الجميل - . ثم جاء الناظرون في هذه الكتب - ممن « يقدسون » آراء الأقدمين ، ويتخرجون من أعمال العقل فيما

كتبه الموتى ، وخاصة إذا كانت هذه الكتابات محبة للصنع والتشديد والتحرير ' - فعمموا هذا التحريم على كل أنواع الغناء دونما تمييز بين ما هو هابط منه وماجن وضار بتكوين الشخصية السوية للإنسان المسلم ، والمشاعر لهذا الإنسان ؟

هذا لون من الخلاف والمخالفين في هذا الموضوع .

● أما اللون الثاني ، فهو ذلك الذي قصد به أصحابه شيئاً ، وظن القارئون لهم به شيئاً آخر ^{١٩} . وتلك قضية من أعجب قضايا هذا الموضوع ^{٢٠} .

لقد دخلت الحضارة الإسلامية ، بسقوط بغداد تحت سنامك خيل الاجتياح التتري (٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م) مرحلة ، الدفاع عن الذات ، تلك الذات التي تعرضت منذ ذلك التاريخ إلى خطر يهدد « الوجود » . حتى « الوجود » ومجرد « الوجود » ^{٢١}

فمن قبل هذا الحدث الجلل . ومذ عسكرة الدولة والمجتمع ، بتمام السيطرة للعسكر المماليك ، الغرباء عن روح الحضرة الإسلامية ، وتحويلهم خلافة الإسلام إلى لعبة بيد قادة الجند - وهو الطور الذي بدأ باغتيالهم للخليفة المتوكل العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧ هـ - ٨٢١ - ٨٦١ م) - منذ ذلك التاريخ ، كانت الحضارة الإسلامية تواجه مخاطر « النصوصية الجامدة » ، وذبول ملكة الابداع والاجتهاد والتجديد وسيادة الجصور وفي هذا المناخ - وشيئاً فشيئاً - وبالتدريج البطيء - أخذت العقلانية الإسلامية تتوارى ، وأخذ إبداعها - في مختلف الميادين - يذبل ، بينما تزايد التقليد في علوم الشريعة ، وضعفت الاضافات في علوم الكون والوجود

وأصبح الأذهان والشعور من نصيب الفكر « العنوصي والباطني » ، بما يحمل من شيوع للبدع والخوارق والخرافات والدين يقاربون بين الكتب التي ترصد طبقات الأعلام في علوم الوجود - الفلك ، والرياضة ، والكيمياء ، والحساب ، والجيولوجيا ، والميكانيكا ، الخ - وكذلك طبقات المهتمين في علوم الوحي - الكلام ، والفقه ، وأصوله ، والقرآن ، وعلومه ، والسنة ، وعلومها - الذين يقاربون طبقات العلماء في هذه الميادين ، خلال هذه المرحلة ، التي تعسكرت فيها الدولة والمجتمع ، بكتب الطبقات التي ترصد أعلام « التصوف الباطني - العنوصي » ، وتعدد حوارق و « أعمال » و « إنجازات » أقطاب « الطرق الصوفية » ، سيجيون - دون كبير عناء - لخط السياني « الصاعد » لـ « فكر » العنوصية الباطنية ذي الجذور الفارسية القديمة ، والطابع الأفلاطوني المحدث ، والمنحصر بأساطير الاسرائيليات^{١٤}

لقد دخلت الحضارة الإسلامية هذا الميعطف منذ عسكرة الدولة والمجتمع عندما تراخعت العقلانية الإسلامية ، الجامعة - بالوسطية - بين « النور » و « العقل » فكانت السيادة « للعنوصية » المخاصمة « للعقل » ، ولتقصيها « الباطنية - العنوصية » المخاصمة « للعقل » و « النقل » معاً^{١٥} . ومنذ تلك التاريخ ، برز لدى دعاة التحديد وأعلام الاجتهاد - الذين قل عددهم ، لكن لم تنقطع سلسلتهم - . برز فكر « اندفاع » عن الذاتية المتميزة لحضارة الإسلام ، وبرر التركيز في فكر هؤلاء المجتهدين علي الرفض القاطع - وأحياناً المغالي - لكل ما يمت بصلة إلي فكر الباطنية العنوصية بأي سبب من الأسباب !.

فلما كان الزلزال الذي تمثل في الاجتياح التتري ، الذي دمر بغداد .. بما كانت ترمز إليه من دولة الإسلام وحلافته وحضارته .. ثم تقدمت جحافلهم مهددة « وجود » الأمة كلها ، والحصارة جميعها ، والوطن بأسره .. نظر المجددون المسلمون وأعلام الاجتهاد ، فرأوا أن هذه الهجمة التترية إنما جاءت إلى عالم الإسلام كثمرة لحلف « صليبي .. تتري » . عقدت البابوية في أوروبا مع الدولة التترية ، فتحولت به هذه الهجمة إلى بلاد المسلمين ، بعد أن كانت وجهتها الأصلية أوروبا « ١٥٠٧ » . ورأوا ، كذلك ، أن نجاح هذه الهجمة في دمار بغداد إنما ساعدت عليه « حيانة - باطنية » من داخل بغداد ذاتها^{١٥}.

وهنا ، ومنذ هذا الحدث الزلزال ، زادت « النبرة اندفاعية » في كتابات المجتهدين المسلمين ، وكثرت العناية بسمات التمايز الحضاري الإسلامي ، وتقدمت أسباب « المعاصرة » و « المخالفة » على أسباب « الاشتراك » بين الحضارات . فاعصر عصر تراجع حضاري ، والمقاومة في « الذات الحضارية » قد ضعفت ، والخطر « انغوصي - الباطني » أصبح « تنفزة » في البناء الداخلي للحضارتنا يمهد السبيل لذوبانها في « الآخر » ، منتهزاً فرصة ضعف مناعتها بتراجع التجديد والابداع والاحتشاد^{١٦} .

في هذا المباح ، وفي ظل هذه المحاطر ، قام النحالف بين « الفقهاء » المدافعين عن « الحضارة » ، وبين « الأمراء والسلطان » المدافعين عن « الوجود والأرض » ، ضد « العبوسة الباطنية » ، التي تصيع فواصل الحضارات وحدودها ، وتتركاها أم صليبيين

وفي ظل هذه الحقيقة نفهم كيف كان ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ - ١٢١٣)

- (١٢٢٨ م) - صاحب المنهج الذي يرى أن (اقتضاء الصراط المستقيم هو محالة أهل الجحيم) ، والنابض عن كل مميزات الحضارة الإسلامية . لمررها ، ومؤكد لها ، ويشدد عليها كيف كان ابن تيمية هو النموذج الرائع للاجتهاد والتجديد في ذلك العصر . كما كان نموذج « المحضد - امجاهد » أيضاً ، فهو المقاتل بالقلم وبالسيوف دون « الحضارة » و « الوجود والوطن » جميعاً !

كما نفهم ، أيضاً ، كيف كان ابن عري (٥٦٠ - ٦٣٨ هـ - ١١٦٥ - ١٢٤٠ م) الذي جعلت « الغنوصية - الباطنية » من مذهبه في « الحب » سبيلاً إلى خلط « الأوراق الحضارية » ، وتمييع لمواقف الفكرية ، وإزالة الفروق اذهبية - وهي أمور إن صلحت في فترات « الصحة الحضارية » ، فإنها الكارثة في حقبة « الضعف الحضاري » - نفهم كيف كان ابن عربي - بصرف النظر عن الصواب المجرى والخطأ المجرى في فكره - ثغرة في جدار المقاومة الإسلامية المدافعة عن « الذات الحضارية » المهددة في « تقائها » ، بل وفي « وجوده »

فبقدر ما دامع ابن تيمية عن نقاء عقيدة التوحيد الإسلامية ، وتميرها عن تصورات الآخرين لها كان تمييع ابن عربي لهذا التمايز في هذه القصيدة الحوهرية والمحورية ، فعنده

عقد الخلائق في «لأله عقائدا وأنا اعتقدت جميع ما عقده»

وبقدر ما كان ابن تيمية المدافع عن التمايز الحضاري الإسلامي في مواجهة « الآخر » امهدد للهوية الحضارية الإسلامية ينه عن ارتباط

منطق أرسطو باللغة اليونانية وبالالهيات الوثنية اليونانية ، ويدعو لمطلق إسلامي ، مرتبط بالتوحيد الإسلامي والعربية ، لسان الإسلام ويجتهد للموارد بين العقر والنقر نافعا الخصام بين صريح المعقول وصريح المنقول ، في مواجهة الغنوصية الباطنية ، والعقلانية اليونانية معاً بقدر ما كنى ابن تيمية فارس الإسلام في هذا الميدان ، كان ابن عربي داعية « حلط الأوراق » في هذه القضايا فاس تيمية يرى أن (اقتضاء الصراط المستقيم مخافة أهل الجحيم) - وهذا هو عنوان كتاب من كتبه -

أما ابن عربي ، فإنه ينخص مذهبه في هذا الميدان عندما يقول
 قد كنت قبل اليوم أمكر صاحبي إذا لم يكن ديبى إلى دينه داني
 وقد صار قلبي قاملاً كل صورة فمدعي لغرلان ودير لرهبان
 وبب لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
 أدنين بدين الحب أنى توجهت ركانه ، فالحب ديبى وإيماني
 ومن هذا وفي ظل هذه الملاحظات الحضارية ، وعندما نستحضر
 مكونات ذلك المشهد من مشهد الصراع الحضاري ، الذي خاصته أمتنا في
 ذلك التاريخ ، نستطيع أن نفهم تكفير ابن تيمية لابن عربي وعداء ابن
 تيمية لكل ما له علاقة « بالغنوصية الباطنية » واستطيع أن نفهم تحريمه
 للبدع التي أضافها الباطنيون إلى « الدين » و « شعائره » و « عباداته » التي
 يحب فيها « الاتباع » ، ولا يجوز هيها « الابتداع » ومن هذه البدع
 « السماع الصوفي » ، الذي جعلوه « عبادة » يتقربون بها إلى الله - ولم يقفوا
 به عند حدود « العناية » كفن من الفنون - بل وقدموه على العبادات
 والشعائر المفروضة والمستوية ، بل وفصلوه على القرآن الكريم

هنا . نجد أنفسنا أمام تحريم لون من « السماع » لا لأنه فن من الفنون ، وإنما لأن أصحابه - من « الباطنية الغنوصية » - قد « امتدعوا » في الدين عندما استقلوا به من ميدان « الفن » إلى ميدان « العبادة الدينية » التي يقتربون بها إلى الله ، بل والتي يحلوها محل « العبادات والشعائر » التي جاء بتحديثها القرآن الكريم وسنه الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وبمن عهدهما بطالع نصوص ابن تيمية في قضية « السماع » مسجد تحريمه خاصا بهذا اللون من « سماع الصوفية الباطنية » ، وبالتحديد ذلك الذي جعلوه « عبادة » و « شعيرة » من شعائر الدين ، وليس كفن من الفنون التي يتخذ منها الإنسان سبيلا للترويح عن النفس ، وغوينا على تجديد نشاط الجسم وحيوية القلب ، وأداة لتهديب العواطف والارتقاء بالمشاعر والملكات

بكن المقلدين ، من أبناء عصرنا ، قد صنعوا - ويصنعون - مع نصوص ابن تيمية ما يصعبه التقليد مع النصوص - كل النصوص - عندما يقطع الأسباب التي تربطها بملابساتها ، ثم يصرفها عن حصوص ما قينت فيه ، فيخلط - بهذا التعميم - بين التراث ، الذي هو فكر بشري ، قام ليعالج مشكلات بعينها ، وقد يكون منها « المتغيرات » التي يتجاوزها الزمن ، وبين كليات نصوص الوحي والسنة التشريعية التي يكون الأمر فيها والعبرة منها بعموم اللفظ لا بخصوص أسباب الدلول

من هنا ، أتى ويأتي اللون الثاني من ألوان الخلاف والاختلاف في الموقف من جماليات السماع

تلك هي حقيقة موقف الاجتهاد والمجتهدين ، في تاريخنا الحضاري من

قصية جماليات السماع - عيسى هناك فقيه مجتهد ، من فقهاء الإسلام ، قد حرم الغناء كفن من الفنون الجميلة ، وإنما كان التحريم أو الكراهة للغناء الذي انحط عن مرتبة الفن الجميل إلى درك الفسق والعهر والمحور . أو لذلك اللون من السماع الذي لم يقدمه أصحابه أو يمارسوه على أنه من « المباحات » ، وإنما جعلوه منه « عبادة » من العبادات الدينية ، و « شعيرة » من الشعائر الإسلامية ، و « قرينة » يتقربون بها إلى الله تعالى وقدموه - لهذه الصفة - على العبادات المقروضة والمستفوتة بنصوص البلاغ القرآني والدين النبوي - والتي لا يجوز فيها الابتداع - فهذا اللون من « سماع الصوفية - الباطنية » هو الذي حرمه عدد من الفقهاء ، لا لأنه غناء ، وإنما كبذعة في الدين وشدوا عليه وعلى المبتدعين له الكبر عندما كانت « العنوصية - الباطنية » والبدع التي ابتدعتها في الدين ، الخطر المحقق بهويتها الحضارية الإسلامية ، طوال عصر استراجم الحضاري ، الذي بدأ بعسكره الدولة والمخضع ، والذي اشتدت مخاطره بعد الزلزال الذي أصاب عقل الأمة ووحشائها وكيانها وهدد وجودها بالاجتياح التتري الذي جاء ثمرة لتحالف الصليبية الكاثوليكية الأوروبية مع البربرية التتريّة ، والذي أعانت على نجاحه مؤامرات النساطرة في السلاط التتريّة ، وحياتانات « الباطنية » في بغداد !

تلك هي ملاسبات القضية - أما الشواهد على صدقها ، من مواقف الفقهاء ونصوصهم فإنها كثيرة - لا يستوعبها هذا المقام - ولذلك ، فإننا نسوق منها عدداً يمثل معالم طريق هؤلاء الفقهاء المجتهدين ، عبر تاريخ الاجتهاد الإسلامي في هذا الموضوع

● لقد سبقت إشارتنا ونحن نتحدث عن منهج الإسلام وموقفه من جماليات السماع .. إلى مآثورات عهد النبوة وتطبيقاته في هذا الميدان وإلى طرف من مآثورات العهد الراشد وتطبيقاته أيضاً . تلك المآثورات والتطبيقات التي قررت أن الغناء - كفر - حسنة حسر مباح ومقبول ، وقبيحة قبيح ، مستنكر ومرفوض . تقرر ذلك ، وتعلمه المسلمون الأواث في مدرسة النبوة ، على يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وها هو الحليفة الراشد عمر بن الخطاب ، يطبق هذا النهج في خلافته ، عندما يميز بين « غناء المجون » فيحاربه ، وبين « الغناء الحسن » فيبيحه . بل ويدعو إليه ونحن نقرأ في كتاب (الاعتصام) للإمام الشاطبي (٧٩٠ هـ - ١٢٨٨ م) « عن الحسن ، أن قوماً أوا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، فقاتوا

- يا أمير المؤمنين ! إن لنا إماماً إذا فرغ من صلاته تَعَثَّى ! »

- فقال عمر : من هو ؟

- عذكر رجل

- فقال عمر قوموا بنا إليه ، فإننا إن وجهنا إليه يظن أننا تجسسنا عليه أمره !

- قال : فقام عمر ، مع جماعة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى أتوا الرجل ، وهو في المسجد ، فلما أن نظر إلى عمر قام فاستقبله ، فقال

- يا أمير المؤمنين ، ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ إن كانت الحاجة لنا كنا أحق بذلك منك أن تأتيك ، وإن كانت الحاجة لك فأحق من غفمناه خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

- قال عمر ويحك ! لمعنى عندك أمر ساءنى

- قال وما هو ، يا أمير المؤمنين ؟

- قال اكتمجس في عبادتك ؟

- قال لا ، يا أمير المؤمنين ، لكنها مظنة أعظم بها نفسى !

- قال عمر قلها ، فإن كان كلامك حسناً قلتة معك ، وإن كان قبيحاً بهيتك

عنه

- فقال الرجل

وفؤاد كلما عتته	في مدى الهجران يبغى تعى
لا أراه الدهر إلا لاهبا	في تصاديه ، فقد برح بى
يا هرين السوء ما هذا الصبا	فتى العمر كذا في اللعب
وشباب بان عى قمضى	قبل أن أقصى منه أربى
ما أرجى بعده إلا الفنا	ضيق الشيب عن مطلبى
ويح نفسى ! لا أراها أندأ	في جميل ولا في أدب
نفس لا كئت ولا كان الهوى	راقبى المولى وخافى وارهى

- قال فقال عمر ، رضى الله تعالى عنه

نفس لا كئت ولا كان الهوى راقبى المولى وحافى وارهى

ثم قال عمر « على هذا فليغن من غنى » . « (٢) »

هنا نقرأ نص عبارة عمر بن الخطاب - المعبرة عن منهج الإسلام في الغناء - والتي يقول فيها لهذا الإمام الذى يغنى عقب الفراغ من أداء فرائض ربه « إن كان كلاماً حسناً قلتة معك ، وإن كان قبيحاً نهيتك عنه » .. فلما سمع الكلام والغناء ردد بعضه ، وأباح للناس مثله ، قائلاً « على هذا فليغن من غنى » !

بين إنشا نطالع في نهج عمر وتطبيقاته ما نتعلم منه أن « الجمار » إذا
 وطّف في غير إطاره خرج عن الغاية منه ، ومن ثم عن حكمه الأصلي - وهو
 الإياحة والاستحياب - ولقد مرت بنا أطراف من الأحوال والممارسات
 الشاهدة على دعوة العبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الحمام والتحمل
 كنبأ نجد على عهد عمر بن الخطاب - بعضا من شباب المدينة يجعلون من
 الجمال الذي حياهم به الله ، سبحانه وتعالى ، تراكبا للفحش الذي حاولوا
 ممارسته مع بعض من نساء المجاهدين الذين باعدت الحروب بينهم وبين
 الزوجات^{١٠} وهنا يبهض سلطان الإسلام ، ممثلاً في عمر بن الخطاب ،
 بانتصدي لهذا الجمال ، الموطّف في المسجون والفسوق حتى ليحكم بنفي
 هؤلاء الشباب من المدينة ، وتعريضهم عنها^{١١}

لقد شكّا بعض المجاهدين إلى عمر مما تتعرض له نساؤهم فحقق
 الأمر وحكم بتغريب هذا النعر من الشباب ، وسحر نقرأ فيما يرويه
 إسماعيل بن إبراهيم الأسدي ، عن ابن عور ، عن محمد « أن بريدا قدم على
 عمر ، فنثر كتنته فبدرت صحيفة فأخذها فقرأها ، فإذا فيها

ألا أبلغ أبا حفص رسولا	فدى لك من أحي ثقة إذا رى
فلائصا هداك الله ، إن	شعلنا عنكم رمم الحصار
فما قلص وجرن معقلات	فقا سلع بمختلف البحار
قلاص من عبي سعد بن بكر	وأسلم أو جهية أو غفار
يُعقلهن جعدة من سليم	معيبة يبتغي سقط العذار ^{١٢}

فهى هذا الشعر شكوى مجاهد - بعث بها من الثغر الذي ذهب إليه -
 مقاتلاً - إلى عمر بن الخطاب شكوى من « جعدة » - وهو شاب وسيم ،

فاتق الجمال ، من بنى سليم - ذلك الذى يوقع بجماله - القلائص - العقائل - من نساء المحاهدين ^{١٥} يحاول بجماله أن « يُعَقِّلَهُنَّ » فى الحرام ^{١٦} فما كان من عمر رضى الله عنه ، إلا أن قال « أدعوا إلى حدة . من سليم فلما جاءوه به ، أمر بجلده مائة جلدة ، وهو « معقول » ^{١٧} » ونهاه أن يدخل على امرأة مُفَيَّته « - عاب عنها زوجها - ^{١٨} » (٤)

وعندما يكتشف عمر أن بعض الغناء إنما يشف عن الحنن والمجون والفحش ، يمسك بحيطه ، ليصل إلى الأحكام والمواقف التى تستهدف تنقية المجتمع المسلم من هذه الانحرافات فقيما يرويه عبد الله بن بريدة الأسلمى ، قال « بينما عمر بن الخطاب يَخُصُّ ذات ليلة ، فإذا بامرأة تقول هل من سبيل إلى حمر فأشربها أم هل سبيل إلى نصر بن حجاج ^{١٩} فلما أصبح سأل عنه فإذا هو من بنى سليم ، فأرسل إليه ، فأثابه ، فإذا هو من أحسن الناس شعرا وأصيحهم وجهاً فأمره عمر أن يطم شعره ، وفعل ، فخرجت جبهته ، فأرداه حسناً فأمر عمر أن يَغْتَمَ ، ففعل ، فأرداه حسناً ، فقال عمر لا والذى نفسى بيده لا تجامعنى بأرض أنا بها ^{٢٠} فأمر له بما يصلحه وسيره إلى البصرة ^{٢١} » (٥)

وتتكرر واقعة مشابهة - عن عهد عمر - من أحد بنى عمومة نصر بن حجاج السلمى هذا - عندما يسمع عمر - وهو يَخُصُّ ذات ليلة - نسوة يتحدثن ، متسائلات

- أى أهل المدينة أصبح ^{٢٢}

- فقالت إحداهن أبو دثب ^{٢٣} .

فلما أصبح عمر ، سأل عن هذا الذى هو أصبح أهل المدينة والذى هو

دعّب هؤلاء النسوة فإذا هو من بنى سليم فلما جرى به « نظر إليه عمر وإذا هو من أجمل الناس ، فقال له عمر « أنت « والله دشيهي » - مرتين أو ثلاثا - « الذي نفسى بيده » لا تجامعني بأرض أنا بها فقال له الفتى إن كنت مُسِرِّي فسِرني حيث سِرت ابن عمي - (يعنى نصر من حجاج) - فأمر له بما يصلحه ، وسيره إلى البصرة . (١٩)

فجر هذا بلزاء وإلى الأمر ، المسئول عن الحفاظ على الصحة الخلقية للمجتمع المسلم ، يحفظ على القياس ، ويحتفظ لهم باستقامتهم الدينية والدنيوية ولتسلم لهم وفيهم شروط ومؤهلات إقامة العمران ، وتحقيق رسالة الإنسان في الاستخلاف عن الله ، سبحانه وتعالى ، في هذا الوجود يسلك إلى ذلك كل السبل تزكية الجوارح وفنونه ، عندما تنهض بسورها في تحقيق هذه العناية ومنع الفجاء . وتقييد المطلق وسر التعاريف وإقامة لحدود إذا تحولت الجمال وتحولت فنونه عن مقاصدها بالسلوك المالح ، والقول الفاحش لدى بعض من الرجال أو النساء .

ذلك هو منهج الإسلام وهذا واحد من شواهد في عهد عمر بن الخطاب

● وإذا كان مجتمع الخلافة الراشدة - حتى على عهد مودجها المميز عمر بن الخطاب - قد عرف « المجنون » والتَّمَجُّس « ، وميز بينه وبين الغباء ، كع حسن وجميل - وتلك هي طبائع الأمور في كل المجتمعات - فلقد سارت الأمور على هذه السُّنة ، فيما تلا هذا العهد الراشد ، وعلى امتداد الحكم الأموي ودولة بني العباس مع ملاحظة التأثيرات السلبية التي نذرت بها الحياة الاجتماعية بعد اتساع دائرة الدولة بامتداد الفتوحات

لقد فتح المسلمون في ثمانين عامًا أكثر مما فتح الرومان في ثمانية قرون . ولقد أدى اتساع الدولة الإسلامية في هذا الزمن الوحيذ إلى أن أصبح المسلمون أقلية في رعية هذه الدولة لعدة قرون ، الأمر الذي جعل لمواريت الأمم أنتى فتحت بلادها ، في الفنون والآداب ، شيوعاً وسيطرة نهض الإسلام لمغالبة الماجن والفاصد منها ، لكن دون أن يحج أهله في اقتلاع هذا الشيوع وهذه السيطرة من كثير من حواضر هذه البلاد . بل إن الكثيرين من حكام بنى أمية قد رأوا في شيوع هذه الألوان من وسائل اللهو ، وفي إعراق بعض الحواضر الإسلامية في مذاتها ما بصرف الشباب النظام إلى المشاركة في إدارة الدولة وسياسة المجتمع عن سبيل المعارضة لاستثثارهم بشؤون البلاد والعباد^{١٥} . حتى لقد رأيناهم يغرقون حواضر الحجاز - وهي موطن المعارضة لدولتهم ، التي انتقلوا بعاصمتها إلى الشام - رأيناهم يغرقون حواضر الحجاز بلهو العباء الذي اتخذ أربابه مآربه وكلماته من شعر الغزل - حتى في العلمان ، ومن شعر الحمريات ، وكذلك وصنوا إلى إعراق « رصيد المعارضة » في « مستنقع المجور » ، هو الذي تكونت لحرفته طبقة من المغنين والشعراء والقيان^{١٦} .

وفي ظل هذا أوضاع الجديد ، والأمر المستحدث ، الذي غدت فيه الدولة هي راعية الغناء الماجن ، واللهو الفاسق - أو على الأقل تعص الطرف عنه - وحدنا الموقف الكاره أو المحرم لهذا اللهو من طبقة الأعلام الذين تبلورت من حول اجتهداتهم اندامب الكبرى في عقه الإسلام أبو صيفة (٨٠ - ٥٠ هـ - ٦٩٩ - ٧٦٧ م) ومالك (٩٣ - ١٧٩ هـ - ٧١٢ - ٧٩٥ م) والشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ - ٧٦٧ - ٨٢٠ م) وأحمد بن حنبل (١٦٤ -

٢٤١ هـ - ٧٨٠ - ٥٥ م) وهي الآراء - الكراهة أو المحرمة - التي طلعت
تتردد في فتاوى الفقهاء المنكرة بهذا اللون من اللهو - لهُو الفسق والمجون -
في مختلف المذاهب ، وعلى امتداد تاريخ دولة بني أمية ودولة بني العباس
لكن الأمر الذي نسب عليه ، وبلغت إليه الأنظار هو أن هؤلاء الفقهاء
الأعلام قد رويت عنهم وعن فقهاء معاصرين لهم - في الغناء آراء أخرى
تبيح الغناء وتراه حلالاً . الأمر الذي يؤكد على أن أحكام الكراهة أو
التحريم إنما كانت للون من الغناء ، وليس لمطلق الغناء وهذا هو التفسير
الطبيعي واسطفي لاختلافهم في الحكم ، بل واختلاف الروايات المروية عن
أفراد منهم بقصد افتوا بأحكام متفاوتة ، لا لاختلافهم في فهم الدليل أو
النص - فالنصوص التي تبيح الغناء حاسمة ، والتي تحرمه معلولة كما
سبق وعرضنا - وإنما كان اختلاف الروايات المحفوظة لما عن هؤلاء
الفقهاء المؤسسين لمذاهب الكبرى ، نابعاً من اختلاف لون الظهور والغناء
الذي سئلوا عن رأيهم فيه

فالامام أبو حنيفة يروى عنه « كراهة » الغناء بينما العمري ، عبيد الله
ابن الحسن العمري (١٠٥ - ١٦٨ هـ - ٧٢٣ - ٧٨٥ م) لا يرى به بأساً
والامام مالك يحرم الغناء بينما إبراهيم بن سعد الزهري - قاضي
المدينة ومحدثها (١٨٣ هـ - ٧٩٩ م) - لا يرى به بأس وجنى بفهم معنى
تحريم مالك للغناء وكيف أنه لم يكن تحريماً لمطلق الغناء ، ولا لكل غناء
وإنما كان تحريماً لهذا اللون الماجن الذي شاع بالمدينة ، على عهد ، ليعرق
به أرباب الدولة شباب حاضرة الإسلام ومهد دولته عن التطلع للمشاركة
في السلطة والسلطان ، وعن المعارضة للملك العضود الذي حل محل شورى

الإسلام حتى نفهم حقيقة موقف الامام مالك ، عليّنا أن نتأمل نص السؤال الذي وُجّه إليه ، وبصر الحواري الذي روى عنه في الغناء ففيما يرويه الله عنه ، عن الغناء الذي يستعمله أهل المدينة ^{٩٥} . فقال إنما يفعله عندنا الفساق ! »

فالسؤال لم يكن عن مطلق الغناء . وإنما كان عن « الغناء الذي يستعمله أهل المدينة » في ذلك التاريخ ، والذي شاع فيها يومئذ . والجواب كان إدامة بغناء الفساق . ولم يكن تحريماً لمطلق الغناء !

وكذلك الحال نحوه في موقف الشافعي . فالروى عنه أنه « يراه مكروهاً يشبه الباطل » لكن لا بد من البحث هنا ، أيضاً ، عن هذا اللون من الغناء الذي رآه الشافعي « مكروهاً يشبه الباطل » . ولحسن الحظ فإن ابن تيمية يروي لنا ملاحظات حكم الشافعي هذا ، عندما يقول إن الشافعي - بعد أن غادر بغداد إلى مصر - تحدث عن لون من الغناء ، أحدثته الزنادقة في بغداد ، اسمه « التغبير » ، أحدثوه ليصدوا به الناس عن القرآن الكريم . ونص عبارة ابن تيمية « قال الشافعي ، - رضي الله عنه - : حَلَقْتُ ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه « لتعبير » يصدون به الناس عن القرآن » .

أما الإمام أحمد ، فلقد روى عنه في الغناء ثلاث روايات : الحرمة ، والكراهة ، والحر . وأحسب أن اختلاف الروايات عنه في الموضوع الواحد هنا لا علاقة له بالاختلاف في فهم الدليل . وإنما يرجع والسبب هو اختلاف لون الغناء الذي سئل عنه الإمام . ويشهد لذلك حكمه بالكراهة على « التغبير » المحدث . فلقد سئل عنه - كما يقول ابن تيمية - فقال « أكرهه . هو محدث » (٧)

فاختلاف هذه الروايات ، المروية عن الأئمة المؤسسين لكبرى المذاهب
 الفقهية في الإسلام ، إنما ينهض شاهدا على صدق الحقيقة التي تقول إن
 اغناء ، كفن من أفنون الحسنة الجميلة ، قد ظل الموقف منه على أصل
 الإباحة له . بينما اختلفت المواقف من ألوان الغناء التي هبطت بهذا الفن إلى
 درك المجون باختلاف حظ هذا الغناء من ذلك المجور فكان منه المكروه
 وكان منه الحرام ولم يحدث أن عمم الفقهاء ، أو أطلقوا الأحكام حتى
 عندما شاع لهو المجون وغناء الفسق بعد اتساع الفتوحات ، وسيادة
 الترف ، على عهد بنى أمية وبنى العباس

* * *

● وقد استمرت هذه « السُنَّةُ الفقهية » مرعية إزاء ما يحدث في هذا
 الميدان فالحكم على الغناء ، والموقف منه يدور بين الإباحة والكراهة
 والحُرمة ، تبعا لطبيعته ووظيفته ، وعلى قدر اقترابه أو ابتعاده عن مستوى
 وطبيعة ووظيفة الفن الحسن الحميل الذي يمثل ضرورة من ضرورات
 الحياة الإنسانية . وأداة من أدوات الارتقاء بمشاعر وملكات وعرائز
 الإنسان .

بل إن التطور في طبيعة الغناء ووظيفته ، قد صاحبه تطور في الأسماء
 والمصطلحات التي عرفت بها الجديد في ألوانه . ففي العهد النبوي والحلافة
 الراشدة كانت الأسماء التي تطلق على هذا الفن هي « الغناء » و « اللهو » -
 على نحو ما رأينا في مصطلحات القرآن والسنة . ولقد ظلت هذه
 المصطلحات هي الغالبة لعدة قرون . فكانت هي التي استخدمها الإمام ابن
 حزم (٣٨٤ - ٤٥١ هـ - ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) وهو يناقش هذه القضية

ويقيم ما ورد حولها من ماثورات

ولقد رأينا كيف ظهر لون جديد ومحدث من الغناء - على عهد الإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ - ٧٦٧ - ٨٢٠ م) بمقداد - اسمه « التغير » وهو لون من الغناء أحدثه الرنادقة ليصدوا به عن القرآن الكريم ، وهو ، من حيث الوظيفة والتأثيرات ، مختلف عن الغناء واللهو المباح

وعندما شاع التصوف وكثرت جماعاته - بعد شيوع تأثيرات الخواربث الإشرافية الفارسية في ثقافة المسلمين - عرف هذا الفن لونا متميزا من الغناء ، وهو الذي سمي بـ « السماع » وهو الذي عنون به الإمام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م) بنا كتب في هذا الموضوع ثم شاع مصطلحه - « السماع » - في الكتابات التي مثلت أدبيات الصراع بين المتصوفة والفقهاء بهذا الميدان منذ ذلك التاريخ

فنحن لسنا ، إذن ، أمام مصطلحات متعددة للون واحد من الغناء وإنما نحن بإزاء ألوان من الغناء ، تميزت في المقاصد وفي الوظائف وفي طرائق الأداء وفي مضامين النصوص وفي هيئات مجاسها ، كما تميزت في الأسماء والمصطلحات ومن ثم فلا بد وأن تتميز - كما رأينا في فناوى الفقهاء المؤسسين - في الأحكام الشرعية التي تطلق عليها فالغناء واللهو ، الذي رخص فيه الإسلام - لأنه دين ميسر - على حد التعبير النحوي الشريف - رخص فيه ترويحاً عن النفس ، وتجديداً بنشاطها ، وطلب للسعادة وأسرور والفرح في مناسباتها وعى مقاديرها هو مختلف في الحكم الشرعي عن « التغير » الذي ابتدعه الرنادقة ليصدوا به عن القرآن الكريم وتلك بديهة لا يمكن أن تكون موضوعا للخلاف أو الاختلاف

و « السماع » الصوفى ، الذى ابتدعه المتصوفة ، قد ظل مقبولا من جيل
أئمة التصوف الذين حكموا تجاربهم الصوفية ومجاهداتهم الدائيه
ورياضاتهم الروحية بإطار الشريعة وأحكامها فلقد كان « السماع
الصوفى » يومئذ « فنا » يستعين به الصوفية على « الحضور » وعن هذا
الطور وهذا اللون من « السماع » - كفن من فنون الغناء - كتب الإمام
الغزالى ما كتب فى (إحياء علوم الدين)

لكن طورا آخر من أطوار الفكر الصوفى ، تصاعدت فيه نسبة وتأثيرات
العكر « الغنوصى - الباطنى » ، تحول فى ظله هذا « السماع » من « فن »
يعين على « الحضور » إلى حيث جعلوه « عبادة دينية » و « شعيرة إسلامية »
و « قربة » يتقربون به إلى الله سبحانه وتعالى بل لقد بلغوا به الحد الذى
قدموه فيه على القرآن الكريم ، كما فعل الزنادقة الذين أحدثوا « التغيير » فى
بغداد .. أو هكذا فعل نفر منهم

وهنا ، وبإزاء هذه « البدعة » فى الدين ومبادئه وشعائره ، كان إجماع
الفقهاء المجتهدين على تحريم هذا اللون من « السماع » فلم يكونوا بإزاء
« فن » يتفاوت حظه من حسن المقاصد والوظائف ، وإنما كانوا بإزاء « بدعة »
فى الدين وعباداته وشعائره ، وهو الميسار الذى يجب فيه « الإتياع » ويحرم
فيه « الابتداع » باتفاق فقهاء الإسلام المجتهدين .

وهذه الحقيقة هى التى تعينا على فهم وتفسير الخلاب الذى قد يبدو
أحيانا بين بعض الفقهاء حيار هذا « السماع » فالذين أباحوه ، هم الذين
نفوا عنه صفة « العبادة » و « الشعيرة الدينية » ، فأدخلوه فى إطار الفنون
المباحة ، التى تعين على العبادات . والذين حرّموه ، أو كرهوه ، فعلوا ذلك

نقياً للبدعة والابتداع في مجال الدين .. وورد من دواعي موقعهم هذا -
موقف التحريم - ما طرأ على التصوف والصوفية - وخاصة في هذا السماع
- من بدع وخرافات وتجاوزات لا يرضى عنها الإسلام

ولعل القراءة المتأملة في نصوص الإمام الغزالي - ثم في نصوص الإمام
أبن تيمية - وببيهما قرون حدث فيها هذا التطور في هذا « السماع » - ما
يؤكد صدق هذا الذي نقول

لقد أبرز هذا التطور - الذي جعل « السماع » « عبادة دينية » - أبرز
الطابع « الغنوصي - الباطني » للتصوف الذي امتشر يومئذ في عالم
الإسلام تصوف « وحدة الوجود » ، واحتقر العمل والأسباب ..
وتهميش الإنسان ، باعتبار « الحقير » الذي لا سبيل لحلاصه إلا
« بالقناء »!

وزادت المخاطر المحدقة بالإسلام ، من هذا التصوف « الغنوصي
الباطني » عندما خلط أعلامه « الأوراق الحضارية » ، في حقبة كان دفاع
الإسلام من ذاته العقدية وهويته الحضارية وحسود وطه ، أمام جحافل
الغزو التتري والصليبي قضية « وجود » أو لا وجود ؟!

لقد كان تصدى الإسلام - بالقلم وبالسيف - لباطنية ذلك العصر إعلالاً
لثغرة مفتوحة في جدار المقاومة الإسلامية لجحافل الغزاة وفي قلب
الخطر المحدق ، المهديد للهوية والوجود ، يكون « تميز الهوية الحضارية »
طوق النجاة من السحق والمسخ والتشويه بينما يكون « التميع
الحضاري » سبيلاً إلى التسعية والنوبان في النمط الحضاري للغزاة ؟!

فتشدد ابن تيمية - وهو فارس ذلك العصر - الذي كان يتلمس سمات

وقسمات (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم) - وهذا عنوان أحد كتبه كان في حقبة الخطر انتقري - الصليبي - هو السبيل لإبراز مفكر « الاستقلال الحضارى للأمة » . بينما كان ابن عربى ، الذى خلط الأوراق ، باسم « دين الحب » الذى جعل من قلبه مكانا لكل الكتب وكل المعنويات ، حتى الأحجار منها والحيوانات ! وكذلك السهروردي - المقتول - (٥٤٩ - ٥٨٧ هـ - ١١٥٤ - ١١٩١ م) الذى سلك ، مع نبي الإسلام ، حكماء « وأبناء » الفرس واليونان في سلسلة واحدة ومتصلة ، أدخل فيها ررادشت وأفلاطون ، . وسلك ، مع القرآن ، محاورات أفلاطون و « الكتب المستورة » ١٤ و « الوحي الكلداني » ١٥ في سلسلة واحدة أبيض (١٨)

كان ابن عربى والسهروردي - وامثالهما - في حقبة هذا الخطر نموذج المفكر الذى يفتح منافذ عقل الأمة لتهب عليه العواصف الوافدة ، مهددة هويته - وهى في لحظات الصعف - بالاقتراع :

تلك هى راوية الرؤية « التاريخية - والحضارية » لتركيز الغزالي المهموم عن الباطنية - في كتبه (فصائح الباطنية) - وتركيز ابن تيمية هجومه على رموز الباطنية وبعدها ، ومعها « سماع الصوفية » الذى جعلوه دينا وعبادة وشعيرة قدموها على القرآن الكريم مع تمييزه بين هـ « السماع - البدعة » وبين « الغناء والتهو » ، كفن حسن وحميل مباح

لقد رآه الغزالي « قنا » من العصور المباحة ، تعرض عليه الأحكام التى تعرض على المباح وتحدث عنه كأداة تعين الإنسان على أداء التكليف والواجبات ، « نيوية كانت أو ديمية » ولم يرفه « عباده » من العبادات

أما ابن تيمية فلقد هاجم منه ذلك اللون الذي جعلته « الباطنية » الصوفية « عبادة » أصاقتها - بالابتداع - إلى شرع الله . فلا حلاص في الحقيقة . حول حوهر القصية بين جميع الفقهاء المجتهدين في هذا المقام فلقد ميزوا جميعا بين « العى » ، المباح والمرخص به وفيه ، وبين « الابتداع الباطنى » في الشعائر والعبادات

وإن قراءة في نصوص حجة الإسلام الغزالي ثم في نصوص شيخ الإسلام ابن تيمية ، لتؤكد هذه الحقيقة التى يقدمها حقيقة معايره ما حرّمه ابن تيمية لما أباحه الغزالي ومن ثم تؤكد على ضرورة إنهاء ذلك الحلط الحادث الآن بين « الفن الجميل » ، الذى يهذب النفس ويرتقى بملكاتها ، ويعين الإنسان على القيم برسالة الاستخلاف عن الله سبحانه في بناء العمران وبين المنكر من « السماع » مسقا ومجوما وانحلالا خلقيا كان هذا المنكر ، أو ابتداعا في شعائر الدين والعبادات .

كذلك ، يجب أن نعى ونحن نطالع نصوص الغزالي ونصوص ابن تيمية ، تلك الفوارق التى أحدثها التطور وملاساته في عقور الفقهاء فوارق مجتمع ابن تيمية المحارب ، دفاعا عن الهوية والوجود ، التى ميزته عن مجتمع الغزالي - الذى أبدع ما أبدع قبل حقبة « الشدة الصليبية » القترية » وبعيدا - من حيث المكان - عن بداياتها

وأن نصر ، كذلك ، الفوارق التى طلعت وميرت فكر العلماء والأعلام في كل من الحقيقتين . ففي عصر الغزالي ، لم يكن التصوف قد انفصل عن العقه - وإن كان قد تميز - فكانت قلوب الصوفية ومواجيدهم مضبوطة بمنطق الفقهاء وعقولهم ، ومن ثم فلم يكن الصراع قد شب بينهما . أما في عصر

ابن تيمية ، فلقد كان الخصام قائماً بين زهر من الصوفية الذين لا عقل لقلوبهم ، وبين عدد من الفقهاء الذين لا قلب لعقولهم^{١٤} وذلك فضلاً عن الريبة التي زرعتها في قلوب الفقهاء خيانة الناطقية للأمة والدولة ، عندما أعلنت التتر على احتياح بغداد ، فوقفت معهم ، ومع الصليبيين و الحندق المعادي لحضارة الإسلام^{١٥} . وهى الريبة التى ألفت الطلائ السلبية على محرم ممارسات الصوفية في ذلك التاريخ



وإذا كنا قد أثربا أن نقدم لقارئ هذا الكتاب ما هو أكثر من الدراسة التي اجتهدت لتجسم هذه القضية ، وذلك بواسطة « الملحق » الذي ديلنا به هذا الكتاب ، والذي قدمنا فيه العصوص المحققة التي كتبها

١ - الإمام ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦ هـ - ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) - والتي حقق فيها « رواية » المأثورات التي رويت في اللهور والغباء - ونعدها نقد الحبير الفذ بالرواية والرواة

٢ - وحجة الإسلام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م) - والتي أبدع فيها تحليل موقف الإسلام من ألوان « السماع » - إبداع العريى والفقيه وعالم النفس والفنار والفيلسوف المتصوف

٣ - وشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ - ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) - والتي ميز فيها بين ألوان « السماع » - ما هو فن - منها مباح ، وما هو « ابتداع في الدين » .

إذا كنا قد أهدنا « الملحق » لكامل نصوص هؤلاء الأئمة المحتهدين الذين يمثلون معالم الفكر والاجتهاد الإسلامى ، في هذه القضية ، على امتداد ستة

قرون - من القرن الهجرى الرابع حتى التاسع - فإننا نؤثر أن نسوق هنا طرفاً مما كتب الغزالي .. وابن تيمية ، كنموذج معبر عن احتشاد كل منهما في هذا الميدان .

● لقد عرّص الغزالي لهذه القضية في كتابه (إحياء علوم الدين) وعقد لها (كتاب آداب السماع) الذى تناول فيه أهم جوانب هذا البحث بالتحليل ، ثم اجتهد لتبريل الحكم الشرعى على كل لون من ألوان «السماع»

(أ) فعنده - في نظرية الفن الإنسانى - ما يمكن أن يدرج تحت نظرية « المحاكاة » . فالأصوات الجميلة - من حنجرة الإنسان ، أو من الآلات التى يصنعها لتعزف الأصوات الجميلة - إنما هى محاكاة الصنعة الإنسانية للخلقة الإلهية ، التى أودعها في الأصوات الجميلة للطيور وما شابهها . « فالأصل في الأصوات حياحر الحيوانات ، وإسما وصعت المزامير على أصوات الحناحر ، وهو تشبيه للصنعة بالخلقة التى أسناثر الله تعالى باحترامها . فمنه تعلم الصناع ، وبه قصدوا الاقتداء فسماع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة أو موزونة ، فلا ذاهب إلى تحريم صوت العنديل ، وسائر الطيور ، ولا فرق بين حنجرة وحنجرة ، ولا بين جماد وحيوان ، فينبغى أن يقاس على صوت العنديل الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باحتيار آدمى ، كالذى يصرح من حلقه أو من القضيب والطبل والدف وغيره . » (٩)

ذلك هو الأصل في الأصوات الجميلة إنها تشبه للصنعة الإنسانية بالخلقة الإلهية ، فهى تقليد وإسباغ وإقناء ومحاكاة .

(ب) ثم يعرض الغزالي لأنواع السماع ، التي كانت معروفة في العصر الذي عاش فيه وفي أثناء هذا العرض يتحدث حديثاً دقيقاً ورقيقاً ورائعاً عن نوعين من أنواعه هما اللذان دار - ولا يزال دائراً - حولهما الجدل والغلط والخلاف سماع العشاق .. وهو الذي يمثل قسماً كبيراً من الغناء الآن وسماع الصوفية ، العاشقين لذات الله ، سبحانه وتعالى

١ .. فأما عن سماع العشاق الغناء والألحان التي تحرك أشواقهم لمن يعشقون فإن الغزالي يراه حلالاً مباحاً إذا كان المعشوق ، الموصوفة محاسنه ، والذي يُنزلُ عليه السامع المعاني والأوصاف ، هو مما يحل أن ينظر إليه وإلى محاسنه ويتمتع بها هذا السامع في الحلال .. « فسماع العشاق ، تحريكاً للشوق ، وتهيجاً للعشق ، وتسلياً للنفس ، إن كان في مشاهدة المعشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع المفارقة ، فالغرض تهيج الشوق ، فالشوق ، وإن كان ألبساً ، ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه رجاء الوصال ، فإن الرجاء لذيق ، واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قوة الشوق والحب للشيء المرجو ، ففي هذا السماع تهيج العشاق ، وتحريك المعشوق ، وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال ، مع الإطناب في وصف حسن المحبوب وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممر بياح وصاله ، كمن يعشق زوجته ، فيصغي إلى غنائها لتضاعف لذته في لقائها ، فيحظى بالمشاهدة مبصر ، وبالسماع الآتني ، ويفهم لطائف معاني الوصال والفراق القلب ، فتترادف أسباب اللذة فهذه أنواع تمتع من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب ، وهذا منه (ولكن) لا يحوز تحريك الشوق حيث لا يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء

وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو امرأة لا يحل له النظر إليها ، وكان يَفْزَلُ ما يسمع على ما تمسَّلُ في نفسه ، فهذا حرام ، لأنه محرك للفكر في الأفعال المحظورة ، ومهيج للداعية إلى ما لا يباح الوصول إليه وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة لا ينفكون عن إضمار شيء من ذلك ، وذلك ممزوج في حقهم ، لما فيه من انداء الدفين ، لا لأمر يرجع إلى نفس السماع ، ولذلك سئل حكيم عن العشق ، فقال : دخان يصعد إلى دماغ الإنسان ، يزيله الحماح ، ويهيجه السماع ' « (١)

هكذا - في الحديث عن سماع العشاق - يجعل العزالي فيلسوفاً موسوعياً فهو حبيب بأحوال النفس ، وغرائز الجسد ، وحالات العواطف ، وأطوار الاجتماع الإنساني وهو في القمة من الدقة في استخدام ميران الشرع - على ضوء المصلحة المعتبرة - في تحديد الحلال والحرام من هذا السماع الحلال والحرام في حق السامع ، وليس في ذات السماع

٢ - أما سماع الصوفية - أي الوجود - ذلك الذي دار من حوله معظم الجدل في قضية « السماع » ، فإن العزالي - الذي سبق مصر ابن تيمية - ولم يشهد تقشّي البدع التي بلغت بالباطنية حد جعلهم هذا السماع « عبادة دينية » بديلة عن العبادات التي شرعها الله - إن العزالي يرى في هذا السماع حلالاً لأهله ، الذين يوظفونه كمحرك يسوقهم نحو المريء من حبهم لله فهو « أداة » من الأدوات ، وليس « عبادة » من العبادات . « سماع من أحب الله وعشقه ، واشتاق إلى لقائه ، فلا ينظر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه قارع إلا سمعه منه أو فيه ، فالسماع في حقه مبهج لشوقه ، ومؤكد لعشقه وحبه ، ومُورٍ زناد قلبه ، ومستخرج معه

أحوالا من المكاشفات والملاطقات لا يحيط الوصف بها ، يعرفها من ذاقها ،
وينكرها من كل حسه عن دوقها ، وتسمى تلك الأحوال - بلسان الصوفية -
وَجْدًا - مأجود من الوجود والمصادفة ، أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن
يصادفها قبل السماع -

ولعلك تقول كيف يتصور العشيق في حق الله تعالى ، حتى يكون السماع
محركا له ؟ .

فاعلم ، أن من عرف الله أحبه لا محالة ، ومن تأكدت معرفته تأكدت
محبهه بقدر تأكد معرفته ، والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا ، فلا معنى
للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ، ولذلك قالت العرب إن محمدا قد عشق
ربه ، لما رأوه يتخلل لعبادته في حبل حراء وكم من الغلاة في حب أرباب
المذاهب ، كانشافعى ومالك وأبى حنيفة ، رضى الله عنهم ، حتى يبذلوا
أموالهم وأرواحهم في مصرتهم وموالاتهم ويريدوا على كل عاشق في العلو
والمناغة ، ومن العجب أن يُعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته ،
أجميل هو أم قبيح ؟ وهو الآن ميت ، ولكن لحمال صورته الباطنة ، وسيرته
المرضية ، والحيارات الحاصلة من عمله لأهل الدين ، وغير ذلك من الحصال ،
ثم لا يُعقل عشق من ترى الحيرات منه ، بل ، على التحقيق ، من لا حيرة لا
حمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسنه ، وإثر من آثار
كرمه ، وغرمة من سمر جوده ، بل كل حسن وحمال في العالم أدرك بالعقول
والأنصار والأسماع وسائر الحواس ، من مبتدأ العالم إلى مفرضه ، ومن
ذروة الثريا إلى منتهى الثرى ، فهو ذرة من خزائن قدرته ، ولمعة من أنوار
حضرته . إن ليس في الوجود ، تحقيقا ، إلا الله وأفعاله ، ومن عرف الأفعال ،

من حيث إنها أفعال ، لم يحاوز معرفة الفاعل إلى غيره . فكل موجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله وفعله ، ويندفع أفعاله فمن عرفها من حيث هي صبح الله تعالى فرأى من الصبح صفات الصانع كما يرى من حسن التصنيف فصل المصنّف وحالة قدره ، كانت معرفته ومحبه مقصورة على الله تعالى ، غير مجاوزة إلى سواء

ومن حد هذا العشق أنه لا يقبل الشراكة ، وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشراكة ، إذ كل محبوب سواء يتصور له نظير ، إما في الوجود ، وإما في الإمكان ، فأما هذا الجمال فلا يتصور له ثان ، لا في الإمكان ولا في الوجود ، فكان اسم العشق على حب غيره مجازاً محضاً لا حقيقة

نعم ، الناقص ، القريب في نقصاته من البهيمية ، قد لا يدرك من لفظة العشق إلا طلب الوصل ، الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأحسام ، وقضاء شهوة الوقاع ، فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يُستعمل معه لفظة العشق والعشوق ، والوصل ، والأنس ، بل يجب هذه الألفاظ والمعاني ، كما تجنب البهيمية الرجس والريحان ، وتخصص بالقت والحشيش وأوراق القصبان ، فإن الألفاظ إنما يجوز إطلاقها في حق الله تعالى ، إذا لم تكن موهمة معنى يجب تقديس الله تعالى عنه ، والأوهام تختلف باختلاف الألفاظ ، فليقتبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ . « (١١) »

هنا يضبط الغزالي « سماع الوجد » الصوفي ، الذي رآه حالاً مباحاً ، بصوابط الشرع ، فهو مبرأ عن التشبيه والتجسيد وهو مباح لأهله ، من الخاصة ، ذوي التجربة الذاتية ، والرياضة الروحية ، والمجاهدة التي تبلغ بأصحابها فوق ما يبلغ العوام . وهذا اللون من التصوف ، مضبوط

بضوابط الشرع فأصححانه يرون أن الوجود الحقيقي متحقق لله ولا فعالة، ومن ثم فإنهم لا ينفون الوجود الحقيقي عن ما سوى الله، كما هو حال صوفية وحدة الوجود، دوى الأصول « العنصرية - الباطنية »، أولئك الذين علا بهم في ديار الإسلام عندما دخلت الحضارة الإسلامية طور التراجع وهم الذين باصنهم من تيمية، وناصر سماعهم العناء الشديد!

(جـ) وبعد أن تحدث العرالي عن أنواع السماع، عرض لحكم الشرع فيه فرأى أن منه الحرام، والمباح والمكروه والمستحب فهو حرام في حق الأغرار الذين « غلبت عليهم شهوة الدنيا، فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو العالب على قلوبهم من الصفات المذمومة » وهو مكروه لمن يسرف فيه، فمتحذه عادة بصرف إليها « أكثر الأوقات، على سبيل اللهو » وهو مباح لمن يتحذه سبيلا إلى « التلذذ بالصوت الحسن » وهو مستحب في حق الذين يحبون الله، ويتحصون منه أداة تحرك منهم « الصفات المحمودة » دون غيرهم (١٢)

وإذا كان السماع حلالا مباحا في ذاته، فإن حرمة إنما تعرض لعارض خارج عن ذاته، قد يكون في مصدره - المستمع -، أو في آله - آلة الإسماع - أو في نظم الصوت، أو في متلقيه - في نفس المستمع، أو في مواظبته عليه - أو في طبيعة المتلقي، ومستواه - كأن يكون من عوام الخلق - الذين يصرفون معاني ألفاظ الوجد إلى ما لا يليق بذات الله .

تحدث العرالي عن هذه العوارض الخمسة التي تعرض للسماع - المباح في ذاته - فتخلطه حراما، فقال « إنه يحرم بخمسة عوارض عارض في

المُسْمَع ، وعارض في آلة الإسماع ، وعارض في نظم الصوت ، وعارض في نفس المستمع أو في مواعظته ، وعارض في كون الشخص من عوام الخلق لأن أركان السماع هي المُسْمَع ، والمستمع ، وآلة السماع

العارض الأول :

أن يكون المُسْمَع امرأة لا يحل النظر إليها وتخشي الفتنة من سماعها ، وفي معناها الصبي الأمرد ، الذي تخشى فتنته ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة ، وليس ذلك لأجل العناء ، بل لو كانت المرأة بحيث يفقد بصوتها في المحاورة من غير الحار فلا يجوز محاورتها ومحادثتها ، ولا سماع صوتها في القرآن أيضا ، وكذلك الصبي الذي تخاف فتنته

العارض الثاني :

في الآلة بأن تكون من شعار أهل الشرِّب أو المختئرين وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة

العارض الثالث :

في نظم الصوت ، وهو الشعر فإن كان فيه شيء من الخنا والفحش والهجو فسماع ذلك حرام ، بالحن وغير الحان ، والمستمع شريك للقائل ، وكذلك ما فيه وصف امرأة بعينها ، فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال وأما النسب ، وهو التشبيه بوصف الخدود والأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء ، فهذا فيه نظر والصحيح أنه لا يحرم نظمه وإشاعه لمن وعير بمن ، وعن المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة ، فإن أنزله فليزله على من يحل له ، من زوجته وجاريته ، فإن أنزله

على أحعية فهو العاصى بالتريل . وإجالة الفكر فيه . ومن هذا وصفه
فيبغى أن يجتنب السماع رأسا

المعارض الرابع .

في المستمع ، وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه ، وكان في عمرة الشباب ،
وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسمع حرام عليه . سواء غلب
على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب ، فإنه كبقما كان فلا يسمع وصف
الصنع والحد ، والعراق والوصار ، إلا ويحرك ذلك شهوته ، وينزله على
صورة معينة . ينفخ الشيطان بها في قلبه ، فتشتعل فيه نار الشهوة ، ويحدد
بواعث الشر . وذلك هو الصورة لحزب الشيطان ، والتخذي للعلل المانع منه ،
الذي هو حزب الله !

المعارض الخامس :

أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله تعالى ،
فيكون السماع في حقه محبوبا ، ولا غلبت عليه الشهوة ، فيكون في حقه
محظورا ، ولكنه أبيع في حقه كسائر أنواع اللذات المباحة ، إلا أنه إذا اتخذ
ديدة وهجراه ، وقصر عليه أكثر أوقاته ، فهذا هو السفه الذي ترد
شهائته ، فإن المواظبة على اللهو جناية . وكما أن الصغيرة بالاصرار
والمداومة تصير كبيرة

فكذلك بعض المباحات بالمداومة يصير صغيرة ومن هذا القيل اللعب
بالشطرنج ، فإنه مباح ، ولكن المواظبة عليه مكروهة ، كراهة شديدة ،
ومهما كان العرص من اللعب والتلذذ باللهو ، هناك إنما يباح لنا فيه من

ترويح القلب ، إذ راحة القلب معالجة له في بعض الأوقات ، لتتبعث سواعيه فتشتغل في سائر الأوقات بالجد في الدنيا كالكسب والتجارة ، أو في الدين ، كالصلاة والقراءة ، واستحسان ذلك فيما بين تضاعيف الجسد كاستحسان الخال على الحد ، ولو استوعبت الخيالان الوجه لشوهرته فيعود الحس قبحا بسبب الكثرة ، فما كان حس بحس كثيره ، ولا كل مداح يباح كثيره ، بل العبر مباح والاستكثار منه حرام فالسمع من جملة المباحات ، من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم ، وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته « (١٣) »

فما لم تغلب الغفنة ، أو الفسق والحا والمجون ، أو استعراق اللهو لحياة الإنسان ، بسبب السماع ، فإنه يبقى على الأصل فيه فهو « من جملة المباحات ، من حيث إنه سماع صوت طيب موزون مفهوم . وإنما تحريمه لعارض خارج عن حقيقة ذاته . »

(د) بل إن الإمام الغزالي يؤكد لنا هذه الحقيقة ، عندما ييبه على أن السماع قد يحرم حتى وإن كان تشجيعا على الجهاد في سبيل الله ، إذا كان السامع غير مأدون له في هذا الجهاد ! وإذا كانت أصواته ونغماته من الرقة والحزن بحيث ترقق قلوب وعواطف من يريد أن يبعث فيهم بأس وشدة المجاهدين . كما يحرم كذلك ، إذا كان تشويقا إلى حج بيت الله الحرام ، مع من أدى الفريضة ، ولم يأنس له .. مثلا - أبواه في السفر إلى الحج ! فإباحته مشروطة بأن يكون في المكان والزمان الذي يؤدي فيه المقاصد الطيبة الحسنة المبتغاة من وراءه وحله ، وحرمة ، واستمبابه ، وكراهته ، إنما تدور مع المقاصد التي يحققها للإنسان . وكما لا يحسن

تهييج انبساط للحرب في أوقات السلم ، كذلك لا يحسن تعريض أسمع
لحدد، في معسكرات الحرب ، للأغنام الهادئة المهددة للبعوس ، والمرققة
للغواطف ، والمنبطة للعرائم ، والمحنة القاصصة للقلوب فوضع الندى في
موضع السيف ، أو لعكس ، حماقة نضهى عنها العقل والدين^١ .

يحدثنا الإمام الغزالي عن هذه الحقيقة عند يفور عن أنواع الأوران
والألحان والأصوات ، ومناسباتها « وطرق الأوران المشجعة تحالف
الطرق المشوقة ، وهذا صائح في وقت يباح فيه انعرو ومتدوب إليه في وقت
عستحب فيه العزو ، وكفى في حق من يجوز له الخروج إلى الغزو ، ويبغى
أن يمنع من الصرب بالشاهين^(١٢) في معسكر الغزاة ، فإن صوته مرقق
محرر ، يحلل عقدة الشجاعة ، ويضعف ضرامة النفس ، ويشوق إلى الأهل
والوطن ، ويورث الفتور في القتال ، وكذلك سائر الأصوات والألحان المرققة
للقلب ، فالألحان المرققة المحزنة تبيس الألحان المحركة المشجعة ، ومن فع
دلب على قصد تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عاص
ومن فعله على قصد التثوير عن القتال المحطور فهو بذلك مطيع ! » (١٥)

وكما هو الحال مع الحرب والسلم ، يكون الأمر مع الحج إلى بيت الله
الحرام « فإد ، قصد بالسماح تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج ،
كالذي أسقط الفرض عن نفسه ، ولم يأذن له أبواه في الخروج ، فهذا بحر
عليه الخروج ، فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماح ، وبكل كلام بشوق إلى
الخروج ، فإن التشويق إلى الحرام حرام ، وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة ،
وكان الهلاك غالب لم يجز تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق

وهكذا . متى كان البطر في السماع باعتبار تأثيره في القلب ، لم يحز أن

يحكم فيه مطلقا برأحة ولا تحريم ، بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص ، واختلاف طرق النغمات ، فحكمه حكم ما في القلب « ٦ » .
فحنس ، مع هذا الفن الجميل ، بإزاء « سلاح » من أمضى « أسلحة »
الأمه ، في الحرب والسلام على حد سواء ١٩

(هـ) ثم ينتهى الغرالى إلى تأسيس حكم الشرع في الغناء - كفن - على
وطيفة هذا الفن في الحياة السوية للإنسان السوي . فهو ضرورة لانتظام
هذه الحياة على النحو الذى يجعلها مثمرة الثمرات المرجوة منها ، سواء
أكان ذلك في ميادين الدنيا أم في ميادين الدين « فاللهو مروح للقلب ،
ومخفف عنه أعباء الفكر ، وأقلوب إذا أكرهت عميت ، وترويحها إعانة لها
على الجهد ، فالمواظب على التفقه ، مثلا ، ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة ، لأن
عطلة يوم تبعث النشاط في سائر الأيام ، والمواظب على نوافل الصلوات في
سائر الأوقات ، ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة
في بعض الأوقات فالعطلة معونة على العمل ، واللهو معين على الجهد ، ولا
يصبر على التحمل المحض والحق المر إلا نفوس الأنبياء ، عليهم السلام
فاللهو دواء القلب من داء الإعياء والملال ، فينبغى أن يكون مباحا ، وبكر لا
ينبغى أن يستكثر منه ، كما لا يستكثر من الدواء « ٧

فهو ضرورة عمل ونتاج ، في شئون الدنيا وفي شعائر الدين . وهو
ضرورة للارتقاء بعواطف الإنسان ومشاعره وملكاته ، لتحقيق فيه حقيقة
إنسانية الإنسان ولذلك ، قيل : كما يروى الإمام الغرالى « من لم
يحركه الربيع وأزهاره ، والعود وأوتاره ، فهو فاسد المزاج ، ليس له
علاج »

« . إن تأثير السماع في القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو ساقص مائل عن الاعتدال بعدد عن الروحانية ، رائد في غلط الطبع وكتافته على الجمال والطيور ، بل على جميع البهائم ، فإن جميعها تتأثر بالنغمات المورقة . ولذالك كانت الطيور تقف على رأس داود - عليه السلام - لاستماع صوته » (١٨)

هكذا عرض الغرالى القضية ، عبر هذا النحو الواضح والمحدد والحاسم والدقيق ، من مختلف جوانبها ، في كتابه (إحياء علوم الدين) .. وهو الكتاب الذى استهدف به تحقيق غاية حليمة هي إنهاء الفصام والتناقض بين « الفكر » و « العمل » في النسق الفكرى لحضارة الإسلام !

* * *

● أما شيخ الإسلام ابن تيمية .. والذى واحه واقعا فكريا متميزا وملابسات واقعية وسياسية متميزة - قراجعا حضاريا ، جعل الإسلام الحق في موقف الدفاع واستشراء للفكر الغنوصى الباطنى ، أضاف الكثير من البدع إلى عقائد وشعائر الدين ، وحيانة الباطنية لأمن الوطن على النحو الذى سهر وأعان على اجتياح التتار لمشرق ديار الإسلام ، وتدمير عاصمة الخلافة بغداد . أما ابن تيمية ، الذى واحه هذا الواقع المحدد فيه ، في الوقت الذى ميز - في الغناء والسماع - بين

(أ) سماع الدين أى سماع القرآن والسنة ، وعلومهما التى ينتفع بهما فى الدين

(ب) والسماع ، الذى هو فن حميل ومباح ، قد رخص فيه الدين للناس ، رغعا لمخرج من حياتهم

(حـ) والسماع . « كعبادة من العبادات ذلك الذي أحدثه واستدعه باطنية المنصوفة وجعلوا منه شعيرة ديدية قدموها على الشعائر والعبادات التي شرعها الله وحددها رسوله - صلى الله عليه وسلم - في الوقت الذي ميز فيه ابن تيمية بين أنواع السماع هذه رأيناها يصب جام عصبة ، ويوجه أقصى نقده ، ويصوب أغلب سهامه إلى الخطر الرئيسي ، والبدعة المنكرة إلى السماع ، « كعبادة مُبتدعة » ومضافة إلى ما لا يجوز فيه الإضافة والابتداع

وإذا كنا قد أثبتنا نصوص فتاوى ابن تيمية في هذا الموضوع ، « بملحق » هذا الكتاب فإننا نورد هنا تصانيف شاهدة على تمييزه هذا بين أنواع السماع هذه ، وعلى الحجج التي استند إليها في تحريم هذا السماع المُحدث ، وكيف أن هذه الحجج لا تتعلق بالسماع في ذاته ، وإنما يجعلهم إياه عبادة دينية ، أي بما عرض له من جعله ديناً ، وتوظيفه في الصد عن العبادات والشعائر التي فرضها وسنها الدين ، وأيضاً بما عرض له من حيل شيطانية وخرافات ضارة ، ارتبكت به عند الذين مارسوه

١ - فهو يدعو سائله عن حكم « السماع » إلى أن « يفرق بين السماع الذي ينتفع به في الدين » وهو السماع الحاصل بالمتقربين إلى الله ، بالقرآن الكريم ، على النحو الذي كان يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصحابته ، ومن اقتدى بهم من التابعين وتابعي التابعين .

يدعو سائله إلى أن يفرق بين هذا اللون من السماع - المطلوب دينياً

وبين

٢ - السماع المباح ، الذي رخص فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للأمة ، رفعا للخرج من حياتها

« قلقد رخص النبي في أنواع من اللهو في العرس ونحوه ، كما رخص للنساء أن يصرن بالدق في الأعراس والأفراح رفعا للخرج ومن هذا ألعاب - باب الرحصة - حديث عائشة - رضى الله عنها - لما دخل عليها أبوها - رضى الله عنه - في أيام العيد وعندها حاريتان من الأنصار تغريان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعث ، فقال أبو بكر رضى الله عنه

« أئمزمار الشيطان في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - »^{١٥} .

- وكان رسول الله مُعْرِضًا بوجهه عنهما ، مُقْبِلًا بوجه الكريم إلى الحائط ، فقال

« دعهما ، يا أبا بكر ! فإن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا أهل الإسلام »^١

٣ - أما ذلت النوع الثالث من السماع ، وهو « السماع - العبادة - المبتدعة » ، فإن من تيمية يقطع بتحريمه ، كما قطع القرآن الكريم بتحريم نظيره الجاهلي - « المكاء والتصدية » اللذين جعلهما المشركون ، في الجاهلية ، عبادة يتغربون بها إلى الأصنام^١ .

وعن هذا النوع من السماع يفيض في الحديث فيقول « وأما سماع المكاء والتصدية - وهو التصفيق بالأيدى ، والمكاء مثل الصغير ونحوه - فهذا هو سماع المشركين ، الذي ذكره الله تعالى في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)^(١٦) فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قُرْبَةً وِدِينًا ولقد عُرِفَ بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يشرع لصالحى أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة ، مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدق كما لم يبيح لأحد أن يخرج عن متابعتة ، واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة ، لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ، ولا لعامى ولا لخاصى »

فالحُرمة هنا لأنهم قد جعلوه « قرمة ودين » وشرعوا ما لم يشرع النبي
« عليه الصلاة والسلام » وليس المقصود منهم بهذا السماع مجرد رفع
الحرج ، بل مقصودهم بذلك أن يُتَّخَذَ طريقا إلى الله يجتمع عليه أهل
الديانات لمصالح القلوب والشويق إلى المحبوب فيسعرل به الرحمة ،
وتستجلب به النعمة حتى يقول بعضهم إنه أفضل لبعض الناس أو
للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه ، حتى يجعلونه قوتا لقلوب ،
وغذاء للأرواح ، وحاديا للغفوس يحدوهم إلى السير إلى الله ، ويحثهما على
الإقبال عليه ، ولهذا يوجد من اعتاده واعتدى به لا يحن إلى القرآن ولا يفرح
به ، ولا يحد في سماع الآيات كما يجد في سماع الآيات ، بل إذا سمعوا
القرآن سمعوه بقلوب لاهية والسن لاغية وإذا سمعوا سبع المكاء
والتصدية حشعت الأصوات ، وسكنت الحركات وأصغت القلوب ،
وتعاطلت المشروب » (٢)

هذا هو السماع البدعي وهؤلاء هم أهله المتدعون في الدين . وهو
سماع لا علاقة له بالغناء ، كمن جميل ، متاح ومرخص به في الدين ولا
علاقة بين وظائف هذا ووظائف ذلك ولا بين أهل هذا وأهل ذلك
وفي موطن آخر من فتاوى ابن تيمية ، وإجابة عن سؤال حول ذات
القضية - قضية حكم « السماع » ، انتهى جعله بعض الصوفية عبادة من
العبادات وقربة من القربات - يقول ابن تيمية « وقول السائل ، وغيره
هل هو (السماع) - حلال أو حرام ؟ لفظ مجمل ، فيه تلبيس ، يشتبه
الحكم فيه ، حتى لا يحسن كثير من المفتين تمرير الجواب فيه ، وذلك أن
الكلام في السماع وغيره من الأفعال على ضربين .

أحدهما : أنه هل هو محرم ، أو غير محرم ، بل يفعل كما يفعل سائر
الأفعول التي تلت بها النفوس ، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب ، كسماع
الأمراض وعيها ، مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو ، لا لقصد العبادة
والتقرب إلى الله .

والنوع الثاني أن يفرض على وجه الديانة والعبادة وصلاح القلوب ،
وتجريد حب العباد لربهم ، وبركية نفوسهم ، وتطهير قلوبهم ، وأن تحرك
من القلوب الخشعية والإنانية والحب ، ورقة القلوب ، وغير ذلك مما هو من
حسن العبادات والطاعات ، لا من جسد اللعب والملاهيات

فيجب الفرق بين سماع المتقربين ، وسماع المتلعبين ، وبين السماع
الذي يفعله الناس في الأمراض والأفراح ، وسحو ذلك من العبادات ، وبين
السماع الذي يفعل لصلاح القلوب ، والتقرب إلى رب السموات ، فإن هذا
يُسأل عنه هل هو قربة وطاعة ، وهل هو طريق إلى الله ، وهل لهم نفع من أن
يفعلوه لما فيه من رقة قلوبهم ، وتحريك وجددهم لمحبتهم ، وتزكية
نفوسهم وإزالة القسوة عن قلوبهم ، وسحو ذلك من المقاصد التي تُقصد
بالسماع ، كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم على
وجه العبادة واطاعة ، لا على وجه اللهو واللعب

إذا عرف هذا ، فحقيقة السؤال هل شياح أن تُجعل هذه الأمور التي
هي إما محرمة ، أو مكروهة ، أو مباحة ، قربة وعبادة وطاعة ، وطريقة إلى
الله .

ومن المعلوم أن الدين له أصلان ، فلا دين إلا ما شرع الله ، ولا حرام إلا
ما حرمه الله ، والله تعالى عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله ،
وشرعوا ديناً لم يأذن به الله

ولو سئل العالم عمر يعدو بين جبلين هل يباح له ذلك ؟ قال نعم ،
هكذا قيل إنه على وجه العيادة ، كما يسعى بين الصفا والمروة ؟ قال إن
فعله على هذا الوجه حرام منكر ، يستتاب فاعله ، وإن تاب وإلا قتل ،
ولو سئل عن كشف الرأس ، وليس الارار والرداء ؟ أفتى بأن هذا
جائز ، فإذا قيل إنه يفعله على وجه الإحرام ، كما يحرم الحاج ؟ قال إن
هذا حرام منكر

وكذلك لو دخل الرجل إلى بيته من خلف البيت ، لم يحرم عليه ذلك ،
ولكن إذا فعل ذلك على أنه عبادة ، كما كانوا يفعلونه في الجاهلية ؟ كان
أحدهم إذا أحرم لم يدخل تحت سقف ، فهو من ذلك ، كما قال تعالى
(وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن أبر من اتقى ، وأتوا
البيوت من أبوابها) (٢١) فمن سبحانه أن هذا ليس ببر ، وإن لم يكن
حراما ، فمن فعله على وجه البر والتقرب إلى الله كان عاصيا ، مذموما
معتدما ، والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، لأن العاصي يعظم أنه عاص
فيتوب ، والمبتدع يحسب أن الذي يفعله طاعة ، فلا يتوب

ولهذا ، من حضر السماع للعب واللهو ، لا يعده من صالح عمله ولا
يرجو به الثواب ، وأما من فعله على أنه طريق إلى الله تعالى فإنه يتخذ ديننا ،
وإذا نُسئى عنه كان كمن نُسئى عن دينه ، ورأى أنه قد انقطع عن الله ، وحرم
نفسه من الله تعالى إذا تركه

فهؤلاء ضلال باتفاق علماء المسلمين ولا يقول أحد من أئمة المسلمين
إن اتحاذ هذا ديننا وطريقا إلى الله تعالى أمر مباح ، بل من جعل هذا ديننا
وطريقا إلى الله تعالى فهو ضال ، مهتر ، محالف لإجماع المسلمين ، ومن سطر

إلى طاهر العمل وتكلم عليه . ولم ينظر إلى فعل العامل وبسته كان جاهلاً
متكلماً في الدين بغير علم^{٢٢} »

هذا هو رأى شيخ الإسلام ابن تيمية ، الذى يحسنه البعض قمة التشدد
في الفتيا^{٢٣} . والذى يستند إلى فتاواه أغلب الذين يطلقون الأحكام بتحريم
مطلق الغناء^{٢٤}

إنه يحدد في وصوح وحسم أن « من حصر السماع ، لا يعده من صالح
عمله ، ولا يرجو به الثواب » فعمله هذا مناج في ذاته . أما من يرى في
السماع « ديانة ، وعادة » فذلك هو الابتداع في الدين ، وهو حرام لمجمع
المسلمين^{٢٥}

والأمر الذى يقطع بأن ما عالجتة وحرمتة فتاوى ابن تيمية ، في هذا
الأمر ، إنما كان شيئاً معياراً كى المعاييرة للغناء . كفن من عنون جماليات
السماع . اقتصر هذا السماع المحدث . الذى سئل عنه . بكثير من العادات
الجاهلية . فلقد « سئل عن أقوام يرقصون على الغناء بالدب ، ثم يسجد
بعضهم لبعض على وجه التواضع ، هل هذا سنة » أو فعله الشيوخ
الصالحون^{٢٦} (فأجاب) لا يجوز السجود لغير الله ، واتخاذ الضرب
بالدب والغناء والرقص عبادة هو من البدع التى لم يفعلها سلف الأمة ولا
أكابر شيوخها

إن هذا السماع المحدث هو من حسن سماع المشركين ، وهو إليه أقرب
منه إلى سماع المسلمين ، وإن قد علط فيه قوم من صالحى المسلمين ، فإن
الله لا يضيع أجرهم وصلاتهم لما وقع من أخطائهم ، فإن النبى - صلى الله
عليه وسلم - قال « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فيه أجران ، وإذا اجتهد
الحاكم فأخطأ فله أجر واحد »^{٢٧}

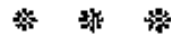
فمع البدعة في الدين ، التي جعلوا بها هذا الغناء عبادة وقربة إلى الله ،
حاءوا بهذه العادات الحاشية التي قرنوها به والتي أقص في وصفها
وتعدادها ابن تيمية في فتاواه

لقد كان عصر شيوع البدع الباطنية التي كانت أن تُعْبَث صفاء العقيدة
الإسلامية في التوحيد وكان ابن تيمية أبرز فرسان الدفاع عن نقاء هذا
التوحيد ، حوهر العقيدة والشرعية والحصانة في اسبق الفكري للإسلام
والمسلمين

● وبعد ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ - ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) يأتي
الشاطبي (٧٩٠ هـ - ١٢٨٨ م) - وهو من أبرز أئمة الاجتهاد في المذهب
المالكي ، بالمغرب العربي والأندلس - ليؤكد ذات الموقف الفكري من
السماع فيحدث عن أن « الغناء والدف قد أُبيع في العرس ونحوه ، وأُبيع
الحذاء وغيره » (٢٤) ، ثم يعرض لمكونات الغناء - كفن من الفنون -
وكيف أنه يتألف من تحالف واتتلاف النغم الجيد مع المغنى الطيب ، وأنه
عندئذ - يثمر حكمه القلوب ورقة الطبائع معا - أما إذا غاب المغنى الطيب ،
ولم يبق منه إلا النغم ، فإن ثمرته تقف عند تحريك الطبائع ، الحركات التي
لا رقة فيها ولا تواجد يعرض الشاطبي لهذه المعاني عندما يقول « إن
اشعر المغنى به قد اشتمل على أمرين

أحدهما ما فيه من الحكمة والموعظة ، وهذا مخصص بالقلوب ، ففيها
تعمل ، وبها تنفعل ومن هذه الجهة ينسب السماع إلى الأرواح
والثاني ما فيه من النغمات المرتبة على النسب التلحينية ، وهو المؤثر
في الطبائع ، فيهيئها إلى ما يناسبها ، وهي الحركات هي اختلافها ، فكل

تأثر في القلب من جهة السماع تحصل عنه آثار السكون والحصوع ، فهو رقة - وهو التواجد - وكل تأثر يحصل عنه ضد السكون ، فهو طرب لا رقة فيه ولا تواجد « (٢٦)



تلك هي مذاهب الإسلاميين في جماليات السماع ، عرصنا فيها الأمر على النحو الذي أحاط بحوائب القضية من القرآن الكريم إلى السنة النبوية الشريفة إلى تحريته دولة النبي - صلى الله عليه وسلم - والحلافة الراشدة إلى عصر ومذاهب الأئمة المؤسسين للمذاهب الفقهية الكبرى ، إلى نماذج من فكر أئمة الاجتهاد الذين أولوا هذا الأمر مزيد عناية واهتمام ، على اختلاف مذاهبهم ومواطنهم وتعاقب العصور التي عاشوا فيها فإنا نحن ، بعد هذه الرحلة الفكرية ، مع موقف الإسلام من جماليات السماع ، بإزاء مذهب واحد ، لا خلاف فيه وهو إباحة العناء في ذاته ، لا يكره ولا يحرم إلا بعارض يعرض عليه ، يخرجه عن المقاصد الطيبة التي يستهدفها منه الأسوياء من الناس إنه كلام ولحن وأداء ، الحسَن منه حَسَن ، والقبيح منه قبيح على هذا أجمع أعلام الأئمة المجتهدين . كما أجمعوا ، أيضا ، على حرمة كل ابتداع في عبادات الدين وشعائره ، ومن هنا كان إجماعهم ، كذلك ، على تحريم ذلك السماع المُحَدَّث ، الذي جعلته «العتوصية - الباطنية - الصوفية» ديناً يتدينون به ، وقربة يتقربون بها إلى الله ذلك هو موقف الإسلام وأئمته ، لا اختلاف فيه ، على عكس ما يشيع أولئك الذين يهرفون ، في هذا الأمر ، بما لا يعرفون «



الهوامش

- (١) (نهاية الأرب) ج ٤ ص ١٦٠ - وانظر كذلك ص ١٢٣ وما بعدها
- (٢) د محمد عمارة (معارك العرب ضد الغزاة) ص ١١٦ - ١١٨ طبعة دمشق - دار قتيبة ١٤٠٨ هـ - سنة ١٩٨٨
- (٣) (الاعتصام) ج ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا طبعة مكتبة آس بن مالك - القاهرة سنة ١٤٠ هـ
- (٤) (اس سعد) (الطبقات الكبرى) ج ٣ ق ١ ص ٢٠٥ طبعة دار التحرير القاهرة
- (٥) (المصدر السابق) ج ٣ ق ١ ص ٤ ، ٢٠٥
- (٦) (المصدر السابق) ج ٣ ق ١ ص ٥ ، ٢
- (٧) (بطر في ذلك الشاطبي) (الاعتصام) ج ١ ص ٢٧٣ والقرويس (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٤ ص ٥٥ (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) ج ١١ ص ٥٦٩ طبعة المملكة العربية السعودية ويؤكد ذلك ما ذكره انصاري - وهو شافعي المذهب - عن رأي إمام مذهبه - فلقد قال « وأما الشافعي فليس بتحريم الغناء من مذهبه أصلاً وقد قال في الرجل يتحده صناعة لا تجوز شهادته، وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل وإن لم يكن محروماً بهيئاً التحريم - واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانتا تغنيان في بيت عائشة ، رضي الله عنها » انظر (إحياء علوم الدين) ص ١١٤٧ والنص بكامله موجود في سياقه بملحق هذا الكتاب
- (٨) (انظر هري كوربان) (السهروردي المقتول مؤسس المذهب الاشعري) ص ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٢٢ - بحث مشهور في كتاب (شخصيات قلقة في الإسلام) للدكتور عبد الرحمن بدوي طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م وانظر كتابه (اعزرو الفكرى - وهم أم حقيقة) ص ٢٢٦ - ٢٢٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٩ م

- (٩) (إحياء علوم الدين) ص ١١٢٦ - وانظر النص في مكانه بملحق الكتاب
- (١٠) المصدر السابق ص ١١٣٨ ، ١١٢٩ - وانظر النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب.
- (١١) المصدر السابق ص ١١٢٩ - ١١٤٣ - وانظر هذا النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب
- (١٢) المصدر السابق ص ١١٨٣ - وانظر هذا النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب
- (١٣) المصدر السابق ص ١١٤٢ - ١١٤٧ - وانظر هذا النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب
- (١٤) الشاهين آلة موسيقية - والكلمة فارسية الأصغر - ومن معانيها عمود أسيار والشاهين من طيور اصصيد الجوارح
- (١٥) المصدر السابق ص ١١٢٤ - وانظر هذا النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب
- (١٦) المصدر السابق ص ١٢٢ - ٢٣ - وانظر هذا النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب
- (١٧) المصدر السابق ص ١١٥٢ - ١١٥٣ - وانظر هذا النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب
- (١٨) المصدر السابق ص ١١٣١ - ١١٣٢ - وانظر هذا النص في مكانه من ملحق هذا الكتاب
- (١٩) الأفعال ٣٥٠
- (٢٠) (مجموع فتاوى ابن تيمية) ج ١١ ص ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥ ، ٥٦٨
- (٢١) الفقرة ١٨٩
- (٢٢) (مجموع فتاوى ابن تيمية) ج ١١ ص ٣٣ - ٣٢٢
- (٢٣) (مجموع فتاوى ابن تيمية) ج ١١ ص ٦٠٤ ، ٥٩٧
- (٢٤) (الاعتصام) ج ٢ ص ٨٩
- (٢٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢٨١



الفصل الرابع جماليات الصور

أما « خصام » المنهج الإسلامي مع « فنون التشكيل » - رسماً ومحتواً وتصويراً - والذي يحسبه الكثيرون خصاماً حقيقياً فإن هذا الحسبان ، هو الآخر ، ليس أكثر من وهم من الأوهام ؛ وسيلنا إلى إزالة هذا الوهم ، ونفس هذا الخصام ، هو النظر في المصادر النقية والجوهرية لهذا المنهج - القرآن والسنة - ثم الاستئناس بأراء وجهادات بعض الفقهاء - القدماء والمحدثين - في هذا الموضوع وذلك وصولاً إلى جلاء الموقف الحقيقي للمنهج الإسلامي من فنون الرسم والنحت والتصوير .

* * *

في القرآن الكريم

وبادئ ذي بدء ، فإن القرآن الكريم لم يتخذ من التصوير للأحياء موقفاً معادياً بإطلاق وتعميم بل لقد أتى الأمر بالمقاصد والغايات والنتائج والثمرات فإذا كانت الصور والتماثيل وسائل للشرك بالله

وسبلا يحرف البعض بتعظيمها عن عقيدة التوحيد ، كن الرفض لها والتحریم لصيغتها هو موقف القرآن أما إذا كانت مجرد الرينة والتجمل والجمال ، ولإبرز براعة الإنسان وقدرته ، ولتجميل الحياة ، وتنمية الحس الجمالي عند الإنسان ، وكذلك إذا كانت لتحليل القيم والمعاني والمآثر الطيبة والتجملية الح الح فإنها عندئذ تصح من الطيات المباحة ، مل والمقصودة المرعوبة ، باعتبارها من نعم الله على الإنسان ' .

ولقد عرض القرآن الكريم للحديث عن « التماثيل » - صراحة وبالذکر - في مواضع ثلاث وجاء حديثه عنها في أحد هذه المواضع حديث الرفض المحرم وفي الناس حديث العاد لها من نعم الله على الإنسان . وفي الثالث حديث العاد لها معطرة لى من أسياء الله .

ففى سورة « الأنبياء » وبصد الحديث عن قوم إبراهيم ، عليه السلام ، أولئك الذين اتخذوا التماثيل أصناماً عبدوها من دون الله ، جاء حديث القرآن معادياً لهذه التماثيل . ومن ثم - بالنسبة - لصاعنها عندما تستشهد هذا الشرك بالله - (ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قل لأبيه وقومه ما هذه التماثيل النى أنتم لها عاكفون) قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ركم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من المشاهدين)

ولم يقف الموقف القرأى من هذه « التماثيل » عند حد التسفيه بالقول والحجة والمتطق ، بل لقد أراد الله لنبيه إبراهيم أن يحطم هذه « التماثيل » ويمحو وجود هذه الأصنام فاستمر سياق القرآن يتحدث عن قول

إبراهيم ، عليه السلام ، لقومه (وتالله لأكيدن أصنامكم سعد أن تولوا
 صبرين فجعلهم جناداً إلا كثيراً لهم لعلهم إليه يرجعون) (١)
 وما صنعه إبراهيم مع « التماثيل » المعبودة ، هو ما صنعه حاتم
 المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - ، عندما طهر شبه الجريفة العربية
 من كل أثر لها ، وأُن في الناس يومئذ - وهو يحطمها ، قائلاً : (جاء الحق
 وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) (٢) .

أما الموطن الثاني الذي عرض فيه القرآن - باللفظ - للحديث عن
 التماثيل ، فكان في معرض تعداد نعم الله سبحانه على نبيه سليمان ، عليه
 السلام ، فلقد ذكر القرآن « التماثيل » وصنعها وصانعها باعتبارها من
 نعم الله على نبيه سليمان . فهو قد سخر له الريح - وأتح له عيناً تفيض
 بالنحاس المذاب - (القطر) - وسخر له الجن تصنع له بعضاً من زينة
 الحياة الدنيا وجمالها بيوتاً عالية (محاريب) وحُفراً كبيرة - (جفان) -
 وقدروا راسيات وأيضاً « تماثيل » من زجاج ونحاس ورخام ، تصور
 الأحياء ، بل وتصور الأنبياء والعلماء كما يقول المفسرون . (٣)
 (وسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسننا له عين القطر ومن
 الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا ندقه من عذاب
 السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
 راسيات ، اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي أشكور) (٤)

« فالتماثيل » ، هذا - وعد انتقاء مطبوعة عبادتها - هي من نعم الله على
 الإنسان ، وعاملها وصانعها إنما يعملها (بإذن ربه) . وعلى الذين أنعم الله
 عليهم بهذه النعمة مقابلتها بالشكر لله - وأحد مظاهره اكتشاف ما فيها من
 جمال

أما الموطن الثالث ، الذى ورد فيه حديث القرآن عن تماثيل الأحياء ، فذلك الذى جاء فيه الحديث عن معجزات نبي الله عيسى بن مريم ، عليهما السلام (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأتفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) (٥) (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والىك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلاً وإد علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإد تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذنى) (٦)

ههى ، هذا ، وحيث لا مظنة للشرك ، ولا خطر على التوحيد آية من آيات الله ، ونعمة من نعمه على عيسى ، عليه السلام إذن فموقف القرآن الكريم من التصوير والتماثيل ، للأحياء ، ليس واحداً ، وليس عاماً ، وليس مطلقاً فحيثما نكون سميلاً للشرك بالله - شركاً جلياً أو خفياً - ههى حرام ، والواجب تحطيمها ، أما عندما تنتفى مظنة عبادتها وتعظيمها والشرك بواسطتها ، ههى عندئذ ، من نعم الله ، التى يجب على الإنسان أن يقصد إليها ، وأن يتخذ منها سبيلاً لترقية حسه وتحميل حياته ، وتركيزه القيم الطيبه وتخليدها

هذا عن موقف القرآن الكريم من فنون التشكيل - والتى يقاس الرسم منها والتصوير على التماثيل -

بل إننا إذا نظرنا فى البلاغ القرآنى ، وأمعنا النظر فى أساليبه فى التعبير عن المعانى التى يريد الله إبلاغها إلى العالمين ، فسجد فى هذه الأساليب

السبل والوسائل والأدوات التي يعتمدها القرآن لتنمية الحاسة الجمالية لدى الناظر في هذا القرآن الكريم

إن بلاغة القرآن هي بعصر من إعجازه وهذه الحقيقة لا يمكن إدراكها ووعيتها ، وص ثم الإيمان بها ، إلا من قوم قد ارتقت بهم الحاسة الفنية إلى حيث يدركون ما في هذا الكتاب من أسرار الإعجاز وهيون البيان فالإيمان بالإعجاز القرآني مرهون بازدهار الحاسة الفنية لدى المسموع ، وبتحول هذه الحاسة إلى قسمة ملحوظة في الحضارة الإسلامية ومن ثم فإن البهامة قاضية بأن يكون القرآن داعياً يزكى تنمية الحاسة الفنية لدى المسلمين

وإذا انتقلنا في هذه القضية ، من محال التعميم إلى ميدان الدراسة الواقعية ، رأينا كيف امتلأت صور القرآن الكريم بما نسميه في الدراسات الأدبية والفنية بـ « التعبير بالصور » ، أي رسم العصور الحسية كي تعبر بها آياته عن المقولات والمعاني والأفكار فنحن ، في القرآن ، أمام « لوحات » تعبر بالصور المرئية والحسوسة عن المعاني والأفكار والمقولات أي أمام « التمثيل » و « التصوير »

● فعندما يتحدث القرآن الكريم عن الذين كفروا ، فأحبط انكسر أعمالهم ، وأضاع الثمار المرجوة من مثلهم ، نجده « يمتل » هذه « الفكرة » فيعرضها في « صور » محسوسة ، و « يرسمها » في لوحات فنية تراها العين عندما ينطق بكلماتها اللسان فاعمال هؤلاء الكفار كرماد هبت عليه الريح العاصفة ، فلم تبق منه لأصحابه كثيراً ولا قليلاً (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد)^(١)

ولوحة فنية أخرى يصور فيها القرآن الكريم هؤلاء الكافرين الذين جعل تنكبتهم عن الحق ودعوتهم وأهلهم وهدية بمائة الصم البكم المعطلة ملكاتهم العقلية ، أما ما يهذون به فليس إلا السعيق ' .. (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون) (٨)

أما اليهود الذين حولوا كتابهم ، التوراة ، إلى « شكل » عاب من ساحتهم ما به من « مضمون » ، فإنهم كمثل الحمار ، يحمل الكتب الثقيلة الكثيرة دون أن يدري من مصمومها شيئاً أو ينتفع بقليل من هذا المضمون ' (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بشس مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا والله لا يهدي القوم الظالمين) (٩)

أما ذلك الناس الذي آتاه الله الآيات ، فانسليخ منها بدلاً من أن يلتزمها ويهتدى بها ، فإن الغواية قد أصابته ببؤس جعل منه مثل الكلب اللاهث في كل الحالات (وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأقبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (١٠)

أما هؤلاء الذين بركوا الاستعصار والاستعانة بالله وأسبابه وطرقه ، وركنوا إلى غيره ، وهماً منهم أن لدى هذا الغير نصراً يستعيصون به عن نصر القادر الحكيم فإن ما يعتمدون عليه لا يعدو ، في قوته « قوة » بيت العنكبوت ' (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (١١)

● وطلاب الحياة الدنيا أولئك الذين يقفون منها عند حدود اللعب واللهو والزينة والتفاخر بما لا يستقر ولا يثبت ولا يدوم يرسم القرآن الكريم لهم ولما اختاروه ووقفوا عنده لوحات تحسد لهم الضياع الذي اختاروا والمؤس الذي ينتظرهم انتظار المصير^١ فهذا النبات الذي جادت به الصحراء بعد أن زارها المطر سرعان ما تصيبه الصفرة ، ثم يصبح حطاماً^٢ (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وريشة وتفاخر ببيكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)^(١٢) (واصرع لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاحتلظ به ثبث الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدراً)^(١٣) (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاحتلظ به نعات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض حرثها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمراً ليلاً أو نهاراً فحعلها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون)^(١٤)

نعم كذلك يفصل الله الآيات وكذلك يصور القرآن الأفكار ميسجيل المعقولات إلى صور محسوسة تعرضها آياته الكريمة ولوحات^١

● أما أولئك الذين يفسدون ثمرات إنفاقهم الأموال بالرياء والسمعة والتفاخر ، عندما يجعلونها المقاصد والعايات من وراء الإنفاق ، فإن إنفاقهم هذا تراب وغبار غطى سطح جبل صخري أملس ، فالتأخر إليه يحسبه تراباً، لكن وابل المطر سرعان ما يعرى الريف ويكشف الصلد

ويذهب ثمرات الإيقاق الذي لم يقصد به وجه الله . (يا أيها الذين آمنوا لا تبخلوا صدقاتكم بالمر والأذى كالدن ينفق ما له رثاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثل كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) (١٥) أما إذا كان الإنسان في سبيل الخير ومصالح الأمة وابتغاء مرضاة الله ، كم هو الواجب ، وكما هو شأن المؤمنين ، من ثمراته تبقى ، بل وتزدهر وتتضاعف (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فانت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعلمون بصير) (١٦)

بوحتان تجسدان الأفكار والمعقولات بالصورة المرئية والمحسوسة ، تعرضهم الآيتان المتتابعتان والتراب الذي يعلو الصخر الأملس سرعان ما يذهب به المطر . بينما يسبب هذا المطر النماء للحديقة التي تعلو الربوة فتؤتي أكلها ضعفين ، فستان ما بين الربوتين المتقابلتين ، عندما ينزل المطر عليهما ، فتتحول إحداهما إلى صخرة جرداء ، بينما تصبح الثانية جنة غناء

● والكلمة الفكرة كثيراً ما تتحول في آيات القرآن الكريم ، بالتمثيل ، إلى صورة محسوسة . ينمى إبداعها الحاسة الغنية للمتدبرين المتفكرين (ألم تر كيف صرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويصرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (١٧)

وفي مقابل هذه الشجرة ، ذات الأصل الثابت الراسخ ، والفروع السامقة

في السماء ، والتي تعطى طيب العطاء في كل الأحياء ، في مقابلها ، وعلى
الضد منها ، صورة الكلمة الخبيثة ١ . (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (١٨)

هكذا وعلى هذا النحو تتناثر في القرآن الكريم تلك « الصور » التي
تجسد الأفكار وترسم المعقولات وتحول المعاني إلى لوحات فنية تُقرأ
باللسان ، وتُرى بالبصيرة ، وترسم في الخيلة . وتكاد أن تلمسها الحواس
التي تستشعر جمال إعجاز القرآن الكريم

وهكذا .. بحالف هذه السبل من التعبير الجمالي والتربية الجمالية ، مع
صريح موقف القرآن من التماثيل ، كنشاط جمالي ، على بيان الموقف
الحقيقي للقرآن الكريم من فنون التشكيل الجمالي - رسماً ونحتاً
وتصويراً - وهو الموقف الذي يرى فيه نعمة من نعم الله وإية من آياته ،
إذا أمن الناس الشرك والتعظيم لغير الله

* * *

والسنة النبوية

أما موقف السنة النبوية ، فهو الذي يحتاج إلى التفصيل والتفسير
والمقارنات وذلك لأن أغلب « أدلة » الذين اضطعوا « الحصومة » بين
المنهج الإسلامي وبين هذه الفنون ، كانت أحاديث نبوية ، استند إليها
الفقهاء الذين قالوا بالتحريم لهذه الفنون

فلقد انطلق عدد من العلماء الذين حرموا الرسم والنحت والتصوير من
ظاهر نصوص عدد من الأحاديث النبوية الشريفة ، ليقولوا إن السنة النبوية

قد حرمت الصور والتماثيل للأحياء - حيوانات كانت أو إنساناً - وأنها بذلك قد سبخت الإباحة التي كانت لها في شريعة النبي سليمان ، عليه السلام .

وحتى إذا سلمنا بالقول بالنسخ لهذه الإباحة التي كانت في الشرائع السابقة ، فإننا سنجد أن علة حدوث هذا النسخ هي تحول الصور والتماثيل - في الواقع الذي ظهر فيه الإسلام - إلى معبودات ، كما كان حالها لدى قوم إبراهيم ، عليه السلام ، وهو ما لم تكنه زمن نبوة سليمان . وإذا كانت الأحكام تدور مع عبثها والحكمة منها وجوداً وعدماً ، فإن التحريم للتماثيل والصور سيصبح ، نداهة ، مرهوناً ومشروطاً ومعللاً بمظنة اتخاذها أنداداً تشارك الله في الألوهية والربوبية والتعظيم ، فإنما ما انتفى هذا السبب ورأيت هذه المظنة انتفى التحريم ، وعادت الإباحة حكماً للصور والتماثيل ، من جديد .

ولحسن الحظ فإن « النظرية الشاملة » ، وأيضاً « الاستقرائية » للأحاديث النبوية التي رويت في « الصور والتماثيل » تؤكد هذا الذي نذهب إليه ، وتقطع بأن التحريم مرهون ومشروط ومعلل بكون هذه الصور والتماثيل مظنة العبادة والإشراك بالله . كما أنها تفصيح عن أن هذه الأحاديث التي تنهى عن « الصور والتماثيل » إنما كانت معالج شئون جماعة بشرية هي قريبة عهد بالشرك الوثنية ، وحديثة عهد بالتوحيد الإسلامي ، وأن توحيدها لله سبحانه قد خرج بها من هذه الحالة خروج الدواء بالمرضى من مرحلة العلة إلى بدايات طريق الشفاء فهي قد خرجت من الوثنية وعبادة الصور والتماثيل ، لكنها كانت لا تزال في « دور

النقاهة.. الأمر الذي استدعى تركيز الأحاديث العموية على النهي عن اتخاذ الصور والتماثيل ، سداً للذرائع ، وتقديماً لدفع المضرة على جلب المصلحة - وهي قواعد تشريعية إسلامية - وذلك كيلا تعود هذه الجماعة إلى مرض الوثنية والشرك من جديد

وإذا كان ضبط المصطلحات هو مما يعين على دقة الفهم وجلاء القضية فإن من الواجب أن منه عن أن « الصور » في الأحاديث النبوية التي عرّضت لهذه النقضية إنما يراد بها « الصنم والوثن المعبود » من قتل المشركين . فلم يكن بمكة أو المدينة ، أو الوادي من حولهما ، يومئذ ، « حركة فية » ، تصور بالالوان ، أو مآلات التصوير . كانت الصورة هي « الصنم والوثن » ، ينحت نحتاً ، أو يرسم بالنسج على السيج ، أو بالرسم أو بالحفر على الجدران والآثاث . ومن هنا ، فإن النهي عن « الصور » ودم « المصورين » هو حديث عن « الأصنام والأوثان » وعن الذين يحترفون صناعة هذه الأصنام والأوثان » ، وليس حديثاً عن « الصور » و « المصورين » ، بالمعنى الذي يراد اليوم عند الحديث عن فنون التشكيل وفنانيها ، يشهد لهذه الحقيقة الهامة المقارنة بين حديثين شريفيين ورد فيهما مصطلح « الصورة » ويقسّر ثانيهما الأول على النحو الذي يضبط معنى هذا المصطلح ضبطاً لا سبيل معه إلى التجاوز أو الابهام .

ففي الحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر ، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « الذين يصنعون هذه الصور يعذبون ، ويقال لهم « أحيوا ما خلقتكم » (١٩) . أما الضبط لمعنى « الصورة » ، على النحو الذي أشرنا إليه ، فإننا واحده في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ، والذي يقول فيه الرسول

« صلى الله عليه وسلم - متحدثاً عن خير الناس يوم القيامة » « يجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، ثم يطلع عليهم رب العالمين ثم يقال ألا تتسبح كل أمة ما كانوا يعبدون » فيتمثل لصاحب الصليب صليبيه ، ولصاحب الصور صورته ، ولصاحب النار ناره ، فيندعون ما كانوا يعبدون ، وينقي المسلمون « ٢ » فالأمم التي انحرفت عن التوحيد في الألوهية والربوبية ، قد تمثلت لها معبوداتها الصليب للصنم والصور - أى الأصنام - للوثنيين والنار للمجوس فالصورة ، إذن ، هي « الصنم والوثن » المعبود - للمشركين - من دون الله وليست تلك التي نتعارف عليها اليوم عندما نتحدث عن « الصور » و عن « المصورين »

وثامة الحقائق انتهى بحسب التبيين عليها ونحن مقدمون على استعراض المأثورات والأحاديث النبوية التي رويت في هذا الموضوع ، هي وجوب الاستحصار والتدبير للمناخ والبيئة والإطار الذي قيلت فيه هذه الأحاديث ، وذلك حتى ندرك فيها ومنها المقاصد والعلل والحكم والغايات فهي قد قيلت للمؤمنين بالله الواحد ، كانوا حتى أمس القريب يعبدون الصور والتمائيل وهؤلاء المؤمنون كانوا محاطين بعبدية الصور والتمائيل الذين لم يؤمنوا بعد وصناع النسيج والأثاث والأدوات - وهم في الأساس من غير العرب - كانوا يزينون مصنوعاتهم ومنسوحاتهم بصور الآلهة - (الأصنام) - ترويحاً لها في البيئة الوثنية . ومن هنا كان النهي عن هذه « الصور » نهياً عن الوثنية ، ودعوة إلى تنقية المنازل والأندية من صور الأصنام المعبودة في الجاهلية ، وسعيًا لاجتثاث جذور أرض الوثني ، وذلك حتى تبرا هذه الجمعة البشرية تماماً من الشرك والتعددية ، فتخلص

العبودية لله وحده ، وترسح في قلوبها عقيدة التوحيد . ولذلك حاء النهى
عن « الصور » التي تمثل الأحياء - وهي التي كانت تعبد - ولم يحدث نهى
عن صور الشجر ، أو تلك التي يحاكي الطبيعة ، إذ لم تكن من المعبودات
فالمستهدف ليس « الفن » ولا « الجص » ، وإنما الوثنية والمسرب التي
يمكن أن تؤدي إلى عودة الإشراف بالله مرة أخرى إلى عقائد الناس ،
في إطار هذه الحقائق نقرأ ونعهم قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
« من صور صورة عذب يوم القيامة حتى ينفخ فيها ، وليس بدافع » (٢١)
أي حنى ينفخ فيها الروح فيحييها . وأُسي له أن يصنع ذلك !
ولقد جاء رجل من أهل العراق ، كان يحترف التصوير ، حاء إلى عبد الله
ابن عباس ، فقال له « يا ابن عباس ، إني رجل أصور هذه الصور ، وأصنع
هذه الصور ، فافتنى فيها » فقال له ابن عباس « أسئلك بما سمعت من
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمعت رسول الله يقول كل مصوّر في
النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس تعذبه في جهنم » ! ثم استعظم
ابن عباس ما أشار على الرجل أن يصور ما لا حياة فيه ، فيمارس « الفن
الجميل » ، في غير ما هو مظنة الوثنية ، مما حاء فيه النهى والتحريم فقال
للرجل : « فإن كنت لا بد فاعلا ، فأجعل الشجر وما لانفس فيه ، » (٢٢)
ولقد وضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الحكم وهذا الموقف
موضح التطبيق ، فعاد المسلمون حملة إزالة وتحطيم لصور المعبودات
الوثنية وتمثيلها صنعوا ذلك بالمدينة - قبل فتح مكة وتطهير الكعبة -
ففي الحديث الذي يرويه علي بن أبي طالب ، يقول « كان رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - في جنازه ، فقال أيكم يطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلا

كسره ولا قبر اسواه ولا صورة إلا لطحها » فقال (سبعة) أنا ، يا رسول الله ، فانطلق ثم رجع ، فقال يا رسول الله ، لم أدع بها وثنا إلا كسرتة ، ولا قبرا إلا سويتة ، ولا صورة إلا لطختها ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كهر بما أنزل على محمد . « ١٢٣

فالإزالة والتحطيم ، هنا ، كانت لرموز وثنية ، بما فيها القبور المعظمة وشواهدا ! ويوم فتح مكة أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عمر بن الخطاب أن يتقدمه إلى الكعبة فيزيل من داخلها الصور والتماثيل المعبودة والمعظمة ، والتي كانت تمثل إبراهيم وإسماعيل ومريم ، عليهم السلام فحن ابن جريح « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن الصور في البيت ، ونهى الرجل أن يصنع ذلك وأنه أمر عمر بن الخطاب ، بمن العتج ، وهو بالبطحاء ، أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها ، ولم يدخل البيت حتى مُحيت كل صورة فيه ، « (٢٤) .

ويروى ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - « لما رأى الصور في البيت - (يعنى الكعبة) - لم يدخل ، وأمر بها فمحيت ورأى . (صور) إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام بأيديهما الأزلام (٢٥) ، فقال قاتلهم الله والله ما استقسما بالأزلام قط » (٢٦)

وفي البخارى أن عمر بن الخطاب كان يمتنع عن دخول الكنائس من أجل ما فيها من التماثيل والصور المعبودة « وكان ابن عباس يصر في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل »

فالنهي والتحريم ، في النظرية والتطبيق ، يستهدف مظاهر الشرك ، وشراك الوثنية ، والروافد التي تحفظ الحياة لتفويض عقيدة التوحيد ، أو

تعيش نقاء هذا التوحيد ! وليس التصوير أو النحت أو الرسم ، كهن من فنون الجمال - فالأول - مصادر الشرك ورموزه ومطاميه - بيته وبهين التوحيد الإسلامي العداء الدائم والتناقض القائم والصراع الذي لا يزول أما الفن التشكيلي - رسما وبحثا وتصويرا - قلبه لون من ألوان النشاط الجمالي للإنسان ، يدور الحكم فيه والموقف منه مع علته وحكمته وغايته ومنفعته وجودا وعدما إن في الإباحة أو الاستحباب ، أو المنع ، كراهة أو تحريما

فإذا ما جئنا إلى التجربة العملية - وأيضا الذاتية - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع الصور ، وفي داخل بيته ، ومع أهله ، رأينا ألاحاديث التي تحكى هذه التجربة شاهدة على هذا الذي نقول فعندما تكون الصور مظنة شبيهة الإيحاء بتعظيمها ، أو تمثيل شاعلا يعرف المصل عن الحضور المستغرق في صلاته ومثوله بين يدي مولاه ، أو مظنة شبيهة الإيحاء بآل النوحه في الصلاة إنما هو إليها ' عندما يكون الأمر ذلك ، أو يحوا منه ، أو موهما لشيء مما يحتويه ، يكون نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنها ، ودعوته لإزالتها فإذا ما تحولت هذه الصور عن أماكنها هذه فزالت عنها تلك المظنة والشبهة ، غشت مقبولة في بيت النبوة ، بل وأصبحت مما يستخدمه الرسول عليه الصلاة والسلام .

فعائشة ، أم المؤمنين ، تروى الحديث فتقول « قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من سفر ، وقد اشتريت ممطا - (ثوبا من صوف - أو بساطا) - فيه صورة ، فسترته على سهوة بيتي (السهوة الثوب ، أو الطاق ، أو الكوة) - فلما دخل - صلى الله عليه وسلم - كره ما صنعت ، وقار

تُسْتَرَيْنِ الْجُدْرِيَا عَائِشَةُ ٥ - طَرَحَتْهُ ، مَقْطَعَتُهُ مَرْفُوقِي (وَسَادَتَيْنِ) ، فَقَدْ رَأَيْتُهُ مَتَكِنًا عَلَى إِحْدَاهُمَا وَفِيهَا صُورَةٌ ٦ (٢٧)

فَكَرَاهَةَ الرُّسُولِ ، هَذَا لِلصُّورَةِ قَدْ ارْتَبَطَتْ بِكُونِهَا تَرْفًا يَسْتَهْدَفُ مَجْرَدُ سِتْرِ الْجُدْرِ ، وَبِكُونِهَا ، بِهَذَا الْوَضْعِ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِعِ مِمَّا يَسْتَقْبِلُهُ الْمُصَلِّي ، فَتَشْغَلُهُ ، أَوْ تُوْهِمُ بِمَحَلِّهِ ، سِتْقِبَالِهَا فِي الصَّلَاةِ ١ - فَلَمَّا انْتَقَلَتِ الصُّورَةُ إِلَى الْوَسَادَةِ ، لَمْ يَكْرَهُهَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا ، بَلْ اسْتَعْدَمَ الْوَسَادَةَ « وَفِيهَا الصُّورَةُ » ، كَمَا يَقُولُ عَائِشَةُ فِي الْحَدِيثِ !

وَيُؤَكِّدُ هَذَا التَّفْسِيرُ - هَذَا إِذَا كَانَ مُحْتَاجًا إِلَى تَأْكِيدٍ ٢ - حَدِيثُ الصَّاحِبِيِّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ - وَهُوَ خَادِمُ الرَّسُولِ ، الْعَارِفُ بِشَيْئُونِ مَنَزِلِهِ - الَّذِي يَقُولُ فِيهِ « كَانَ قِرَامٌ (سِتْرٌ) لِعَائِشَةَ قَدْ سَتَرَتْ بِهِ حَانَبَ بَيْتِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمْطِي عَنَّا قِرَامَكَ هَذَا ، فَإِنَّهُ لَا تَرَى تَصَاوِيرَهُ تَعْرِضُ لِي فِي صَلَاتِي » (٢٨) ٣ - فَالْنَهْيُ خَاصٌّ وَمَعْلَلٌ بِمَكَانِ وَضْعِهِ ، وَالسَّبَبُ فِي إِزَالَتِهِ هُوَ أَنَّ تَصَاوِيرَهُ تَعْرِضُ أَمَامَ الرَّسُولِ إِذَا قَامَ لِلصَّلَاةِ ٤ - أَيْ أَنَّ الْعِلَّةَ هِيَ قَصْدُ الْإِبْتِعَادِ عَنِ مَا يَشْغَلُ الْمُصَلِّيَ عَنِ الصَّلَاةِ ، وَإِرَالَةِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ إِجَادَ شَبْهَةً مُظْلِمَةً التَّعْظِيمِ لِعَظِيمِ اللَّهِ !

وَلِذَلِكَ - فَعِنْدَمَا تَزُولُ هَذِهِ الشَّبِهَاتُ وَهَذِهِ الْمَظَانِ وَهَذِهِ الْمَحَازِيرُ عَنِ الصُّورِ وَالْتِمَائِيلِ ، فَإِنَّ الْحُكْمَ فِيهَا وَالْمَوْقِفَ مِنْهَا يَتَغَيَّرُ بِالتَّأَكُّيدِ ٥ - هَلِيسَ الْقَصْدُ هُوَ تَحْرِيمُ الصُّورِ وَالْتِمَائِيلِ ، إِذَا كَانَتْ عَنَّا جَمِيعًا يَرْتَقِي بِالْحَاسَةِ الْغَنِيَّةِ وَالْمَشَاعِرِ الْجَمَالِيَّةِ لِلْأَلْسَانِ ، لِمَجْرَدِ أَنَّهَا فَنٌ ، وَبَعْدَ أَنْهَا صُورٌ وَتِمَائِيلٌ ٦

وَإِذَا كُنَّ الْهَرَآنُ الْكَرِيمُ - كَمَا سَبَقَتْ إِشَارَتُنَا - قَدْ حَكَى لَنَا نَبَأَ الْقِمَائِيلِ

في عهد النبي سليمان ، عليه السلام ، باعتبارها نعمة إلهية ، يصنعها صانعوها بإذن الله فإن النبي صلى الله عليه وسلم - يحدثنا عن سوق في الجنة كل بصاعتها الصور - صور النساء والرجال ^١ ، ففي الحديث الذي يرويه علي بن أبي طالب ، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من النساء والرجال ، فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها » (٢٩) فهي ، هناك لن تقود إلى شرك أو وثنية ومن ثم فهي حلال بل وبعمة من نعم الله ، سبحانه وتعالى ، على الصالحين من عباده في حيات النعيم

بر أن مجتمع المدينة ذاته ، ذلك الذي شهد التحريم للصور - نظريا وعمليا - عندما كانت مظنة الشرك بالله والتعظيم لسواه - إن هذا المجتمع ذاته قد تغيرت نظرته للصور والتماثيل عندما أخذ يرا من مرضى الوثنية والتعدد في المعبود فعندما دخل المسور بن مخرمة على عبد الله بن عباس «يعوده في مرض مرضه ، فرأى عليه ثوب استبرق وبين يديه كائون عليه تماثيل ، فقال له يا ابن عباس ما هذا الثوب الذي عليك ؟ قال وما هو ؟ قال استبرق قال والله ما علمت به ، وما أظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بهي عنه إلا للتجبر والتكبر ، ولسنا بحمد الله كذلك قال فما هو الكائون الذي عليه الصور ؟ قال ابن عباس ألا ترى كيف أحرقناها بالنار ؟ » (٣٠) .

فابن عباس ، هنا يجهل ويرى أن علة تحريم لبس الاستبرق هي التجبر والتكبر ، فإذا رأت العلة زان التحريم ويجهل ، كذلك ، فيرى أن علة تحريم التماثيل هي التعظيم لها ، أو شبهة التعظيم والعبادة لها من دون الله

فأما وقد وضعت حيث لا تعظيم لها ، وأما وقد أمن الناس من محنة عبادتها
وعدت محرد حية يتزين بها الكامون ، فإنه لا تحريم

و عندما مرع الصحابي أبو طلحة الأبحري بمطأ - (ثوبا من صوف -
سترا) من عى فراشه ، فيسأله اصحابى - سهل بن حنيف « لم تنزعهُ ؟ »
فيقول لأن فيه تصاوير ، وقد قال فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ما قد علمت ؟ » يرد عليه سهل بن حنيف قائلًا « أو سم يعل الرسول إلا ما
كان رَقْمًا و ثوب ؟ » (٣١) فنعلم من ذلك أن الدهى ليس مطلقا ، وأن ما كان
مقصودا به منفعة الرينة والجمال - من الصور - وبعبدا عن شبهات مظان
الوثنية والشرن والعبادة - كالصور إذا كانت « رَقْمًا في ثوب » أى نقشا
يرينه ويجمله - فلا نهى عنه ، فى هذا الحال ، ولا تحريم له !

إس هالسنة النبوية ، مثلها فى ذلك مثل القرآن الكريم ، لا تحرم
الصور و التماثيل عى التعميم والاطلاق ، وإنما التحريم فيها ، كالتحريم فى
القرآن الكريم ، حاصر ورهى ومشروط بالمواطن التى تصبح فيها الصور
والتماثيل شركا للشرن وحبالا للوثنية وسبلا لتعظيم غير الله أما إذا كانت
للمنفعة ، وتصيل الحياة وريقتها المشروعة ، وتحلبد القيم العاضلة
وتزكيتها ، وتنمية مشاعر الجمال الانسانية فإن موقف السنة النبوية
يصبح معها لا ضدها ، لأنها ، بذلك ، تنتقل من الأمور الضارة إلى حيث
يصبح واحدة من معم الله على الإنسان !

صحيح أن « مراج الروح الإسلامية » لم يتح عبر تاريخ الحضارة
الإسلامية - لفر ألبحت للتماثيل الإنسانية أن يزدهر ، بل أن يكون مقبولا

ولا مألوف فعابت التماثيل المنحوتة للإنسان من حياة الحضارة الإسلامية ، منذ أن طوى الإسلام صفحاتها الجاهلية - والتي كانت هي الأخرى مجلوبة من خارج شبه الجزيرة العربية ، من مواطن تأثير الوثنيات الهندية واليونانية والرومانية (٣٢) ، غابت التماثيل المنحوتة من حياة حضارتنا الإسلامية ، منذ طوى هذه المصفحة الجاهلية ، وحتى صفحة الاتصال الحديث والمعاصر بالطور الغربي الحديث للوثنية اليونانية القديمة ١٩ ذلك الاتصال الذي تم في ظل هيمنة الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام - حتى لقد رأينا اللجنة التي تكونت ، بمصر ، لتخليد ذكرى علي باشا مبارك (١٢٣٩ - ١٣١١ هـ - ١٨٢٣ - ١٨٩٣ م) عقب وفاته ، تعد عن إقامة تمثال له ، بعد أن اجتمع لها المال الذي جمع لذلك ، وتختار أن تقيم به بدلا من التمثال - مدارس لتعليم الأيتام أبناء الفقراء معللة ذلك - عن لسان رئيسها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) - « بأن معظم الأمة المصرية يعد التماثيل إهانة لا تكريما ، ويسمون التمثال « الصورة المسوخة » (٣٣)

صحيح أن هذا هو « مراج الروح الإسلامية » تحاه تحت التماثيل للأدبيين كما تجل في تاريخنا الحضاري ، وصحيح - كذلك ، أن المنح الفارسي ، الذي أدهر فيه التصوير الديني - وخاصة في الدولة الإيلخانية المغولية (٦٥٤ - ٧٥٤ هـ - ١٢٥٦ - ١٢٥٢ م) ، تلك التي حكم فيها خلفاء جنكيز خان (٥٦٢ - ٦٢٤ هـ - ١١٦٧ - ١٢٢٧ م) - وفي الدولة اليمورية (٧٧١ - ٩٠٥ هـ - ١٣٦٩ - ١٥٠٠ م) التي أسسها تيمورلنك (٧٣٦ - ٨٠٧ هـ - ١٣٣٦ - ١٤٠٥ م) - والتي خلّفت لنا في التصوير لوحات

«معراج نامه» وغيرها من المصورات الدينية الإسلامية (٣٤). صحيح أن التأثيرات البوذية والمسيحية، في هذه الصور، تقبم بسبها «مزاج الروح الإسلامية» في التصوير حجاباً غير رقيق^{١٤}

لكن ومع صحة كل ذلك، فلقد ازدهر فن الرسم الإسلام، تصويراً وحفراً، ذلك الذي انطلق بالمطابع الإسلامى الضامن ازدهر فى المنمنمات، والتوريق والتلوين، والرخرفة، والتكعيب الهندسى، وفى استخدام جماليات الخط العربى إلخ.. إلخ فعبّر عن تميز الروح الإسلامية فى أساليب التعبير عن جمالياتها - وهذا أمر طبيعى فى نماذج الأمم فى وسائل وأشكال التعبير عن مظاهرها فى الجمال..

كذلك، فإن هذا التميز الإسلامى، لم يمنع من ازدهار فن الحفر والتصوير لأشخاص الأحياء، ذلك الذى حفل به تراث الإسلام وإبداعه الحضارى فازدانت القصور والخانات والأسواق والمكتبات والمدارس والمناظر والحمامات والمقابر والأسبلة والسقف والأبواب والنوافذ والسيوف والعصى والبسط والمستاثرات والآثاث والأدوات وأملقة المخطوطات وصفحاتها إلخ إلخ ازدانت بصور الأحياء، محفورة ومصورة، وعلى نحو رائع وبديع

كذلك فإن النقود الإسلامية، قد مثلت معرضاً دائماً للتصوير الإسلامى، على امتداد التاريخ. فلم يتحرج كثير من الخلفاء والسلاطين والولاة عن تصوير صور الأحياء - إنساناً وحيواناً - على النقود والفلوس وتعامل بها العلماء والجمهور.

ويذكر الدين أرحوا بشاشة النقود الإسلاميه، وأوزانها، وأشكالها، فى

هذا المقام حقائق ووقائع ، منها

● أن عمر بن الخطاب (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ - ٥٨٤ - ٦٤٤ م) - كما يقول الدميرى - سك « نقوداً على الطريقة الفارسية ، عليها صورة الملك الفارسي »

● وأن معاوية بن أبي سفيان - كما يقول المقرئى - سك « دنانير عليها تمثال رجل متقلداً سيفاً »

● وأن عبد الملك بن مروان (٢٦ - ٨٦ هـ - ٦٤٦ - ٧٠٥ م) سك دراهم ودنانير ، في سنة ٧٦ هـ - سنة ٦٩٥ م عليها صورة الخليفة ، قائماً قابض بيده على قبضة سيفه « وكان الإمام الفقيه سعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤ هـ - ٦٣٤ - ٧١٢ م) يبيع بها ويشترى ، ولا يعيب من أمرها شيئاً . » - وهو أحد الفقهاء السبعة المقدمين في المدينة المنورة

● وفي المغرب ، أثناء حكم والمها الأول موسى الناصر ، وجد علس مصروب على عهده - في طنجة - عليه صورة إنسان ملتفت إلى اليمين ، وشعار لا إله إلا الله ، محمد رسول الله

● وبعد أربعة قرون اختفت فيها الصور من النقود ، عادت إليها مرة أخرى ، فوجدت نقود مصروية أوائل القرن السادس الهجري ، من عهد ملوك السلاجقة ، عليها صورة خيال .

● أما الملك الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٢٥ - ٦٧٦ هـ - ١٢٢٨ - ١٢٧٧ م) فلقد سك الدراهم الظاهرية سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م . وعليها صورة سبع وطلت متداولة ، بمصر وأنشام ، إلى أن فسدت سنة ٧٨١ هـ - سنة ١٢٧٩ م

- وفي جنوب شبه الجزيرة العربية ، سكبت نقود عليها صورة آدمى مقطوعة وتارة يكون الرسم نسرا برأسين . أو سبعا
- وفي الهند على عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي (٢٨٢ - ٣٢٠ هـ - ٨٩٥ - ٩٢٢ م) سكبت نقود عليها صورة الثور المقدس ، وصورة عارس ، واسم الخليفة العباسي باللغة العربية
- وسك الغزنويون ملوك الدولة الغزنوية (٣٥١ - ٥٨٢ هـ - ٩٦٢ - ١١٨٦ م) - عملة على أحد وجهها صورة عارس .
- أم سلاطين الماليك ، وشاهات العجم ، فلقد رسموا على نقودهم صورة سبع فوقه صورة شمس (٢٥)
- هكذا كانت النقود الإسلامية ، على امتداد قرون متطاولة ، وفي مختلف بلاد الإسلام ، وتداولها كانت شاهدا على استخدام الرسم والتصوير فكانت أوسع « المعارض » أنتشارا وتداولاً وتعاملاً مع هذا الفن الجميل !

وموقف الفقهاء

وإذا كان لما أن تشير إلى موقف الفقهاء من هذه القضية قضية «الفنون الجمالية» ، و « فنون التشكيل » على وجه الخصوص فمن المهم أن ننبه على أن كثيرين من الفقهاء المقلدين في فكرنا الإسلامي قد انحازوا إلى صف التحريم لهذه الفنون ، وأن هؤلاء الفقهاء « المقلدين » ، الذين اختاروا موقف « المنع . أو الكراهة أو التحريم ».. قد وقعوا ووقف بهم «التقليد» ، بعد حرفية وظواهر المأثورات التي منعت أو حرمت هذه الفنون ، دونما

تأويل أو تعجيل لها ، ولم يبحازوا إلى المآثورات التي أساحها . وذلك فصلا
عن أنهم لم يقدموا التفسير الذي يربط المآثور بملامسات قوله . وبالعلة
والحكمة التي يجب أن يدور معها حكمه وجوداً وعدمها . إن هؤلاء الفقهاء
قد وقفوا هذا الموقف ، لا عقلة منهم ولا تقصيراً - كما قد يحسب الذين
سيثون الفهم والتفهم - وإنما كان ذلك لأسباب في مقدمتها

(أ) أن هذه الفنون ، في تاريخنا الحضارى - وخاصة الغنائية
والموسيقية منها - سرعان ما غلبت عليها علل المجور والتخنت وانحرافات
الفساق ، حتى غدت معاول للهدم وشراكا للترف الذى أصاب قوى الأمة
وقدراتها بالتفك والانحلال . حدث ذلك في دوائر الأمراء . والسرارة
والعامة على حد سواء . بل لقد استخدم بعض الأمراء فنون الانحلال
سلاحاً يشل قسرات الأمة عن المعارضة والتطلع إلى السلطة والسلطان !.

(ب) أن التصوف الفلسفى - ذا الميطلقات والجذور « العنوصية -
الماضية » - قد ذهب به العلو في استخدام « السماع » و « الوجد » ، و « هبت
به تصورات « الحبول » و « الفناء » و « وحدة الوجود » ، إلى الحد الذى
جعل هؤلاء الفقهاء - وهم الأعداء الألداء لهذا التصوف يرون في هذه الفنون
شراكا تغيش عقائد الأمة وتعطل طاقات الاسراع لدى أبنائها . لقد عادت
هذه الفنون - بنظر هؤلاء الفقهاء - مرة أخرى إلى دائرة المنع والتحريريم
عندما دارت علل الأحكام فيها إلى دائرة الضرر ، المحقق أو المحتمل ، على
العقائد والشرايع ، كما كان الحال عندما ظهر الإسلام

(ج) أن فنون التشكيل قد غدت قسمة من قسمات « الترف » الذى

عزقت في بحارة « القلة الفاسقة » ، والتي أوردت به حضارتنا موارد التراجع والجمود والانحطاط^١ تلك هي - في تقديرنا - أسباب انحياز كثير من فقهاء تلك العصور ، التي علبت على فتونها هذه التحولات ، اسحياهم إلى القول « بالتحريم » ، وهي أسباب تؤكد على صدق المنهج الذي يعالج به موقف الإسلام من هذه الفنون.

ومع ذلك فإن التاريخ الفكري لثقافة والفقهاء ، في حضارتنا ، لم يخل من مواقف فكرية . بل وممارسات عملية - إيجابية لعدد من أعلام الفقه والأصول إزاء هذه الفنون . لا الغنائية فقط ، كما أسلفنا الإشارة إلى نماذجهم - كاس حرم والغزالي مثلا وإمام إراء فنون التشكيل^٢

إن قطاعا هاما من المفسرين للقرآن ، ومن الفقهاء .. وخاصة فقهاء المذهب المالكي - قد اتاحوا التصوير والبحث ، إذا كانت بهما ضرورة اجتماعية أو تربوية وعلى سبيل المثال

● فالمفسر النحاس ، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي (٣٣٨هـ - ٩٥٠م) يحدثننا عن أن قوما من المفسرين والفقهاء قد قالوا « إن عمل الصور جائز » ، وأنهم استندوا بالآية التي جعلت من صنع التماثيل لمبى الله سليمان نعمة من نعم الله (يعملون له ما يشاء من محارِب و تماثيل) واستدلوا كذلك بصنع المسيح عيسى بن مريم ، عليه السلام ، بأمر الله ، لتماثيل الصير (. أنى قد جئتكم بأية من ربكم . أنى أخلق لكم من الطين كهينة الصير فأنفخ فيه فيكون طيرا بذن الله) (٣٦) فعيسى قد صنع تماثيل

للحظر من الطين ، و حار ذلك عندما لم تكن شبيهة وثنية تحقق بالعقائد بسبب هذه التماثيل

● ويحدثنا المعسر الأندلسي مكى بن حموش (٢٥٥ ~ ٤٢٧ هـ - ٩٦٦ ~ ١٠٤٥ م) في كتابه (الهداية إلى بلوغ النهاية) - وهو سبعون جزءا في معاني القرآن وتفسيره - يحدث عن « أن فرقة تجوز التصوير » ، مستدلة ، بهذه الأدلة ذاتها (٣٧) ،

● والقرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧١ هـ - ١٢٧٤ م) يشير إلى احتفاء فقهاء المذهب المالكي بجواز التماثيل عندما تقتضيها ضرورات التربية . وذلك مثل تربية البنات ، التي تستدعي تعويدهم على اللعب بالدمى - من « عرائس » وغيرها - فيقول « وقد استثنى من هذا الباب - (باب الخلاف في التحريم ، أى أن هذا المستثنى متفق على حله) - لعب البنات ، لما ثبت عن عائشة أم المؤمنين أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوجها وهي بنت تسع سنين ، وزفت إليه وهي بنت تسع ، ولعبها معها . قالت كنت ألعب بالبنات - (أى اللعب - الدمى - العرائس) عبد النبي ، وكان لي صواحب يلعبن معي ، فكان رسول الله إذا دخل يقيمعن - (أى يتغيبن محتفيات وراء الستر) - منه ، فيسريهن - (يبعثهن) - إلى ميلعين معي » (٣٧) ،

فعائشة ، أم المؤمنين ، تلعب بعرائسها - وهي دمى وتماثيل لأحياء آدمية - مع صواحبها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرى ، بل وبعث لها بصواحبها يلعبن بها إذا هي اختبأت منه ١

و (طبقات ابن سعد) ما يفيد تنوع هذه الدمى فلقد كانت فيها دمى

للحيل أيضا - وهي الأخرى صور أحياء - فعن عائشة ، قالت « دخل عليّ ، رسول الله ، صلى الله عليه وسلم يوما وأنا ألعب بالعبات فقال ما هدايا عائشة ؟ فقلت حيل سليمان فضحك » (١٢٩)

ثم يعقب القرطبي على هذه القصص ، فيحكي أن العلماء قد أناحوا الدُمية والعب بها للدور الذي تقوم به في التربية ، وخاصة تربية البنات « حيث يتدربن عن تربية أولادهن » مدد الصبر بالآلفة التي تنشأ بينهن وبين دُمية العرائس والأطفال (١) فعندما تكون المنفعة - مادية أو جمالية أو هما معا - فإن الاجتهاد الإسلامي يزكي إتاحة فنون التشكيل

● بل إننا واجدون لدى مجتهد آخر من مجتهدى المذهب المالكي ما هو أكثر من إتاحة الصور والتماثيل ، التي تتطلبها مصانع الأمة العملية وتعمية معارفها العملية وتربية حسنها الفنية وتهذيب طبعها وسلوكها . واجدون لدى الفقيه الأصولي الإمام القرافي ، أبو العباس أحمد بن إدريس (٦٨٤ هـ - ١٢٨٥ م) الاشتغال بفن البحت والنصوير ، وليس مجرد الامتاء بإباحته فقط ، فلقد تحدث عن ممارسته لعن صناعة التَّمْثِيل والتماثيل ، فقال في كتابه (شرح المحصور) « ينبغي أن الملك الكامل (٥٧٦ - ٦٣٥ هـ - ١١٨٠ - ١٢٣٨ م) وصنع له شمعدان ... وهو عمود طويل من نحاس له مراكز يُوصع عليها الشمع لئلا يذوب - كلما مضي من الليل ساعة انفتح باب منه وخرج منه شخص يقف في خدمة الملك ، فإذا انقضت عشر ساعات - (أي حان وقت الفجر) طلع الشخص على أعلى الشمعدان وأصبعه في أذنه ، وقار صبح الله السلطان بالسعادة فيعلم أن الفجر قد طلع » .

يحكى الإمام القرافي عن هذا الشمعدان الذي استخدمت فيه التماثيل - تماثيل الإنسان - آلة يقاس بها الرمز ، وفيها الحركة والصوت معا ، ثم يعقب فيتحدث عن تحريره هو في صنع شمعدان مماثل ، به إلى جانب تماثيل الإنسان ، تماثيل أسد ، فيقول « . وعملت أنا هذا الشمعدان ، وردت فيه أن الشمعة يتغير لونها في كل ساعة ، وفيه أسد تتغير عيناها من السواد الشديد إلى البياض الشديد إلى الحمرة الشديدة ، وفي كل ساعة لها لون ، فأبطل شخص على أعلى الشمعدان ، وأصبغته في أذنه ، يشير إلى الأذن - غير أنني عجزت عن صناعة الكلام » ؟ (٤١)

وهنا فقيه مجتهد ، وأصولي نازر ، يمارس صناعة الفن التشكيلي ، فكان مثالا ، يصنع تماثيل الإنسان والحيوان ، وفي صمغته هذه تتنوع وتتعدد الألوان جمالا ينفع الإنسان ، المنفعة المادية والجمالية كليهما ، وهكذا فإلى جانب الدين منعوا التصوير والنحت ، في تراثنا الفقهي كان هناك الذين أماحوا هذا الفن ، بعد أن أمست الأمة حطرت الشرك وعبادة هذه التماثيل والصور بل وكان هناك الفقهاء المجتهدون الذين مارسوا هذه الصناعة ، فكانوا « فقهاء - مجتهدين - هانئين »



وفي العصر الحديث

عندما شرعت مدرسة التجديد والإحياء الديني تزيل عن الفكر الإسلامي عبار عصور انجمود والتراجع الحضاري المملوكية العثمانية وحدنا من أبرز مهندسي ذلك القحيد ، وهو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) يطرق هذا الباب ، باجتهاده وتجديده ، فيعص مباركة الإسلام للفنون الجميلة ، منبها على دور فنون التشكيل - رسما ونحتا وتصويرا . دورها انبفع والضروري في تسجيل معالم الحياة وحفظها ، وفي ترقية الأذواق والحواس والاقتراب بالإنسان من صفات الكمال .

ولقد عرض الأستاذ الإمام لهذه القضية - قضية دور « الفنون التشكيلية » في حياة الأمة - أثناء سياحته في جزيرة « صقلية » سنة ١٩٠٣ م ففي « صقلية » زار المتاحف والمقابر ومواطن الآثار التي تحفظ وتحكى ، بالصور والتمائيل ، آثار الغابرين ، وكأنها من سجلات التاريخ وكان يرس إلى مجلة (المنار) فصولا يحكى فيها مشاهداته في رحلته ، وفي هذه الفصول كتب عن هذه الفنون ، وعرض لراى الإسلام في الصور والتصوير والرسم وصناعة التماثيل

والذين يتأملون الصفحات التى كتبها الأستاذ الإمام حول هذه القضية ، يطالعهم الشيخ دواقة الفن ، عاشقا للإبداع العنى ، مبصرا الحيوط التى تربصه معيون العرب المألوفة لعامة الناس ، الأمر الذى يضيف إلى تجديده في الدين والأدب واللغة وأساليب الانشاء قسمة أخرى تجعل له فضلا لا ينكر

في السعي لتجديد حياة الأمة بمختلف سبل الشعر - الذي هو ديوان الأمة العربية منذ القدم - غير « أن الرسم شعر ساكت ، يُرى ولا يُسمع ، كما أن الشعر رسم يُسمع ولا يُرى »^(٤٢)

ثم يعرض للحديث عن منافع هذه الفنون ودورها في حفظ تراث الأمة على مر الأزمنة ، وما يعنيه ذلك من حفظ للعلم والحقيقة والتاريخ ، كي تظل شهادة فاعلة لمن يأتي من أجيال « فحفظ الآثار - بالرسوم والتماثيل - هو حفظ للعلم والحقيقة وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها »^(٤٣).

ثم يأتي الأستاذ الإمام إلى القضية الشائكة والخلافية قضية موقف الإسلام من هذه الفنون وأصحابها، فيدلي بالقول الفصل في فائدتها - ومن ثم حلها - وذلك لتغير الملابس والمقاصد التي دعت إلى نفور المسلمين منها في عصر البعثة النبوية ، يوم كانت الرسوم والصور والتماثيل إنما تتخذ كي تعبد من دون الله ، أو على الأقل كانت مظنة شبهة ، تتعظيمها دينياً ، فكان أن نهى عنها الرسول - عليه الصلاة والسلام - أما الآن وبعد زوال هذا الخطر بالكلية ، وبعد أن لم تعد الرسوم والتماثيل مظنة شبهة العبادة أو التعظيم الديني ، وبعد أن وضحت وتأكدت منافعها في ترقية أذواق الأمة ، وحفظ حقائق تاريخها وعلومها ، فإن رضاء الإسلام ومباركتها بها ، أمر لا شك فيه^١

والأستاذ الإمام عندما صاغ اجتهاده هذا وسطر له تجديده في هذا الميدان كان يوجه حديثه إلى الناس عبر الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) صاحب مجلة (النار) وكامت (المنار) تنشر هذه الفصول التي يصف فيها مشهد سياحته دون توقيع . وكان

يتولى يومئذ منصب « مفتي الديار المصرية » ، ويتربع على عرش الإمامة والاجتهاد في طون بلاد العالم الإسلامي وعرضها^١

وفي هذه الفصول أحد الشيخ محمد عبده يتحدث إلى الشيخ رشيد رضا ، عن هذه النقضية ، فقال ، بعد وصفه لما شاهد من الرسوم والتمائيل في متاحف « صقلية » وأديرتها وكنائسها ومقابرها وميادين مدنها ، وبعد حديثه عن دور هذه الرسوم والصور والتمائيل في « حفظ العلم ، وتخليده » قال

« وربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام وهي ما حكم هذه الصور في الشريعة الإسلامية إذا كان القصد منها ما ذكر ، من تصوير هيئات البشر في انفعالاتهم النفسية ، وأوضاعهم الجسمانية ؟ هل هذا حرام ؟ أو حائز ؟ أو مكروه ؟ أو مندوب ؟ أو واجب . فأقول لك

إن الراسم قد رسم والفائدة محققة لا نزاع فيها ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محى من الأذهان ، فيما أن تفهم الحكم من نفسك ، بعد ظهور الواقعة ، وإما أن ترجع سؤالاً إلى « المفتي » ، وهو يجيبك مشافهة - (لاحظ أن المفتي هو المتكلم وهذا جوابه) - فإذا أوردت عليه حديث « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون » ، أو ما في معناه مما ورد في الصحيح فالذي يغلب على ظني أنه سيقول لك

إن الحديث جاء في أيام الوثنية ، وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد لسببين الأول اللهو والثاني التبرك بتمثال من ترسم صورته من الصالحين والأول مما يبغضه الدين ، والثاني مما جاء الإسلام لمحوه ، والمصور في الحالى شاعل عن الله ، أو ممهد للإشتراك به ، فإذا رآه

العارضان ، وقصدت الفائدة ، كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير
النبات والشجر في المصنوعات ، وقد سمع ذلك في حواشي المصاحف ،
وأوائل السور ، ولم يمتعه أحد من العلماء ، مع أن الفائدة في بقى المصاحف
موجوع السراع ، أما فائدة الصور فمما لا نزاع فيه ، على الوجه الذى ذكره
أما إذا أردت أن ترتكب بعض السيئات في محل فيه الصور ، طمعا في
الملكين الكاتبين ، أو كاتب السيئات على الأقل لا يدخل محلا فيه صور (٤٢)
كما ورد ، وإياك أن يظن أن ذلك يجيبك من إحصاء ما تفعل ١٤ فإن الله
رقيب عليك وناظر إليك حتى في البيت الذى فيه صور ، ولا أظن أن الملك
يتأخر عن مرافقتك إذا تعمدت دخول البيت الذى فيه صور ١٤

ولا يمكنك أن تجيب المفتى بأن الصورة على كل حال معلنة العبادة
فإنى أظن أنه يقول لك إن لسانك ، أيضا ، مخلة الكذب ، فهو يجب ربطه ١٤ ،
مع أنه يحوز أن يصدق ، كما يحوز أن يكذب ١٤ .

وبالجملة ، فإنه يغلب على ظنى أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم
وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق أنه لا خطر فيه على الدين ، لا
من جهة العقيدة ولا من جهة العمل وليس هناك ما يسمع المسلمين من
الجمع بين عقيدة التوحيد ورسم صورة الإنسان والحيوان لتحقيق المعانى
العلمية وتمثيل الصور الذهبية . » (٤٥)

هكذا صاع الأستاذ الإمام ، في الفنون التشكيلية ما يشبه الفتوى
الشريعة ، فقد ر أنها أداة لحفظ الحقيقة العملية والتاريخية بل « وسيلة من
أفضل وسائل العلم » ، وأنها فنون راقية ، ترتقى بدوق الإنسان ، كما

يرتقى به فن الشعر وغيره من الفنون التي ليس على الإبداع معها كلام ولا ملام في الإسلام' .

وهو بذلك قد كتب صفحة في كتاب التوحيد الإسلامي تجديد حياة الأمة بتجديد الفكر الذي يحكم هذه الحياة !

* * *

الهوامش

- (١) الامبياء ٥١ - ٥٨ (٢) الاسراء ٨١
- (٣) القرطبي (المعجم لأحكام القرآن) ج ٤ ص ٢٧٦ طبعة دار الكتب المصرية القاهرة
- (٤) سجا ١٢ ١٣ (٥) آل عمران ٤٨، ٤٩
- (٦) المائدة ١١ (٧) إبراهيم ١٨
- (٨) البقرة ١٧٣ (٩) الجمعة ٥
- (١٠) الأعراف ١٧٥ - ١٧٦ (١١) العنكبوت ٤١
- (١٢) الحديد ٢٠ (١٣) الكهف ٤٥
- (١٤) يونس ٢٤ (١٥) النقرة ٢٦٤
- (١٦) النقرة ٢٦٥ (١٧) إبراهيم ٢٤ - ٢٥
- (١٨) إبراهيم ٢٦ (١٩) رواد الإمام أحمد
- (٢٠) رواد البخاري ومسلم والنسائي والإمام أحمد
- (٢١) رواد البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والإمام أحمد
- (٢٢) رواد الإمام أحمد
- (٢٣) رواد مسلم والنسائي والإمام أحمد
- (٢٤) رواد أبو داود والإمام أحمد
- (٢٥) الأزلام - مفردتها - ولم - السهام التي كان يستقسم بها المشركون في الجاهلية كانوا يكتبون على أحدها أمر ، وعلى آخر نهى ، وعلى واحد منها افعل ، وعلى الثاني لا تفعل ويستقسمون بها عند إرادة السفر أو القيام بعمل ما

- (٢٦) رواة الإمام أحمد (٢٧) رواة الإمام أحمد
- (٢٨) رواة الإمام أحمد (٢٩) رواة الإمام أحمد
- (٣٠) رواة الإمام أحمد
- (٣١) رواة الإمام أحمد - (ومثله مروي عند البخاري ومسلم وأبو داود والسنائي وابن
ماجة)
- (٣٢) ابن حجر (كتاب الأصداف) لابن الكلبي طبعة القاهرة ، دار القومية
- (٣٣) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٢ ص ١٦٢ دراسة وتحقيق د محمد
عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م
- (٣٤) انظر في هذا المقام للدكتور ثروت عكاشة (معراج سامية) - في جزئين - طبعة
القاهرة - دار المستقبل العربي سنة ١٩٨٧م و(التصوير الإسلامي) طبعة
بيروت سنة ١٩٧٧م
- (٣٥) انظر في ذلك انقريزي (كتاب النفوس القديمة الإسلامية) ص ٢٣ - ٦١ - طبعة
الاب اسمناس ماري الكرمل - ضمن كتاب (النقوش العربية وعلم النميات) طبعة
القاهرة سنة ١٩٣٩م - وانظر كذلك ص ٩١ من هذا الكتاب
- وانظر على مبارك فاشا (الحصص البوفيقية) ج ٦ - ١ طبعة سولاو سنة
١٣٠٦ هـ و (الأعمال الكاملة لعلي مبارك) ج ٢ ص ٢٤ دراسة وتحقيق
د محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٨٨م -
- (٣٦) آل عمران ٤٩
- (٣٧) (الجامع لأحكام القرآن) ج ٢ ص ٢٧٢
- (٣٨) رواة مسلم والبخاري وابن ماجة
- (٣٩) (طبيقات ابن سعد) ج ٨ ص ٤٢ طبعة دار التحرير القاهرة
- (٤٠) (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٤ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ - (بل أن يسموا أن يتساءل
هل كانت هذه - النماذج - اللعب - تقوم في حياة أم المؤمنين عائشة ، رضي الله
عنها - وهي التي لم تنجب - بسور الاشباع - فيكون لأهلها سبب آخر -

الضرورة والحاجة - يضاف إلى ما سلفها من أسباب ١٤ - إنه تساؤل وارد .

و للتأمل في حواشه مكان ')

(٤١) مقدمة بحقيق (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضى والإمام

ص ١٥ طبعة حلب سنة ١٩٦٧ م

(٤٢) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٢ ص ٢٠٤ طبعه بيروت ١٩٧٢

(٤٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠٥

(٤٤) يشير الأستاذ الإمام إلى حديث « لا تدخل الملائكة بيتا فيه حصب ولا صورة ولا

كلب » رواه أبو داود والسنائى والدرامى والإمام أحمد

(٤٥) (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٢ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦

وأخيرا..

وبعد

فهل هناك شك الآن ، وبعد هذا ابدي سقناه عن موقف المبهج الإسلامي من آيات الجمال في الإبداع الإلهي ، ومن ثم من الفنون الجميلة ، التي ترقى بالذوق والحس الإنساني ليدرك آيات انجمال هذه ، فيرتقى على سلم الشكر لصانع هذا الجمال : . هل هناك شك ، بعد هذا الذي قدمه ، في أن موقف المبهج الإسلامي من هذه الفنون الجميلة - من تدويقها ، وممارستها - هو موقف الود والتعاطف ، والتزكية والباركة ؟ وذلك عن الرغم من شيوع مواقف ومقولات المحاصمة المفعلة بين الإسلام وبين هذه الفنون^{١٩}

إن الإسلام لا يخاصم الجمال، ولا يعادي فنونه والمسلم الأمثل لا يمكن أن يكون ذلك المنتهم ، الذي ينزع عن جماليات الحياة « مباركة الإسلام »^{٢٠} فقط هناك المعايير الإسلامية - الاعتقادية والأخلاقية - التي يجب أن تحكم موقف المسلم تجاه هذه الفنون ، حتى تظل مصدرا حقيقيا للخير والجمال في حياة الإنسان

● فالاعتقاد والاعتدال في الاشتغال بهذه الفنون ، وفي ترويحها مطلب إسلامي ، وذلك حتى لا يحتل توازن اهتمامات الأمة بمختلف

نواحي وميادين النشاط اللازم لتكامل وتنمية طاقات وملكات وحياة
لإنسان

إن الاقتصاص والاعتدال - الذى ينقى ويذكر طر في الغلو - هو ميزان
الاسلام ومعياره في كل ميادين النشاط الإنسانى فالقرآن يأمركم به
(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إن الله
لا يحب المسرفين) (١) (وابتغ فيما آتاك الله ادبار الآخرة ولا تنس نفسك
من الدنيا) (٢) . ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤكد هذا البلاء
القرآنى في بيانه النبوى ، فيقول : « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ، ما لم
يخالطه إسراف أو محيطة » (٣) . ويتحدث إلى من عالى في العبادة والنسك ،
مستمع النهار وقام الليل ، سهما روحه وديناه ، فيقول : « إني أصوم
وأفطر ، وأصم وأنام ، وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس
منى » (٤) وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ،
ولحسنك عليك حقا (٥) .

● إن لفعال النفس الإنسانية سماليات الحياة هو فطرة فطر الله
النفس الإنسانية السوية عليها والإسلام يريد لكل العصور ، حتى تكون
بحق جزءا من سماليات هذه الحياة ، أن لا تعاند الفطرة الإنسانية ، بل أن
تكون عونا على ترقينها وتهذيبها يريد لها سبلا لتهذيب النفس والارتقاء
بملكات وطاقات وغرائز الإنسان ولا يريد لها عوامس تحلل وانحلال
ومعول هدم وإثارة لغرائز العنف والغضب والشهوة واللذة المادية في
الإنسان يريد لها فنونا جملة ومتحملة بأحلاقيات ، لإسلام

● وإذا كان لكل شعب من الشعوب فنونه لموروثه ، وأنتى عدت وتغدو

سمة من سمات تميزه القومى من الشعوب الأخرى فإننا نريد للفنون الأوروبية لشعوب الأمة الإسلامية وقومياتها أن تخضع لما حصصت له الموارث الفكرية لهذه الشعوب عندما دخلت دين الإسلام واندمجت في أمه الإسلام نريد لهذه الفنون أن « تحيا » وأن « تنمطور » وفقا لمعايير الإسلام في الاعتقاد . وفي الذوق الجمالى وفي الأخلاقيات ولا نريدها أن تكون « تقليدا أعمى » لمفردات حضارات أخرى ، لا تتخلق بأحلاق حضارة الإسلام ولا أن تكون « مسخا مشوها » لفنون تلك الحضارات .

● وإذا كانت المهمة الأولى للفنون الجميلة في حياة الإنسان ، هي الارتقاء بروحه على درب الإدراك والاستمتاع بآيات الجمال الإلهي في هذا الكون فإن الإسلام يتقدم على هذا الدرب خطوات أبعد ، يجعل من هذه الفنون سبيلا من السبل التي تصوغ « الإنسان - الربانى » ، أدنى مدرك معنى أن الله « جميل » ، وأن « ربانية » الإنسان رهن متشوقه وتعلقه وسعيه على درب التحلق بالأخلاقيات الجميلة . درب الوعي بالجمال الإلهي المبعثوث في هذا الوجود . وأيضا الاستمتاع ببلدات هذا الجمال .

ومع هذه المهمة الإسلامية للتربية الجمالية ، وللفنون الجميلة في حياة الإنسان المسلم ، فإن المذهب الإسلامى رسالة يطلب من هذه الفنون أن تنهض بدورها في أدائها . رسالة الاسهام في حفظ الفكر وبشر الدعوة بواسطة هذه الفنون

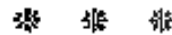
إنها سلاح فعال في البلاغ إلى الناس ومن الممكن - بل والواجب - أن تكون - كفنون القور - أداة للبلاغ الميسر برسالة الإسلام .
وإذا كان الإمام محمد عبده ، قد ركز فنون الرسم والتصوير ،

باعتبارها أداة لتخليد العلم وأحداث التاريخ أقلنا يحق لنا أن نسأل أولئك الذين يمارون اليوم في حلها ، فنقول لهم . ألم يأتكم نبأ أن هذه الفنون قد غدت أداة رئيسية من أدوات البحث العلمي في مختلف علوم الطبيعة والتجريب ^{١٩} . وهل هناك من يجهل اليوم دورها في جمع المعلومات وحفظها ، وهو ميدان تحوض الأمم والحضارات فيه حرباً صروساً ^{٢٠}

فهل تريدون نزع سلاح الأمة في العلم وفي الصراع الدولي بعد أن أردتم نزع سلاح الإنسان المسلم في السعي إلى الارتقاء بذوقه وحسه وغرائره ، بواسطة هذه الفنون ^{٢١}

ذلك هو خطر القضية وتلك هي مكانتها فلم تعد الفنون ترفاً إنسانياً ، ولا امتيازاً لشريحة من المترفين المتعطلين .. كما كانت لدى البعض في بعض فترات التاريخ - وإنما ، هي اليوم مكون رئيسي من مكونات الذات الإنسانية السوية وأداة فاعلة في تحصيل العلم ، وحفظ المعلومات وسلاح من أمضى أسلحة الصراع بين الأمم والحضارات إنها واحدة من ضرورات الوجود والارتقاء بالنسبة للإنسان

تلك هي رؤيتنا لموقف الإسلام من الجمال وفنونه ، سماعاً كانت هذه الفنون أو تشكيلة ، بالرسم والنحت والتصوير ^٢



الهوامش

- (١) الأعراف ٢٦
- (٢) القصص ٧٧
- (٣) رواه انصاري وابن ماجه
- (٤) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة والإمام أحمد . من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
- (٥) رواه البخاري ومسلم



(ملحق)

- (أ) ما كتبه الإمام ابن حزم الأندلسي في حكم الغناء .
- (ب) ما كتبه الإمام الغزالي في آداب السماع وحكمه
- (ج) ما كتبه الإمام ابن تيمية في مسألة السماع .

(أ)

ابن حزم الأندلسي

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي

(٣٨٤ - ٤٥٦ هـ - ٩٩٤ - ١٠٦٤ م)

- ١ -

رسالة في الغناء الملهي

أصباح هو ؟ ... أم محظور ؟؟ (*)

(*) أخذنا من هذه الرسالة عن تحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس بها كما استفادنا بجهوده في التعليق عليها - انظر (رسائل ابن حزم) ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٣٩ طبعة بيروت سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م - ثم أضفنا إليها ما رأيناه ضروريا من التعليقات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

رسالة في الغناء الملهي أماح هو أم محظور؟؟

قال أبو محمد : الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا
على الظالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين
أما بعد ، أيدك الله وإيى تتوفيقه وأعاننا بطلته على أداء حقوقه ، فإنك
رغبت أن أقدم لك في الغناء الملهي ، أماح هو ؟ أم من المحظور ؟ فقد وردت
أحاديث بالمنع منه ، وأحاديث بإباحته وأنا أذكر الأحاديث المانعة ، وأنه
على عطلها ، وأذكر الأحاديث المبيحة له ، وأنه على صحتها ، إن شاء الله ، والله
الموفق للصواب

فالأحاديث المانعة :

١ - ما روى سعيد بن أسى زريق ، عن أخيه ، عن ليث بن أبي سليم^(١) ،
عن عبد الرحمن بن سابط^(٢) ، عن عائشة أم المؤمنين ، عن نسي عليه

السلام أنه قال إن الله حرّم المغيبة وبيعها وثمنها وتعليمها والاستماع^(٦)
فيها (١)

٢ - وروى لاحق بن حسيب بن عمر أن أبي الورد المقدسي^(٧) قال ثنا^(٨)
أبو لمحي ضرار بن علي بن عمير القاصي الجبلاسي^(٩)، ثنا أحمد بن سعيد،
عن محمد بن كثير الحمصي^(١٠)، ثنا فرج (بن) فصالة ، عن يحيى بن
سعيد^(١١) ، عن محمد بن الصفيّة ، عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله
إذا عملت أمتي خمس عشرة حسنة حل بها البلاء إذا كان المال سولا ،
والأمانة مغنما ، والركاة مغرما ، وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وحفاه
أباه ، ورتفعت الأصوات في المساجد ، وكان رعيم القوم أذلهم ، وأكرم
الرجل محافة شره ، وليست الحرير ، واتخذت القينات ، والمعارف ، ولعن
أحر هذه الأمة أولها ، فليتوقعوا عند ذلك ريحا حمراء ومسحا وحسفا / ١

٣ - وروى أبو عسدة بن فضال بن عيسى^(١٢) ، ثنا أبو سعيد مولى بني
هاشم - هو عبد الرحمن بن عبد الله - ثنا عبد الرحمن بن العلاء ، عن محمد
ابن المهاجر^(١٣) عن كيسان مولى معاوية ، ثنا معاوية أن رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - نهى عن تسع ، وأنا أنهاكم عنهن ألا إن منهن العناء
والنوح والتصاوير والشعر والذهب وجلود السباع والنخ والحديد

٤ - وروى سلام بن مسكين عن شيخ شهد ابن مسعود يقول العناء
يذهب النفاق في القطب^(١٤)

٥ - وروى عبد الملك بن حبيب^(١٥) ، ثنا عبد العزيز الأريسي ، عن
إسماعيل بن عياش ، عن علي بن زيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال^(١٦)
سمعت رسول الله يقول لا يحل تعليم المغنيات ولا شراؤهن ولا بيعهن ولا

تحدثه ، وتمذهن حرام ، وقد أبطل الله ذلك في كتابه (ومن الناس من يشتري بهو الحديث يحضل عن سبيل الله بغير علم) (١٦) ، والذي يفسى بيده ما رفع رجل عقيرته إلا ارتدفه شيطانان بضربان بأرجلهما صدره وظهره حتى يسكت

٦ - وبه إلى عبد الملك بن حبيب ، عن الأويسى (١٧) ، عن عبد الله بن عمر ابن حفص بن عاصم ، أن رسول الله قال إن المغنى أنه بيد شيطان يرعشه حتى يسكت

٧ - وبه إلى عبد الملك بن حبيب ، ثنى ابن معين ، عن موسى بن أعين (١٨) ، عن القاسم ، عن أسى أمامة أن رسول الله قال إن الله حرّم تعليم المغنيات وشراءهن وأكل أثمانهن (١٩) .

٨ - وذكر البخارى قار قال هشام بن عمار (٢٠) ، ثنا صدقة بن خالد (٢١) ، ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر (٢٢) ، ثنا عطية بن قيسر الكلابى (٢٣) ، ثنا عبد الرحمن بن غنيم الأشعري ، ثنى أبو عامر أو أبو مالك الأشعري (أنه) سمع النبي عليه السلام يقول ليكونن من أمتي قوم يستحبون الحرّ وأحرير والحرّ والمعارف (٢٤)

٩ - وروى ابن شعبان ، ثنى إبراهيم بن عثمان بن سعيد ، ثنى أحمد لغمر بن أبي حماد حمص ، ويزيد بن عبد الصمد ، قالا ثنا عبيد بن هاشم الحلبي ، هو أبو نعيم ، ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مالك عن محمد ابن المنكر ، عن أنس قال قال رسول الله من حبس في قيعة صب في أذنيه الآنك (٢٥) يوم القيامة

١٠ - وبه إلى ابن شعبان ، ثنى عمى ، ثنا أبو عبد الله الدورى ، ثنا عبد الله

القواريري ، ثنا عمران بن عبيد ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس في قول الله عز وجل (ومن الناس من يشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله) . قال الحناء

١١ - وروى ابن أبي شيبة أبو بكر ثنا زيد بن الحباب (٢٦) ، ثنا معاوية
ابن صالح (٢٧) ، عن حاتم بن حريث (٢٨) ، عن ابن أبي مريم (٢٩) ، قال دخل
علينا عبد الرحمن بن عوف فقال أنبأنا أبو مالك الأشعري أنه سمع النبي
عليه السلام يقول يثرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ،
تضرب على رؤوسهم المعارف والقيئات يخسف الله بهم الأرض (٣٠) .

١٢ - وحديث فيه أن الله (تعالى) بهي عن صوتين ملعونين ، صوت
ناتحه وصوت مغبية

وكل هذا لا بصح منه شيء ، وهي موضوعة .

١ - أما حديث عائشة رضي الله عنها ، فقيه سعيد بن أبي رزيق ، عن
أبيه (٣١) ، وكلاهما لا يدرى أحد من هما (٣٢)

٢ - وأم حديث عن رضي الله عنه ، فجميع من فيه إلى يحيى بن سعيد لا
يُدرى من هم ويحيى بن سعيد لم يرو عن محمد بن الحنفية كلمة ولا
أدركه (٣٣)

٣ - وأم حديث معاوية ، فإن فيه كيسان ، ولا يُدرى من هو ، ومحمد
ابن مهاجر ، وهو ضعيف ، وفيه النهي عن الشعر ، وهم مدحونه

٤ - وأم حديث ابن مسعود ، رضي الله عنه ، فقيه شيخ لم يُسم ولا
يعرفه أحد (٣٤)

٥ - وأما حديث أبي أمامة ، ففيه إسماعيل بن عياش ، وهو ضعيف ،
والقاسم ، وهو مثله (٣٥)

٥ - ٦ ، ٧ - وأما أحاديث عبد الملك بن حبيب ، فكلها هالكة (٣٦)

٨ - وأما حديث البخاري ، فلم يورده البخاري مسندا وإنما قال فيه
قال هشام بن عمار ثم هو إلى أبي عمير أو إلى أبي مالك ولا يُدرى أبو عامر
هذا (٣٧)

٩ - وأما حديث أنس فبليه لأنه عن مجهولين ، ولم يروه أحد قط عن
مالك من ثقات أصحابه ، والثاني عن مكحول عن عائشة ، ولم ينقلها قط ،
ولا أدركها ، وفيه أيضا من لا يُعرف ، وهو هاشم بن ناصح ، وعمر بن
موسى ، وهو أيضا منقطع ، والثالث عن أبي عبد الله الدوري ، ولا يُدرى من
هو (٣٨).

١٠ - وأما أحاديث ابن شعبان ، فهالكة .

١١ - وأما حديث أسى شيبه ، ففيه معاوية بن صالح ، وهو ضعيف ،
ومالك بن أبي مريم ، ولا يُدرى من هو (٣٩).

١٢ - وأما النهي عن صوتين ، فلا يُدرى من رواه (٤٠) ، فسقط كل ما في
هذا الباب حملة

١٣ - وأما تفسير قول الله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث)
بأنه (٤١) الغناء ، فليس عن رسول الله ، ولا ثبت عن أحد من أصحابه ،
وإنما هو قول بعض المفسرين ممن لا يقوم بقوله حجة ، وما كان هكذا فلا
بحوز القول به ثم لو صح لما كان فيه متعلق ، لأن الله تعالى يقول (ليضل
عن سبيل الله) وكل شيء يقتضي (٤٢) ليضل به عن سبيل الله فهو إثم

وحرام ، ولو أنه شراء مصحف أو تعليم قرآن ، وبالله التوفيق .
 فإذا لم يصح في هذا شيء أصلاً ، فقد قال تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) (٤٣) وقال تعالى (وهو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) (٤٤) وقال رسول الله من طريق سعد بن أبي وقاص ، وطريقه ثابتة « إن من أعظم الناس جرماً في الإسلام (من سأل عن شيء) لم يحُرِّمْ فحُرِّمَ من أجل مسأَلته » (٤٥) ، فصح أن كل شيء حرمه تعالى علينا قد فصله لنا وما لم يفصل لنا تحريمه فهو حلال

(والأحاديث المبيحة) .

١ - وخرج مسلم بن الحجاج (٤٦) ، قال ثنى هارون بن سعيد الأيبى (٤٧) ، ثنا عبد الله بن وهب ، ثنى عمرو - وهو (ابن) الحارث - أن ابن شهاب حدثه ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين ، أن أبا بكر دخل عليها وعندهما جاريستان تغنيان في أيام منى وتضربان ، ورسول الله مسجى بثوبه ، فنهروهما أبو بكر ، فكتشف رسول الله عنه فقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد .

٢ - وبه (٤٨) إلى عمرو بن الحارث ، أن محمد بن عبد الرحمن حدثه ، عن عروة عن عائشة قالت دخل رسول الله وعندي جاريستان تغنيان بغناء بعث ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، فدخل أبو بكر فاستهزئى وقال مزمار الشيطان عند رسول الله فأقبل عليه فقال دعهما

فإن عيين إن أبا أسامة روى هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه فقال فيه وليسنا بمغنيين ، قيل له قد قالت عائشة تغنيان ، فأثبتت

لغناء لهما فقوله، وليستا بمغنيتين أى ليستا بمحسنتين ، وقد سمع رسول الله قول أبى بكر مرمار الشيطان ، فأنكر عليه ولم ينكر على الجاريتين غناءهما وهذا هو الحق التى لا يسع أحد خلافها ولا يزال التسليم لها

٣ - وروى أبو داود المسجستاني (٤٩) ، ثنا أحمد بن عبيد العداسي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا سعيد بن عبد العزيز ، ثنا سليمان بن موسى عن نافع قال سمع ابن عمر مرمارا فوضع أصبعيه في ^٥ أذنيه وبأى عن الطريق ، وقال يا ذمهم تسمع شيئا ؟ قال لا ، مرفع أصبعيه وقال كنت مع رسول الله فسمع مثل هذا ، فصنع (٥١) مثل هذا فلو كان حراما ما أباح رسول الله لابن عمر سماعه ، ولا أباح ابن عمر لسافع سماعه ، وبكاه عليه السلام ، كره لنفسه كل شيء ليس بالقرب إلى الله ، كره الأكل متكئا والتشغف بعد الغسل في ثوب يعد لذلك (٥٢) ، والستر الموشى على سدة (٥٣) عائشة وعن باب فاطمة رضوان الله عليهما ، وكما كره أشد الكراهية عليه السلام أن يبيت عنده دينار أو درهم وإنما بعث عليه السلام منكرا للمنكر وأمر بالمعروف ، فلو كان ذلك حراما لما اقتصر عليه السلام أن يسد أذنيه عنه ، دون أن يأمر بتركه وينهى عنه . فلم يفعله عليه السلام شيئا من ذلك بل أقرد وتخره عنه ، فصيح أنه مباح وأن تركه (٥٤) أفصل ، كسائر فصول الدنيا المباحة ، ولا فرق

٤ - وروى مسلم بن الحجاج (٥٥) ، قال ثنا رهير بن حرب ، ثنا حرير ابن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة قالت جاء حبش يزغبون في المسجد في يوم عيد ، فسمعت رسول الله ، فوضعت رأسي على منكبه (٥٦) ،

فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أبا التي ابصرته عن النظر به إليهم (٥٧) .
 ٥ - وروى سفيان الثوري وشعبه كلاهما ، عن أبي إسحاق السبيعي ،
 عن عمر بن سعد البجلي (٥٨) ، أن أبا مسعود البدرى ، وقرظة بن كعب ،
 وثابت بن زيد كانوا في العرش وعندهم عشاء ، فقلت هذا وأنتم أصحاب
 رسول الله ؟ فقالوا إنه رخص لنا في العشاء في العرس ، والبكاء على الميت
 في غير نوح ، إلا أن شعبة قال ثابت بن وسيفة مكان ثابت بن زيد ولم يذكر
 أبا مسعود .

٦ - وروى هشام بن زيد ، ثنا حسبان ، عن محمد بن سيرين قال إن
 رجلا قدم المدينة بحدود ، فنزل على ابن عمر وعندهم حارية بصرى ، ف جاء
 رجل فساومه فلم يهو منه شيئا ، قال أطلق إلى رجل هو أمثل لك بيا
 من هذا فأتى إلى عبد الله بن جعفر فعرصه عليه ، فأمر جارية فقال
 خدى فأخذت حتى طوى ابن عمر أنه قد نظر إلى ذلك ، فقال ابن عمر حسبك
 سائر اليوم من مزمار الشيطان ، فباعه ثم جاء الرجل إلى ابن عمر فقال
 يا أبا عبد الرحمن إني عشت بتسعمائة درهم ، فأتى ابن عمر مع الرجل إلى
 المشتري فقال له إنه غيب في تسعمائة درهم ، فإما أن تعطيه إياه وإما أن
 ترد عليه ببيعته فقال بل تعطيه إياه فهذا عبد الله بن جعفر وعبد الله بن
 عمر رضي الله عنهما قد سمعا العناء بالعود ، وإن كان ابن عمر كره ما
 ليس من الجد فلم يته عنه ، وقد سقر في بيع (٥٩) معينة كما يرى ، ولو
 كان حراما ما استجار ذلك أصلا

فإن (٦٠) قال قائل قال الله تعالى (فماذا بعد الحق إلا الضلال) (٦١) ففى
 أى ذلك (٦٢) يقع الغناء ؟ قيل له حيث يقع الترويح في النساءين وصناع

الوارث الثياب وكل ما هو من اللهو (٦٣) ، قال رسول الله « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » فإذا نوى المرء بذلك ترويح نفسه وإجمامها (٦٤) لتقوى على طاعة الله عز وجل فما أتى صلالاً ، وقد قال أبو حنيفة من سرق من ماله أو عوداً قطعت يده ، ومن كسرهما صمتهما فلا يحل تحريم شيء ولا إباحته إلا ينص من الله تعالى أو من رسوله عليه السلام لأنه إخبار عن الله تعالى ، ولا يحور أن يحصر عنه تعالى إلا بالنص (٦٥) الذي لا شك فيه ، وقد قال رسول الله « من كذب على متعمداً علبتوا مقعده من النار » (٦٦)

« قال أبو بكر عبد الباقي بن بريال الحجازي (٦٧) رضى الله عنه ولقد حزننى بعض كبار أهل زمانه (٦٨) أنه قال أخذت النسخة التى فيها الأحاديث الواردة فى ذم العناء والمدح من بيع المعنيات ، وما ذكره فيها أبو محمد رضى الله عنه ونهضت بها إلى الامام الفقيه أبى عمر بن عبد البر (٦٩) ووقفته عليها أياماً ورغبت فى أن يتأملها ، فأقامت النسخة عنده أياماً ثم نهضت إليه فقلت ما صنعت فى النسخة ؟ فقال وجدتها فلم أجد ما أنيد فيها وما أقص »

[تمت رسالة الغناء بحمد الله وعونه] (٧)

ألهوامش

- (١) راجع ما جاء فيه في التهذيب ٨ ٤٦٧
- (٢) عند الرخص بن سابط تابعي ، أرسل عن النبي وكان ثقة وتوفي سنة (١١٨ هـ)
انظر ترجمته في التهذيب (٦ ١٨ رقم ٣٦١)
- (٣) ص . الاسماع
- (٤) الحديث في سنن الترمذي (تفسير سورة ٣١) وتليس وتليس : ٢٢٣
- (٥) ابن أبي الورود اسمه عمران بن عبد الله ، انظر لسان الميران ١٧٢٠
- (٦) « ثناء » من اختصارات الاسماء ، معناه حديثنا ، وكذلك « ثنى » ومعناها حديثي
- (٧) أبو المرجي صرار بن علي (لسان الميران ٩١٢) وحكى ابنه اني عن ابن جرم أنه قال لا يدري من هو قال لسانى وهو كما قال
- (٨) انظر ترجمة محمد بن كثير في لسان الميران ٥٧٣
- (٩) يحيى بن سعيد في لسان الميران ٩٠٩
- (١٠) الحديث في سنن الترمذي (فتن ٣٨) وتليس وتليس ٢٢٤ ، ودم الملامي (٤٢)
- (١١) في الأصل فصل (انظر لسان الميران ٧٧٢) وصغفه ابن الجوزي ووثقه الدارقطني ، وابن حبان
- (١٢) محمد بن المهاجر في لسان الميران ١٢٨٧ (٥ ٣٩٦)
- (١٣) هذا الحديث في سنن أبي داود ٤٧٥٦ (٢ ٥٧٩) والسماع ٨٧ ، ونهية الأرب ٤
١٥٨
- (١٤) انظر لسان الميران ١٧٤ والتهذيب ٧٣٦ قال ابن حجر وقد أعجبت ابن جرم
القول فيه ونسبه إلى الكذب وتعقبه جماعة بأنه لم يسبقه أحد إلى رميه بالكذب
(توفي سنة ٢٣٨ هـ)

(١٥) انظر السماع ٨٧ وبهاية الأرب ٤ ١٤٧

(١٦) لقمان ٦

(١٧) الأويسى هو عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى القرشي الخدسي الفقيه روى عن عبد الله بن عمر العمرى (التهذيب ٦٦٣)

(١٨) انظر ترجمة موسى بن أعين في التهذيب ٥٨٥ (توفي ١٧٧هـ)

(١٩) في نهى الرسول عن بيع المعينات انظر ابن ماجه (تجارات ١١) وقد ورد لا تتبعوا المعينات ولا تشتروهن في الترمذى (بيع ٥١)

(٢٠) هشام بن عمار في التهذيب ١١ ٥١

(٢١) من محال، وترجمته في التهذيب ٤ ٤١٤

(٢٢) انظر ترجمة عبد الرحمن في التهذيب ٦ ٢٩٧

(٢٣) راجع التهذيب ٦ ٢٢٨ (وتوفي عطية سنة ١٢١هـ)

(٢٤) ورد الحديث عبد البخارى في الأشربة انظر ارشاد السوى ٨ ٣١٨ - والحر - بكسر الحاء فرج الترائف

(٢٥) صي الايك ولأنك الرصاص انظر لترمذى (لباس ١٩) وانبخارى (رؤيا

٤٥) واسماع ٨٤ وبهاية الأرب ٤ ١٥٥

(٢٦) انظر ترجمة زيد في التهذيب ٣ ٤٠٢ ، وأظن أنه سمع معاوية بمكة ، لأن معاوية أنشئ

(٢٧) توفي معاوية بن صالح عام (١٨٥هـ) وترجمته في التهذيب ١٠ ٢٠٩ وفي توثيقه اختلاف

(٢٨) في الأعرس حبيب وترجمته في التهذيب ٢ ١٢٩

(٢٩) مالك بن أسى مريم نقل في التهذيب (١٠ ٢١) قول ابن حزم إنه لا يدري من هو وقال الدهمى لا يعرف

(٣٠) انظر ابن ماجه (عقر ٢٢) وقار نقسطلانى (٨ ٣١٨) إن الحديث « يشرب ناس » ورد عند الإمام أحمد وابن أسى شعبة وتاريخ البخارى

(٣١) و الأحمس عن أبيه أنظره في سائر الميراث ٩٨ حيث نقل كلام ابن حرم فيه .

(٣٢) ممن يؤيد ابن حرم في هذا الذهبي (ميراث ٢ ١٢٦) وابن حجر (لسان ٣ ٢٩)

(٣٣) من رواية هذا الحديث أبو المرحى الجيلاسي ، وأحمد بن سعيد . وقد أورد ابن حجر فيهما رأي ابن حرم . وخرج من فضالة . وفيه قال الإمام أحمد حدث عن يحيى بن سعيد مأكبر ، وحدث عن ثقات مأكبر . وقال أبو حاتم حديثه عن يحيى بن سعيد فيه نكارة . وقال الساجي روى عن يحيى بن سعيد مأكبر . وقال ابن حبان خرج من فضالة كان يقبض الأساميد ويرقى المتورق الواهية بالأسانيد الصحيحة ، لا محل للاحتجاج به - (السماع ٨٥)

(٣٤) في رواية هذا الحديث عند الرحمن بن عبد الله العمري . وفيه يقول الإمام أحمد « لا يسوي حديثه شيئا ، حدثنا حديثه أحاديثه مأكبر . وكان كذابا » (السماع ٨٤)

(٣٥) القسم بن عبد الرحمن « وهو منكر الحديث وكان يروى عن الصحابة لمصطلات » (السماع ٧٩) وإسماعيل بن عياش (التهذيب ٥٨) تكلم فيه قوم ووثقه آخرون وسئل عنه يحيى بن معين فقال ليس به في أهل الشام بأس ، والعراقيون يكرهون حديثه

(٣٦) هو عند الملك بن حبيب (٢٢٨ هـ ٨٥٢ م) قال فيه ابن الفريسي لم يكن لابن حبيب علم بالحديث . وحكى الماحصي وابن حرم أن أبا عمر بن عبد البر كان يكذبه

(٣٧) قال ابن أبي أنعيم (روضة المحبين ١٢٠ - ١٣١) « ناقد رأي ابن حرم هذا . » وحفي عليه أن البخاري لقي من عقبه عنه وسمع منه ، وهو هشام بن عمار ، وخفي عليه أن الحديث قد أسنده عمر واحد من أئمة الحديث عمر هشام بن عمر »

(٣٨) من رواه هذا الحديث أبو نعيم - سعيد بن محمد - وفيه يقول ابن القيسراسي ضعيف ولم يطلع عن ابن المبارك ، والحديث عن مالك منكر جدا ، وإنما يروى عن ابن المكندر مرسلا

(٣٩) ممن يؤيد ابن حزم في ذلك الذهبي وفي معاوية ابن صالح يقول ابن معين ليس
بمرص

(٤٠) من رواه هذا الحديث حابر وفيه يقول ابن حبان كان ربه الحفظ كثير انوهم
محدث الخطأ ، يروي الشيء على انوهم ، ويحدث انحسار ، وكثرت المناكير من
حديثه فاستحق الترك وتركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين (السماع ٨٥٠)
وهو معروف بالكذب والتدليس والعنق انتشيع وفي الرواية الثانية لهذا الحديث
محمد بن يزيد الطحان انشكرى ، وهو حديث وصع (السماع ٨٣)

(٤١) من فانه

(٤٢) من يفتن ، نهاية الأرب اقتصى

(٤٣) الانعام ١١٩

(٤٤) البقرة ٢٩

(٤٥) كرره الإمام أحمد في مسنده (١٥٢٠ - ١٥٤٥) ، ورواه البخاري (٩٥٠ - ٩٥٠) ، ومسلم
(٩٢٠ - ٩٢٠) وتختلف روايته بعض الشيء عما ورد هنا ، وأقر بها إلى ما رواه ابن
حزم « إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم ، فحرم من أحل
مسألته »

(٤٦) أمير حبيب مسلم ٣ ٢١ باب صلاة العيدين والبخاري باب سنة العيدين لأهل
الاسلام ١٧ ٢ وابن ماجه (نكاح ٢١) ويوراق الانماع ١٣٢ والسماع ٣٧

(٤٧) من الأيدي

(٤٨) صحيح مسلم ٣ ٢٢ وانظر البخاري رعيدين ٢ ، ٢) والسماع ٣٨٠

(٤٩) سعد أبي داود ٧ ٢٢٨ (٥٧٩) وانظر دم الملاهى ٥٢ والسماع ٥٩

(٥٠) في مسند السجستاني عن

(٥١) في الاصل وصنع ، وفي مسند أبي داود تعليقا عن هذا الحديث قال أبو علي
اللقائى سمعت أنا داود يقول : وهو حديث منكرو

(٥٢) من يثوبه بعد ذلك والقصوب عن نهاية الأرب

(٥٣) السدة مما جاب الدار أو البيت ، أو شيء كالمظلة عن اسباب ، وفي نهاية الأرب سهوة

(٥٤) نهاية الأرب وإن الترتله

(٥٥) أنظر صحيح مسلم ٢ ٢٢

(٥٦) في الأصل منكبيه

(٥٧) في الصحيح أنصرف عن النظر إليهم

(٥٨) أنصرف في التهذيب ٧ ١

(٥٩) من بيه

(٦٠) من فقد ، والتصويب عن نهاية الأرب

(٦١) يونس ٣٢

(٦٢) من فقرأ في نسب ، والتصويب عن نهاية الأرب

(٦٣) من اللغز

(٦٤) من وجمعها

(٦٥) من نصر

(٦٦) نظر هذا الحديث في باب إثم من كذب على النبي من صحيح البخاري ١ ٢٩

(٦٧) من أبو بكر بن محمد بن أساقى تومل الحجاري والاسم معروف تحريفا شديدا

وصوابه أبو بكر عبد الباقي بن محمد بن سعيد بن بريث الحجاري نسبة إلى وادي

الحجارة توفى سنة ٢ ٥ (الصفحة ٢٦٦)

(٦٨) من مآته

(٦٩) هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمرى الفقيه الحافظ الأكثر العالم

بالقراءات وعلوم الحديث والرجال ، كان كثير الشيوخ ، علو أنه لم يخرج عن

الأندلس ، لكنه سمع من أكابر أهل الحديث بقرطبة وغيرها وحس العرباء القادمين

إليها ، وله مؤلفات كثيرة قيمة توفى سنة ٤٦٠ هـ و ترجمته في الحدود ٢٤٤

وانصلة ٦٤ وترتيب المدارك ٤ ٨٠٨ وتذكرة الحفاظ ١٦٣٢٨ والديباج

٣٥٧ وس حلكن ٧ ٧٦

(٧) وفي (المحرر) - لاس حرم - الذي ثبت فيما بين ما كتبه فيه عن حكم إلغاء التفصيل
أكثر من هذا الموضوع

- ٢ -

المجلى

بالآثار في شرح المجلى بالاختصار

٥٥٣ - مسألة (١) - والغناء واللعب والرَّقْص (٢) في أيام العيدين حسن في المسجد وغيره - حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله ، ثنا إبراهيم بن أحمد ، ثنا القريري ، ثنا البحاري ، ثنا أحمد بن صالح ، ثنا ابن وهب ، أنا عمرو - وهو ابن الحارث - أن محمد بن عبد الرحمن - هو يتيم عروة - حدثه عن عروة عن عائشة قالت « دخل عليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندي حاريتان تعيان بغية بغاث (٣) ، قاضطجع على الفرش وحول وجهه ، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مرمارة الشيطان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فأقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال دعها (٤) ، فلما عقل عمرتهما فخرجت ، وكان يوم عيب ، يلعب السودان بالدرق والحراب ، فلما سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإما قال تشتهين تنظرين ؟ فقلت نعم ، فأقامني وراءه ، خدي على خده ، « هو يقول دونكم يا بني أرفدة (٥) حتى إذا مللت قال حسبك » قلت نعم ، قال فاذهبي » حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا أحمد بن فتح ، ثنا عبد الوهاب بن عيسى

ثنا أحمد بن محمد ، ثنا أحمد بن عمر ، ثنا مسلم بن الحجاج ، حدثني هرون بن سعيد الأيمى حدثني أبي وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث أن ابن شهاب حدثه عن عروة عن عائشة « أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تغنيز وتضربان ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجى بثوبه ، فاستهرهما أبو بكر ، فكشف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه وقال دعهما يا أب بكر فإسها أيام عيد »

وبه إلى مسلم ثنا زهير بن حرب ، ثنا جرير - هو ابن عبد الحميد - عن هشام - هو ابن عروة - عن أبيه ، عن عائشة قالت « جاء حديث يزعمون في يوم عيد في المسجد ، فدعاني النبي - صلى الله عليه وسلم - فوضعت رأسي على منكبيه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم ، حتى كنت أنا التي انصرفت »

وبه إلى مسلم حدثني محمد بن رافع ، وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق ، أنا معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال « بينما الحديثة يلعبون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحراشهم إذ دخل عمر بن الخطاب ، فأهوى إليهم ليخصمهم بالحصباء فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعهم يا عمر »

قال أبو محمد أين يقع إنكار من أنكروا من إنكار سنن هذه الأمة بعد نبينا - صلى الله عليه وسلم - أنى بكر ، وعمر رضي الله عنهما ؟ وقد أنكر عليه السلام عليهما إنكارهما ، فرجعا عن رأيهما إلى قوله عليه السلام

١٥٦٥ - مسألة (١٦) - وبيع الشطر سج ، والمرامير ، والعيان والمعارف ، والطاير حلال كله ، ومن كسر شيئا من ذلك ضمنه إلا أن يكون صورة مصورة (١٧) فلا ضمان على كاسرها لما ذكرنا قبل ، لأنها ما من مال مالكةا ،

وكذلك بيع المغنيت وابتضاعهن قال تعالى (خلق لكم ما في الأرض جميعاً)^(٨) وقال تعالى (وأحل الله البيع)^(٩) وقال تعالى . (وقد عصتكم ما حرم عليكم)^(١٠) ولم يأت نص بتحريم بيع شيء من ذلك ، ورأى أبو حنيفة الضمان على من كسر شيئاً من ذلك

واحتج المانعون بأقار لا تصح ، أو يصح بعضها ولا حجة لهم فيها ، وهي ما رويها من طريق أبي داود الطيالسي ، نا هشام ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلام ، عن عبد الله بن زيد بن الأرق ، عن عقبة بن عامر الجهني قال « قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كل شيء يلهو به الرجل فباطل إلا رمى الرجل بقوسه ، أو تأسيه عرسه ، أو ملاعبته امرأته ، فإنهن من الحق »

عبد الله بن زيد بن الأرق مجهول

ومن طريق أبي أبي شيبة ، عن عيسى بن يونس ، عن عبد الرحمن بن بريد ، عن جابر ، نا أبو سلام الدمشقي ، عن خالد بن زيد الجهني ، قال لي عقبة بن عامر قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ليس لهو المؤمن إلا ثلاث ثم ذكره

خالد بن زيد مجهول

ومن طريق أحمد بن شعيب ، نا سعيد ، نا ابن حفص ناموسي بن أمين ، عن خالد بن أبي يزيد ، حدثني عبد الرحيم ، عن الزهري ، عن عطاء بن أبي رباح رأيت جابر بن عبد الله ، وجابر بن عبيد الأنصاريين يرميان ، فقرر أحدهما للآخر « أما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول كل شيء ليس من ذكر الله فهو لعب لا يكون أربعة ملاعبة الرجل امرأته ،

وتأديب الرجل فرسه ، ومشى الرجل بين الغرضين ، وتعليم الرجل
السباحة »

هذا حديث مثنوئي مدلس دلالة سوء ، لأن الزهري المذكور فيه ليس
هو ابن شهاب ، ولكنه رجل زهري مجهول اسمه عند الرحيم ، ورواه من
طريق أحمد بن شعيب ، أن محمد بن وهب الحراسي ، عن محمد بن سلمة
الحراسي ، عن أبي عبد الرحيم - هو خالد بن أبي يزيد - وهو خال محمد بن
سلمة ، عن عبد الرحيم الزهري ، عن عطاء رأيت جابر بن عبد الله ، وجابر بن
عبيد الأنصارين يرمضان فقاما أحدهما بالآخر سمعت رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - يقول « كل شيء ليس فيه ذكر الله تعالى فهو سهو وسع
إلا أربعة ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشي بين
الغرضين ، وتعليم الرجل السباحة »

فسقط هذا الخبر

وروينه أيضا من طريق أحمد بن شعيب أنا إسحاق بن إبراهيم ، أنا
محمد بن سلمة ، أنا أبو عبد الرحيم ، عن عبد الوهاب بن بخت ، عن عطاء
بن أبي رباح ، رأيت جابر بن عبد الله ، وجابر بن عبيد فذكره ، وفيه « كل
شيء ليس من ذكر الله فهو لغو وسهو »

عبد الوهاب بن بخت غير مشهور بالعدالة ثم ليس فيه إلا أنه سهو
ولغو ، وليس فيه تحريم

وروى من طريق العباس بن محمد السورى ، عن محمد بن كثير الأعرجي ،
ناجعقر بن سليمان الضبعي ، عن سعيد بن أبي رزيق ، عن أبيه ، عن ليث
بن أبي سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله

عنها ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « إن الله حرم المغنية وبيعها
وثننها وتعليمها والاستماع إليها »

فيه ليث وهو ضعيف ، وسعيد بن أبي رزين ، وهو مجهول لا يُدرى
من هو ، عن أخيه ، وما أدراك ما عن أخيه ، هو ما يُعرف وقد سمي ، فكيف
أخوه الذي لم يُسمَّ^{١٧} .

وحدثنا أحمد بن عمر بن أنس ، نا أبو أحمد سهل بن محمد بن أحمد بن
سهل المروزي ، نا لاحق بن الحسين المقدسي قدم مر - نا أبو أمرجي
ضرار بن علي بن عمير القاصي الجيلاني ، نا أحمد بن سعيد بن عبد الله بن
كثير الحمصي ، نا فرج بن فضالة ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن علي
بن الحنفية ، عن أبيه علي بن أبي طالب ، قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - « إذا عملت أمتي خمس عشرة حسنة حل بها البلاء فذكر
منهن^(١٨) » واتخذوا القينات ، والمعازف فليتوقعوا عند ذلك ريحا حمراء
ومسحاً وخسفاً »

لاحق بن الحسين ، وضرار بن علي ، والحمصي مجهولون ، وفرج بن
فضالة حمصي متروك ، تركه يحيى ، وعبد الرحمن

ومن طريق قاسم بن أصبغ نا إبراهيم بن إسحاق النيسابوري ، نا أبو
عبدة بن الفضيل بن عياض ، نا أبو سعيد مولى بني هاشم - هو عبد
الرحمن بن عبد الله - نا عبد الرحمن بن العلاء ، عن محمد بن المهاجر ، عن
كيسان مولى معاوية ، نا معاوية ، قال « نهى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - عن تسع وأنا أنهيكم عنهن الآن ، فذكر فيهن النساء والنوح »
محمد بن المهاجر ضعيف ، وكيسان مجهول .

ومن طريق أبي داود - نا مسلم بن إبراهيم ، نا سلام بن مسكين ، عن شيخ ، أنه سمع أبا وائل يقول سمعت ابن مسعود يقول سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « إن الغناء ينبت النفاق في القلب »
عن شيخ عجب جدا

ومن طريق محمد بن أحمد بن الجهم ، نا محمد بن عبدوس ، نا ابن أبي شعيبه ، نا زيد بن الحباب ، عن معاوية بن صالح ، نا حاتم بن حريث ، عن مالك بن أبي مريم ، حدثني عبد الرحمن بن غنم ، حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع النخعي - صلى الله عليه وسلم - يقول « يشرب ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها ، يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقبينات^(١٣) يخسف الله بهم الأرض »

معاوية بن صالح ضعيف ، وليس فيه أن الوعيد المذكور إنما هو على المعازف ، كما أنه ليس على اتخاذ القينات ، والظاهر أنه على استحلالهم الخمر بغير اسمها ، والديانة لا تؤخذ بالظن

حدثنا أحمد بن إسماعيل الحضرمي القاضي ، نا محمد بن أحمد بن الخلاص ، نا محمد بن القاسم بن شعبان المصري ، حدثني إبراهيم بن عثمان بن سعيد ، نا أحمد بن الغمر بن أبي حماد بجمص ، ويزيد بن عبد الصمد ، نا عبيد بن هشام الحلي - هو ابن نعيم - ، نا عبد الله بن المبارك ، عن مالك بن أنس ، عن محمد بن المتكدر ، عن أنس بن مالك قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من جلس إلى قينة فسمع^(١٣) منها صب الله في آذنيه الآنك^(١٤) يوم القيامة » .

هذا حديث موصوع مركب قضيحة ، ما عرف قط من طريق أنس ، ولا

من رواية ابن المنكدر ، ولا من حديث مالك ، ولا من جهة ابن اسارك ، وكل من دون ابن المبارك إلى ابن شعبان مجهولون وابن شعبان في المالكيين نظير عبد الباقي بن زافع في الحنفيين وقد تأمنا حديثهما فوجدنا فيه البلاء البير ، والكذب البحت ، والوضع اللاتح ، وعظيم الفصائح ، إما تغير ذكرهما أو اختلطت كتبهما ، وإما تعمدتا الرواية عن كل من لا خير فيه من كذاب ، ومغف يقيم التلقين ، وأما الثالثة وهي الثالثة الأثافي أن يكون البلاء من قبلهما ونسأل الله العافية ، والصدق ، وصواب الاحتبار

ومن طريق ابن شعبان قال روى هاشم بن نصح ، عن عمر بن موسى ، عن مكحول ، عن عائشة قالت قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « من مات ومعه جارية مغنية فلا تصلوا عليه »

هاشم ، وعمر ، مجهولان ومكحول لم يلق عائشة .

وحديث لا ندري له صريف ، إنما سكره هكذا مطلقاً أن الله تعالى « بهي

عن صوتين ملعونين صوت بائحة وصوت مغنية »

وهذا لا شيء .

ومن طريق سعيد بن منصور ، بإسماعيل بن عياش ، عن مطروح بن يزيد ، نا عبید الله بن زحر عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وثمنهن حرام ، وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليصد عن سبيل الله بغير علم) الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل قط عقيرة صوته بعناء إلا ارتدفه شيطانان يضربانه على صدره وظهره حتى يسكت »

إسماعيل ضعيف ، ومطرح مجهول ، وعبيد الله بن زحر ضعيف ،
والقاسم ضعيف ، وعلى بن يزيد دمشقي مطرح متروك الحديث
ومن طريق عبد الملك بن حبيب الأندلسي ، عن عبد العزيز الأويسي ، عن
إسماعيل بن عياش ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي
أمامة الباهلي ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول « لا يحل
تعليم المغنيات ولا شراؤهن ولا بيعهن ولا اتحاضهن ، وثمنهن حرام ، وقد
أنزل الله ذلك في كتابه (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن
سبيل الله فغير عزم) ، واندى نفسي بيده ما رفع رجل عقيره بالغناء إلا
ارتدعه شيطان يضربان بأرجلها صدره وظهره حتى يسكت »
ومن طريق ابن حبيب أيضا ما أنس معبد ، عن موسى بن أعين ، عن
القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال « إن الله حرم تعليم المغنيات وشراؤهن وبيعهن وأكل أشمانهن »
أما الأول ، فعبد الملك هالك وإسماعيل بن عياش ضعيف ، وعلى بن
يزيد ضعيف متروك الحديث ، والقاسم بن عبد الرحمن ضعيف ، والثاني
عن عبد الملك ، والقاسم أيضا ، وموسى بن أعين ضعيف
ومن طريق عبد الملك بن حبيب ، عن عبد العزيز الأويسي ، عن عبد الله
ابن عمر قال قال رجل « يا رسول الله ، في إبل أفأحدو فيها » قال نعم ،
قال أفأعنى فيها ؟ قال نعم أن المعنى أدناه بيد شيطان يرعمه حتى
يسكت ،

هذا عبد الملك والعمرى الصغير وهو ضعيف
ومن طريق سعيد بن منصور ، نا أبو داود - هو سليم بن سالم بصرى

.. ما حسان بن أبي سنان عن رجل ، عن أبي هريرة قال قال رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - « يمسح قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنزير
 قالوا يا رسول الله ويشهدون أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله » قال نعم
 ويصلون ويصومون ويحجون ، قالوا فما بالهم يا رسول الله ؟ قال
 اتخذوا المعازف ، والفيجات ، والدقوف ، ويشربون هذه الاشربة فساقوا ،^{١٥}
 على لهورهم وشرابهم فأصبحوا قردة وخنزير »

هذا عن رجل لم يسم ولم يذكر^{١٦} من هو

ومن طريق سعيد بن منصور أيضا ، ما للحارث بن شهاب ، نا فرقد
 السبخي ، عن عاصم بن عمرو ، عن أبي أمامة قال قال رسول الله - صلى
 الله عليه وسلم - « قبيت طائفة من أمتي على هو وعب ، وأكل وشرب
 فيصبحوا قردة وخنزير ، يكون فيها حسف وقذف ، ويبعث على من
 حيائهم ريح فتسفعهم كما سعت من كان قبلهم باستحلالهم الحرام
 ولبسهم الحرير ، وضربهم الدقوف ، واتخاذهم القيان »

الحارث بن سبهان لا يكتب حديثه . وفرقد السبخي ضعيف مع . وسليم
 بن سالم ، وحسان بن أبي سنان ، وعاصم بن عمرو لا أعرفهم فسقط
 هذان الحاران يقيان

ومن طريق سعيد بن منصور ، نا فرج بن فضالة ، عن علي بن يزيد ، عن
 القاسم ، عن أبي أمامة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن الله
 بعثني رحمة للعالمين وأمرني بمحو المعارف ، والمراير ، والأوثان ، والصلب
 لا يحس بيعهن ولا شراؤهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن وثمان حرام » .
 يعني الصوارب ، القاسم ضعيف

ومن طريق البخاري ، قال هشام بن عمار نا صدقة بن خالد ، نا عبد الرحمن بن يزيد من حابر ، نا عطية بن قيس الكلابي ، حدثني عبد الرحمن بن غنم الأشعري (قال) (١٧) ، حدثني أبو عامر - أو أبو مالك الأشعري - ووالله ما كذبتني - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول «ليكونن من أمتي قوم (١٨) يستحلون الحز (١٩) والحرير ، والحمر ، والمعارف»

وهذا منقطع لم يتصل ما بين البخاري وصدقه بن خالد ولا يصح في هذا الباب شيء أبدا وكل ما فيه فموضوع ، ووالله لو أسند جميعه أو واحد منه فأكثر من طريق الثقات إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما ترددنا في الأخذ به ، ولو كان ما في هذه الأخبار حقا من أنه لا يحل بيعهن لوجب أن يسجد من وطئهن بإشراء وأن لا يلحق به ولده منها ، ثم ليس فيها تحريم ملكهن ، وقد تكون أشياء يحرم بيعها ويحل ملكها وتمليكها (٢٠) كالماء والنهر ، والكلب

هذا كل ما حصرنا ذكره ، مما أضيف إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

أما عمر دونه عليه السلام ، فروينا من طريق ابن أبي شيبة ، نا حاتم ابن إسماعيل ، عن حميد بن صخر ، عن عمار الدهني ، عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء ، عن ابن مسعود في قول الله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) (٢١) الآية فقال الغناء والذي لا إله غيره

ومن طريق وكيع ، عن أبي أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن

عباس في هذه الآية قال الغناء وشراء المغنية
ومن طريق ابن أبي شيبة ، نا ابن فضيل ، عن عطاء ، عن سعيد بن
جعفر ، عن ابن عباس في هذه الآية قال الغداء وسحوه
ومن طريق سعيد بن منصور ، نا أبو عوانة ، عن عبد الكريم الجزري ،
عن أبي هاشم الكوفي ، عن ابن عباس قال اسف حرام ، والمعارف حرام ،
والمزمار حرام ، والكوبة (٢٢) حرام
ومن طريق سعيد بن منصور ، نا أبو عوانة ، عن حماد بن أبي سليمان
عن إبراهيم قال الغداء ينبت النفاق في القلب
ومن طريق سعيد بن منصور نا أبو وكيع (٢٣) عن منصور ، عن إبراهيم
قال كان أصحابنا يأخذون بأفواه السكك يحرقون الدعوف
ومن طريق ابن أبي شيبة نا وكيع عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ،
عن مجاهد في قول الله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) قال
الغناء ، وهو أيضا قور حبيب بن أبي ثابت
ومن طريق ابن أبي شيبة ، نا عبدة بن سليمان ، عن إسماعيل بن أبي
خالد ، عن شعيب ، عن عكرمة في هذه الآية قال هو العناء
قال أبو محمد لا حجة في هذا كله لوجوه .
أحدها أنه لا حجة لأحد دون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
والثاني أنه قد حالف غيرهم من الصحابة والتابعين
والثالث أن نص الآية يبطل احتجاجهم بها لأن فيها (ومن الناس من
يشترى لهو الحديث ليصل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم
عذاب مهين)

وهذه صفة من فعلها كان كافرا بلا خلاف إذا اتخذ سبيلا لله تعالى هزوا، وبو أن امرءا اشترى مصحفا فيضل به عن سبيل الله ويتحدها هزوا لكأن كافرا، فهذا هو الذي دم الله تعالى، وما ثم قط عر وجل من اشترى لهو الحديث ليلتهى به ويروح نفسه لا ليصل عن سبيل الله تعالى، فيضل تعلقهم بقول كل من ذكرنا

وكذلك من اشتغل عامدا عن الصلاة بقراءة القرآن، أو بقراءة السني. أو بحديث يتحدث به، أو ينظر في ماله، أو معناه أو شعر ذلك، فهو فاسق عاص لله تعالى ومن لم يصنع شيئا من الفرائض اشتعالا بما ذكرنا فهو محسّر

واحتجوا فقالوا من الحق الغناء، أم من غير الحق، ولا سبيل إلى قسم ثالث^(٢٤) فقالوا وقد قال الله عز وجل (فماذا بعد الحق إلا الضلال)^(٢٥) فجوابنا، وبالله تعالى التوفيق إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى » فمن نوى باستماع الغناء عوفا على معصية الله تعالى فهو فاسق، وكذلك كل شيء غير الغناء، ومن نوى به ترويح نفسه ليقوى بذلك على طاعة الله عز وجل ويستشط نفسه على البر فهو مطيع محسّر، وفعله هذا من الحق، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه، كخروج الإنسان إلى سبانه منبرها، وقعوده على باب داره متفرجا وصداغة ثوبه لازورديا أو أحمر أو غير ذلك، ومن ساقه وقمضها^(٢٦) وسائر أفعاله، فيبطل كل ما شغبوا به بطلانا متيقنا، والله تعالى اعلم، وما نعلم لهم شبهة غير ما ذكرناه أ هـ

الهوامش

- (١) (المحى) ج ٥ ص ٩٢ ٩٣ طبعة دار الأمايق الجديدة - بيروت - بدون تاريخ ، وهي مصورة عن طبعة القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ .
- (٢) مفتاح البراءة وإسكان الفاء
- (٣) بضم الباء وفتح العين المهملة المحذوفة موضع في مواضع 'غديته على ليلتين' منها ، كانت به وقائع بين لاوس والحزرج في البحامية
- (٤) هكذا في الأصلين بالأهراء روى البخاري (ج ٢ ص ٥٤ ، ٥٥) «دعهما» وكل صحيح
- (٥) مفتاح: نهمة و سكان البراء وكسر الفاء وفتح ابدال نهمة ، لقب سمينة
- (٦) (المحى) باب أحكام البيوع - ج ٩ ص ٥٥ - ٦
- (٧) أي تمثالا - صيما - يُعبد أو يُعظم ، أو فيه مظنة لشئ من ذلك
- (٨) النقرة ٢٩
- (٩) لنقرة ٢٧٥
- (١٠) الامم ١١٩
- (١١) في النسخة رقم ١٤ فيها بدل منهج
- (١٢) في النسخة رقم (١١) يضرب رءوسهن المعروف والمعنيات
- (١٣) في النسخة رقم (٦) يسمع
- (١٤) هو الرصاص الأبيض وقيل الأسود
- (١٥) في النسخة رقم ١٦ فيياتون
- (١٦) في النسخة رقم ١٦ ولا يدري

(١٧) الريادة من صحيح البخاري

(١٨) في صحيح البخاري أقوام ، وهو مطول فيه اختصره المصنف واقتصر على محل

الشاهد منه

(١٩) في النسخة رقم ١٤ بعاء معجمة وما هن موافق لصحيح البخاري

(٢٠) النسخة رقم ١٦ تملكها

(٢١) لقمان ٦

(٢٢) قال ابن الأثير في النهاية ، هي البرد ، وقيل الطس ، وقيل الربط

(٢٣) في النسخة رقم (١٦) ما وكيع

(٢٤) يونس ٣٣

(٢٥) في النسخة رقم ١٤ ومد ساقيه وقبصهما

✻ ✻ ✻

(ب)

أبو حامد الغزالي

(محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي)

(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م)

كتاب آداب السماع

الباب الأول

في ذكر اختلاف العلماء في إباحة السماع ،
وكشف الحق فيه (*)

(*) اعتنا هذا النص من كتاب العراقي (إحياء علوم الدين) - طبعة دار الشعب - القاهرة - وهي مصورة

وقد استوفينا من التحريجات التي حياء بها مشيها للأحاديث الواردة في النص - وهي التي خرجها العراقي أبو الفصل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي الدين العراقي الكردي (٧٣٥ - ٨٠٦ هـ) بحث عبوس (المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تحريج ما في الإحياء من الأخبار) ومكان هذا النص في (الإحياء) ص ١١٢١ - ١١٥٣ ، ص ١١٨٢ - ولقد أضفنا إلى النص ما رأيناه - في التحقيق - ضروريا من التعليقات والمروحات والبرجيم بالعلام والخرقيم -

الباب الأول

في ذكر اختلاف العلماء في إباحتهم السماع ، وكشف الحق فيه
بيان أقاويل العلماء والمتصوفة في تحليله وتحريمه

اعلم أن السماع هو أول الأمر ، ويثمر السماع في حالة في القلب تُسمى
الوحد ويثمر الوحد تحريك الأطراف ، إما بحركة غير موروثة فتسمى
الاضطراب وإما موروثة فتسمى التصفيق والسرقة ، فلنبدأ بحكم
السماع ، وهو الأول ، ونقل فيه الأقاويل لمعربة عن المذاهب فيه ، ثم نذكر
الدليل على إباحته ثم نردعه بالجواب عما تمسك به القائلون بتحريمه
فأما نقل المذاهب

فقد حكى القاضي أبو الطيب (١) انطربى عن الشافعي ، ومالك ، وأبي
حنيفة ، وسفيان ، وجماعة من العلماء العظام يستدل بها على أنهم رأوا
تحريمه

وقال الشافعي (٢) رحمه الله في كتاب أدب القضاء إن الغناء لهو مكروه
يشبه البطل ، ومن استكثر منه فهو سفیه ترد شهادته

قال القاضي أبو الطيب استماعه من امرأة التي ليست بمحرّم به لا

يجوز عند أصحاب الشافعي ، رحمه الله ، سحار ، سواء كانت مكتشفة أو من وراء حجاب ، وسواء كانت حرة أو مملوكة

وقال الشافعي ، رضي الله عنه ، صاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها فهو سهيه تُرد شهادته

وقال وحكى عن الشافعي أنه كان يكره لطققة سالفصيب ، ويقول وضعت الزنسقة ليشغلوا به عن القرآن ، وقال الشافعي رحمه الله ويكره ، من جهة الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملهي ، ولا أحب اللعب بالشطرنج ، وأكره كل من يلعب به الساس لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة

وأما مالك^(٢) رحمه الله ، فقد نهى عن الغناء ، وقال إذا اشترى جارية فوجدتها مغنية كان له ربه ، وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا إبراهيم بن سعد وحده .

وأما أبو حنيفة^(٣) رضي الله عنه ، فإنه كان يكره ذلك ، ويجعل سماع الغناء من الأدب ، وكذلك سائر أهل الكوفة سفيان الثوري^(٤) ، وجماد^(٥) وإبراهيم^(٦) ، والشعبي^(٧) وغيرهم ، فهذا كله نقله القاضي أبو الطيب الطبري

ونقل أبو طالب المكي^(٨) إساحة السماع عن جماعة فقال سمع من الصحابة عند الله بن جعفر ، وعند الله بن الزبير ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية وغيرهم ، وقال قد فع ذلك كثير من السلف الصالح ، صحابي وتابعي بإحسان وقال لم يزل الحجازيون عندنا بمكة يسمعون السماع

في أفضل أيام السنة ، وهي الأيام المحدودات التي أمر الله عباده فيها بذكره
كأيام التشريق ، ولم يرل أهل المدينة مواطنين كأهل مكة على السماع إلى
رمنا هذا ، فأدركنا أبا مروان القاضي وبه جوار يسمعون الناس التلحين قد
أعدهن للصوفة ، قسا ، وكان لعطاء جاريان يلحسان فكان إخوانه
يستمعون إليهما ، قال وقيل لأبي الحسن بن سالم كيف تنكر السماع وقد
كان الجيد (١) وسرى السقضي (٢) وذو النون (٣) يستمعون ؟ فقال
وكيف أنكر السماع وقد أجازته وسمعه من هو خير مني ، فقد كان عبد الله بن
جعفر الطيار يسمع ، وإنما أنكر اللهو اللعاب في السماع وروى عن يحيى
ابن معاذ أنه قال : فقدت ثلاثة أشياء مما نراها ولا أرها تزداد إلا قلة حسن
الوجه مع الصيانة ، وحسن القول مع السيادة ، وحسن الإخاء مع الوفاء ،
ورأيت في بعض الكتب هذا محكيا بعينه عن الحارث ، الحاسبي (٤) ، وفيه ما
يسأل على تحويره لسماع مع رده وبصاوبه وحده في الدين وتشميره قال
وكان ابن مجاهد لا يجيب دعوة إلا أن يكون فيه سماع وحكي غير واحد أنه
قال اجتمع في دعوة ومعتا أبو القاسم بن بنت منيع ، وأبو بكر بن داود ،
وإبن مجاهد في نظرائهم ، فحضر سماع ، فجعل ابن مجاهد يحرض ابن بنت
منيع على ابن داود في أن يسمع ، فقال ابن داود حدثني أنسى عن أحمد بن
حبيل أنه كره السماع ، وكان أبي يكرهه ، وأنا عن مذهب أبي ، فقال أبو
القاسم بن بنت منيع أما حسي أحمد بن بنت منيع فحدثني عن صالح بن
أحمد ، أن أباها كان يسمع قول ابن الخبازة ، فقال ابن مجاهد لاس داود
دعني أنت من أبيك ، وقال لابن بنت منيع دعني أنت من حديدك ، أي شيء

تقول يا أما بكرك فيمن أنشد بيت شعر أهو حرام ؟ قال لا ، قال فإن
أنشده وطوله وقصر منه الممدود ومد منه المقصور أبحرم عليه ؟ قال أما
لم أقول لشيطان واحد فكيف أقوي لشيطانين ؟ قال وكان أسو الحسن
العسقلاني الأسود من الأولياء يسمع ويؤله عبد السماع ، وصنف فيه كتابا
ورن فيه على منكبيه ، وكذلك جماعة منهم صنفوا في الرد على منكبيه

وحكى عن بعض النسيوخ أنه قال رأيت أما العباس الخضر عليه السلام ،
فقلت له ما تقول في هذا السماع الذي اختلف فيه أصحابنا ؟ فقال هو
الصفو اللال الذي لا يثبت عليه إلا أقدم العلماء

وحكى عن ممشاد الديوري أنه قال رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم
في اليوم فقلت يا رسول الله ، هل تذكر من هذا السماع شيئا ؟ فقال ما أنكر
منه شيئا ولكن قل لهم يفتتحون قبله بالقرآن ويختمون بعده بالقرآن

وحكى عن طاهر بن سلال أنهما في الوراق ، وكان من أهل العلم ، أنه
قال كنت معتكفا في جامع حده على البحر ، فرأيت يوما طائفة يقولون في
جانب منه قولا ويستمعون ، فأكرت نائب قلبي ، وقلب ، في ميب من بيوت
الله ، يقولون الشعر ، قال فرأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - تلك الليلة
وهو جالس في تلك الباحة ، وإلى حبه أبو بكر الصديق - رضي الله عنه .
وإذا أبو بكر يقول شيئا من القول والنبي - صلى الله عليه وسلم - يستمع
إليه ، ويضع يده على صدره كالواحد بذلك فقلت في نفسي ما كان يدعى
لي أن أنكر عي أولئك الذين كانوا يستمعون ، وهذا رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - يستمع ، وأبو بكر يقول ، فالتفت إلى رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - وقال هذا حق بحق ، أو قال حق مر حق - أنا أشك فيه - وقال
 الجيد تدرى الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة موضع ، عند الأكل ، لأنهم لا
 يأكلون إلا عن فاقة ، وعند الأكر ، لأنهم لا يتجاوزون إلا في مقامات
 الصديقين ، وعند السماع لأنهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا
 وعن ابن جريح أنه كان يرخص في السماع ، فحين له ، أيوتى يوم القيامة
 في حملة حسباتك أو سيئاتك ؟ فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه
 شبيهه ياللغو ، وقال الله تعالى (لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم)^(١١)
 هذا ما نقل من الأقاويل ، ومن طلب الحق في التقليد فمهما استقصى
 تعرضت عنه هذه الأقاويل ، فيبقى متحيرا أو مائلا إلى بعض الأقاويل
 بالتشهي ، وكل ذلك قصور من ينبغي أن يطلب الحق بطريقة وذلك بالبحث
 عن مدارك الخطر والإباحة كما سذكره

بيان الدليل على بياحه السماع

اعلم أن قول القائل السماع حرام معناه أن الله تعالى يعاقب عليه ،
 وهذا أمر لا يعرف بمجرد العقل بل بالسمع ، ومعرفة اشروعات محصورة
 في النص أو القياس على مخصوص وأعلى بالنص ما أظهره - صلى الله
 عليه وسلم - بقوله أو فعله ، وبالقياس المعنى المفهوم من الفاظه وأفعاله ،
 فإن لم يكن فيه نص ولم يستقم فيه قياس على مخصوص نزل القول

بتحريمه ، وبقي فعلا لا حرج فيه كسائر المباحات ، ولا يسئل على تحريم السمع نص ولا قياس ، ويتضح ذلك في حواشينا عن أدلة المائلين إلى التحريم ، ومهما (١٥) تم الجواب عن أدلتهم كان ذلك مسلكا كافيا في إثبات هذا الغرض ، لكن نسنتج ونقول قد دل النص والقياس جميعا على اباحته .

أما القياس فهو أن الغناء اجتمعت فيه معان ينغى أن يبحث عن أفرادها ، ثم عن مجموعها ، فإن عيسه سماع صوت طيب مورون مفهوم المعنى ، محرك للقلب ، قالوصف الأعم أنه صوت طيب ، ثم الطيب ينقسم إلى المورون وغيره ، والمورون ينقسم إلى المفهوم كالأشعر وإلى غير المفهوم كأصوات الجمادات وسائر الحيوانات

الدرجة الأولى أما سماع الصوت الطيب من حيث إنه طيب فلا ينغى أن يحرم ، بل هو حلال بالنص والقياس .

أما القياس فهو أنه يرجع إلى تلدد حساسة السمع ، بإدراك ما هو مخصوص به والإنسان عقل وحس حسواس ، ولكل حساسة إدراك ، وفي مدركات تلك الحساسة ما يستلذ ، فلذة انظر في المصبرات الحميلة كالخضرة والماء الجري والوجه المسن

وبالجملة سائر الألوان الجميلة ، وهي في مقابلة ما يكره من الألوان الكدرة القبيحة ، وللشم للرائحة الطيبة ، وهي في مقابلة الأنتان المستكرهة ، وللذوق الطعوم اللذيذة كالذسومة والحلاوة والحموضة وهي في مقابلة المرارة المستبشعة ، واللمس لذة اللين والنعومة واللامسة ، وهي في مقابلة الخشونة والخراسة ، وللعقل لذة العلم والمعرفة وهي في مقابلة الجهل

والبلادة فكذلك الأصوات المدركة بالسمع تنقسم إلى مستندة ، كمصوت الغزاليب والمرامير ، ومستكرمة كتهيق الحميم وغيرها ، فما أظهر قياس هذه الحاسة ولذا تها على سائر الحواس ولذاتها

وأما النصر ، فيدر على إباحة سماع الصوت الحسن امتثان الله تعالى على عباده به إذ قال (يزيب في الخلق ما يشاء) (١٦) ، فقبل هو الصوت الحسن ، وفي الحديث « ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت » (١٧) ، وقال - صلى الله عليه وسلم - « لئن أشد أذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القية لقيته » (١٨) وفي الحديث في معرض المدح لداود عليه السلام أنه كان حسن الصوت في السباحة على نفسه ، وفي تلاوة الربور ، حتى كان يجتمع الإنس والجر والوحوش والطير لسماع صوته ، وكان يحمل في مجسسه أربعمائة حفازة وما يقرب منها في الأوقات (١٩) وقال - صلى الله عليه وسلم - في مدح أبي موسى الأشعري « لقد أعطى مرامرا من مرامير آل داود » (٢٠) ، وقول الله تعالى (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (٢١) يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن ، ولو حاز أن يقال إنما أبيح ذلك بشرط أن يكون في القرآن للزمة أن يحرم سماع صوت العنديل ، لأنه ليس من القرآن ، وإذا جاز سماع صوت غزل لا معنى له فلم لا يجوز سماع صوت يفهم منه الحكمة ، والمعاني الصحيحة ؟ وإن من الشعر لحكمة ، فهذا ينظر في الصوت من حيث إنه طيب حسن

الدرجة الثانية ينظر في الصوت لطيف أموزون فإن الوزن وراءه الحُسن ، فكم من صوت حسن خارج عن الوزن ، وكم من صوت موزون

غير مستطاب ، والأصوات الموزونة باعتبار محارجها ثلاثة ، فإنها إما أن تخرج من جماد كصوت المرامير والأوتار وصرب القصيب والطبل وغيره ، وإما أن تخرج من حنجرة حيوان ، وذلك الحيوان إما إنسان أو غيره كصوت العنادل والقمارى وذات السمع من الطيور ، فهي مع طيبتها مسرورة متباعدة المطامع والمغاطع ، فلذلك يستلذ سماعها ، والأصل في الأصوات حناجر الحيوانات ، وإنما وضعت المزامير على أصوات الحناجر ، وهو تشبيه للصنعة بالخلق ، وما من شيء توصل أهل الصناعات بصناعتهم إلى تصويره إلا وله مثال في الخلقة التي استسأثر الله تعالى باختراعها ، فمنه تعلم الصنع ، وبه قصدوا الاقتداء ، وشرح ذلك يطول ، فسمع هذه الأصوات يستحيل أن يحرم لكونها طيبة ، أو موزونة فلا داهي إلى تحريم صوت العنديد وسائر الطيور ، ولا فرق بين حنصرة وحنجرة ، ولا بين جماد وحيوان ، فينبغي أن يقاس على صوت العنديد الأصوات الخارجة من سائر الأجسام باحتيار آدمي ، كالذي يخرج من حلقه أو من القصيب والطبل والدف وغيره ، ولا يستثنى من هذه إلا الملهى والأوتار والمزامير التي ورد الشرع بالمسح منها (٢٢) ، لا لذتها ، إذ لو كان للذة لقيس عليها كل ما يلتذ به الإنسان ، ولكن حرمت الخمور ، واقتضت صراوة الناس بها المبالغة في انقطاع عنها حتى انتهى الأمر في الابتداء إلى كسر الدمان ، فحرم معها ما هو شعير أهل الشرب ، وهي الأوتار والمزامير فقط ، وكان تحريمها من قبل الاتباع ، كما حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مقدمة الجماع ، وحرم النظر إلى الفخذ لاصاله بالسوانير ، وحرم قليل الحمر وإن كان لا يسكر لأنه يدعو

لألى السكر ، وما من حرم لألا وله حريم يطيف به ، وحكم الحرمة ينسحب
 على حريمه ، ليكون حمى للحرام ووقاية له ، وحظارا مانعا هو له ، كما قال -
 صلى الله عليه وسلم - « إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه » (٢٣) ،
 فهي محرمة تبعا لتحريم الحمر لثلاث عن

أحداها أنها تدعو إلى شرب الحمر ، فإن البدة الحاصلة بها إنما تتم
 بالخمر ، ولعل هذه لعله حرم قليل الحمر

الثانية أنها في حق قريب العهد بشرب الحمر تذكر محاليس الأس
 بالشرب فهي سبب الذكر ، والذكر سبب انتعاش الشوق إذا قوى فهو سبب
 الإقدام ، وهذه لعله مهي عن الابتعاد في المرمى والحنتم ، والتقيير ،^{٢٤} وهي
 الأواشي التي كانت مخصصة بها فمعنى هذا أن مشاهدة صورتها
 تذكرها ، وهذه العلة تفارق الأولى ، إذ ليس فيها عتبر لذة في الذكر ، إذ لا
 لسة في رؤية القنينة وأواني الشرب ، لكن من حيث التذكر بها ، فإن كان
 السماع يذكر الشرب سذكيرا يشوق إلى أسخمر عند من ألف بك مع الشرب
 فهو منهي عن السماح بخصوص هذه العلة فيه

الثالثة : الاجتماع عليها لما أن صار من عادة أهل الفسق ، فيسمع من
 التشبيه بهم ، لأن من تشبه يقوم فهو منهم ، وبهذه العلة يقول بترك السة
 مهم^{٢٥} صارت شعار لأهل البدة ، خوفا من التشبيه بهم ، وبهذه العلة
 يحرم صرب الكوبة ، وهو طبل مستطيل دقيق الوسط و سمع الطرفين ،
 وضربها عادة المحدثين ، ولو لا ما فيه من التشبيه لكان مثل طبل الصجيج
 والغزو ، وبهذه العلة يقول نو اجتماع جماعة وريبوا مجلسا ، وأحصروا

ألامت الشرب وأقد، جه ، وصبوا فيها السكنجبين (٢٦) ، ونصوا ساقيا يدور عليهم ويسقيهم ، فيأخذون من الساقى ويشربون ، ويحیی بعضهم بعضا ، بكلماتهم المعتادة بينهم ، حرم ذلك عليهم و إن كان المشروب مباحا في نفسه، لأن في هذا تشبها بأهل الفساد ، بس لهذا ينهى عن لمس القاء ، وعن ترك الشعر على الرأس فزعا في بلاد صار القاء فيها من لباس أهل الفساد ، ولا يهوى عن ذلك فيما وراء النهر ، لاعتیاد أهل الصلاح ذلك فيهم

فبهذه المعاني حرم المزممار العراقي والأوتار كلها كالعود والصنج والرباب والبريط وغيرها ، وما عدا ذلك ، فليس في معناها كشاهين الرعاة ، والحجيج ، وشاهين الطبالين ، وكالطير والقضيب ، وكل آلة يستخرج منها صوت مستطاب موزون سوى ما يعتاده أهل الشرب ، لأن كل ذلك لا يتعلق بالخمر ، ولا يذكّر بها ولا يشوق إليها ، ولا يوجب التشبه بأربابها ، فلم يكن في معناها فبقى على أصل الإباحة ، قياسا على أصوات الطيور وغيرها ، بل أقول سماع الأوتار ممن يضربها على غير وزن مناسب مستلذ حرام أيضا ، وبهذا يتبين أنه ليست العلة في تحريمها مجرد اللذة الطيبة ، بل القياس تحليل الطيبات كلها ، إلا ما في تحليله فساد ، قال الله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (٢٧) ، فهذه الأصوات لا تحرم من حيث إنها أصوات موروثة ، وإنما تحرم بعارض آخر كما سيأتي في العوارض المحرمة

الدوكة الثالثة الموزون والمفهوم ، وهو الشعر وذلك لا يحرج إلا من حفرة الإنسان ، فيقصع بإباحه ذلك لأنه ما راد إلا كونه مفهوما ، والكلام

لفهوم غير حرام ، والصوت الطيب الموزون غير حرام ، فإذا لم يحرم الآحاد
فص أين يحرم المجموع ؟ نعم يطرأ فيما يفهم منه ، فإن كان فيه أمر
محظور حرم بشره ومظنه ، وحرم ينطق به ، سواء كان بالآحاد أو لم يكن
والحق فيه ما قاله الشافعي رحمه الله ، إذ قال الشعر كلام محسنه
حسن ، وقبحه قبيح ، ومهم (٢٨) جاز إنشاد الشعر بغير صوت والآحاد
جاز إنشاده مع الآحاد ، فإن أفراد المباحات إذا اجتمعت كن ذلك المجموع
مباحا ، ومهما انضم مباح لم يحرم إلا إذا تضمن المجموع محظورا لا
تنضميه الآحاد ، ولا محذور ههنا ، وكيف ينكر إنشاد الشعر وقد أُنشد بين
يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٢٩)

وقال عليه السلام « إن من الشعر لحكمة (٣٠) ، وأُنشدت عائشة ، رضى
الله عنها

ذهب السدير يُعاش في أكسافهم وبقيت في خَسَف كحلد الأجر
وروى في الصحيحين عن عائشة ، رضى الله عنها ، قالت لما قدم رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، وعك أبو بكر وبلال ، رضى الله عنهما ،
وكان بها وجاء ، فقلت يا أبت كيف تجدك ؟ وب بلال كيف تجدك ؟ فكان
أبو بكر رضى الله عنه إذا أحدثه الحمى يقول

كل ممرئ مصيب في أهله والموت أدنى من شراف بعله
وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول

ألا بيت شعري هل أبيت ليلة سواء وحولي أنخر وحليل
وهل أرتب يوما مياه محنة وهن يبدون لي شامة وظفيل

قالت عائشة ، رضي الله عنها : سأخبرت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال : اتلهم حبيب إلينا المدينة كحينا مكة أو أشد (٣١)
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - ينقل اللبن مع القوم في بناء المسجد ، وهو يقول
هذا الجمال لا حمال خير هذا أبر ربنا وأطهر

وقال أيضا - صلى الله عليه وسلم - مرة أخرى
لا هم إن العيش عيش الآخرة عرحم الأنصار والمهاجرة (٣٢)
وهذه في الصحيحين ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم - يضع لحسان متبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو ينافح ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - « إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣٣)
ولما أنشدته النابغة شعره قال له - صلى الله عليه وسلم - « لا يعصم الله من أن » (٣٤)

وقالت عائشة رضي الله عنها : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - يتقاضون عنده الأشعار وهو يبتسم (٣٥) وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم - مائة قصيدة من قول أمية بن أسى الصلت ، كل ذلك يقول هيه ، هيه ، ثم قال : إن كان في شعره ليسلم (٣٦) ، وعن أنس ، رضي عنه ، أن - صلى الله عليه وسلم - كان يُحْدِثُ له ، وأن أنحشة كان يحدثه النساء والبراء بن مالك كان يحدثه بالرحا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - « يا أنحشة رو يدك سوقك بالقوارير » (٣٧)

ولم يرل الحذاء وراء الحمل من عادة العرب في زمان رسول - صلى الله عليه وسلم - وزمان الصحابة رضي الله عنهم ، وما هو إلا أشعار تؤدي بأصوات طيبة وألحان موزونة ، ولم يقل عن أحد من لصحابة إنكره بل ربما كانوا يلتمسون ذلك تارة لتحريك الجمال ، وتارة للاستلذاد ، فلا يجوز أن يحرم من حيث إنه كلام مفهوم مستند يؤدي بأصوات طيبة والحن موزونة

الدرجة الرابعة النظر فيه من حيث إنه محرك للقلب ، ومهيج لما هو الغالب عليه ، فأقول الله تعالى سر في مناسبة المغمات الموزونة للأرواح حتى أنها تتوثر فيها تأثيراً عجيباً ، فمن الأصوات ما يفرح ، ومنها ما يحزن ، ومنها ما ينوم ، ومنها ما يضحك ويطلب ، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات عن ورنها بسايد والرجل والرأس ، ولا ينبغي أن يظن أن ذلك لهم معاني الشعر ، بل هدا جار في الأوتار ، حتى قيل من لم يحركه الربيع وأرهاره والعُود وأوتاره ، فهو قاسد المراج ، ليس له علاج ، وكيف يكون ذلك لهم المعنى ، وتأثيره مشاهد في الصبي في مهده ، فإنه يسكته الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصفاء إليه ، والحمل ، مع بلادة طبعه ، يتأثر بالحذاء تأثيراً يستخف معه ، لأحسن الثقيلة ، ويستقصر بقوة نشاطه في سماعه المسافات الطويلة ، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويوليه ، فتراه إذا طالبت عليها لسوادي واعتراها الإعياء والكلال ، تحت المحامل والأحمال ، إذا سمعت منادي الحذاء تمد أعناقها ، وتصفي إلى الحادي ناصبه أذناها ، وتسرع في سيرها ، حتى تتزعزع عليها أحمالها

ومحاصنها ، وربما تتكف أنفوسها من شدة السير ، وثقل الحمل ، وهي لا
تشعر به لبشامتها ، فقد حكى أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف
بالرقى (٢٨) ، رضى الله عنه ، قال كنت بالبادية فوافيت قبيلة من قبائل
العرب ، فأضافنى رجل منهم ، وأدخلنى حياها ، فرأيت فى الخباء عبدا أسود
مقيدا بقيد ، ورأيت جمالا قد ماتت بين يدي البيت ، وقد بقى منها جمل
وهو ناحل دابل ، كأنه ينزع روحه ، فقال لى الغلام أنت صيف ولك حق ،
فتشع فى إلى مولاي ، فإنه مكرم لضيفه فلا يرد شفاعتك فى هذا القدر
فعساه يحل القيد عنى ، قال فلما أحضروا الطعام امتنعت ، وقلت لا أكل ما
بم أشفع فى هذا العبد ، فقال إن هذا العبد قد أفقرنى وأهلك جميع مالى ،
فكنت ماذا فعل ؟ فقال إن له صوتا طيبا ، وإنى كنت أعيش من ظهور هذه
الجمال ، فحملها أحمالا ثقالا ، وكان يحدو بها حتى قطعت مسيرة ثلاثة
أيام فى ليلة واحدة ، من طيب نغمته ، فلما حطت أحمالها ماتت كلها إلا هذا
الجمال الواحد ، ولكن أنت ضيفى فلكرامتك قد وهبته لك ، قال فأحببت أن
أسمع صوته ، فلما أصبحنا أمره أن يحدو عنى جمل يستقى الماء من بئر
هناك ، فلما رفع صوته هام ذلك الجمل وقطع حباله ، ووقعت أنا على وجهى ،
فما أظن أنى سمعت قط صوتا أطيّب منه

مبنى تسأثير اسماع فى القلب محسوس ، ومن لم يحركه السماع فهو
ناقص مائل عن الاعتدال بعيد عن الروحانية ، زائد فى غلظ الطبع وكثافته على
الجمال والطبوع بن على جميع البهائم ، فإن جميعها تتأثر بالانغمات
الموزونة ، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع

صوته ، ومهما (٢٩) كان النظر في السماع ساعته تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا بإباحة ولا تحريم ، بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص ، واختلاف طرق النعمت محكمه حكم ما في القلب

قال أبو سليمان السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ، ولكن يحرب ما هو فيه ، فالترنم بالكلمات المسجعة الموروثة معتاد في مواضع ، لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب ، وهي سبعة مواضع .

الأول غناء الحجيج فإنهم أولا يدورون في البلاد بسالطبل ، وإشاهير^(٤٠) ، وغناء وذلك مباح ، لأنها أشعار نظمت في وصف الكعبة ، والمقام^(٤١) ، والخطيم^(٤٢) ، وزمزم ، وسائر المشاعر ، ووصف البادية وغيره ، وأثر ذلك يهيج الشوق إلى حج بيت الله تعالى واشتعال نيرانه إن كان ثم شوق حاصل ، أو استثارة الشوق واجتلابه إن لم يكن حاصلا ، وإذا كان الحج قسرة والشوق محمودا كان تشويق إليه بكل ما يشوق محمودا ، وكما يجوز للواعظ أن ينضم كلامه في الوعظ ، ويزينه بالسجع ، ويشوق السامع إلى الحج ، بوصف البيت والمشاعر ووصف الثواب عليه . جاز لغيره ذلك على نظم الشعر ، فإن الوزن إذا انضاف إلى السجع صار الكلام أوقع في القلب ، فإذا أضيف إليه صوب طيب ونغمات مسوزومة زاد التأثير ، وكل ذلك حائرا لم يدخل فيه المزامير والأوتار التي هي من شعار الأشرار ، نعم إن قصد به تشويق من لا يجوز له الخروج إلى الحج كالذي أسقط تعرض عن نفسه ، ولم يأذن له أسواه في الخروج فهذا يحرم عليه الخروج فيحرم تشويقه إلى الحج بالسماع وبكل كلام يشوق إلى الخروج ،

فإن التشويق إلى الحرام حرام وكذلك إن كانت الطريق غير آمنة وكان الهلاك غالباً لم يجر تحريك القلوب ومعالجتها بالتشويق

الثاني ما يعتاده العزاة لتحريض الناس على الغزو وذلك أيضاً مباح كما للحاج ، ولكن ينبغي أن تحالف أشعارهم وطرق الحائهم أشعار الحاج وطرق الحائهم ، لأن استشارة داعية الغزو بالتشجيع وتحريك الغيظ والعصب فيه على الكفر ، وتحسين الشجاعة ، واستحقار النفس والمال بالإصافة إليه بالأشعار المشحعة مثل قول المتنبي

ما لا تمت تحت السيوف مكرماً تمت وتقاس السذل غير مكسوم
وقوله أيضاً

يسرى الحبناء أن الجبن حزم وتلك حديعة الطمع اللئيم
وأما ذلك ، وطرق الأوران المشحعة تخالف الطرق المشوقة وهذا أيضاً مباح في وقت يباح فيه الغزو ، ومددوب إليه في وقت يستحب الغزو ، ولكن في حق من يجور له الخروج إلى الغزو

الثالث الرجزيات التي يستعملها الشجعان في وقت اللقاء ، والعرض منه التشجيع للقدس والأبصار ، وتحريض النشاط عندهم للقتال وفيه التمدح بالشجاعة والنجدة ، وبالسك إذا كان بلغز رشيق ، وصوت طيب ، كان أوقع في النفس ، وذلك مباح في كل قتال مباح ، ومددوب في كل قتال مددوب ، ومحتظور في قتل المسلمين ، وأهل الذمة ، وكل قتال محتظور لأن تحريك الدواعي إلى المحتظور ، وذلك منقول عن شجعان الصحابة رضي الله عنهم كعلي وحالد رضي الله عنهما ، وغيرهما ، وبذلك نقول ينبغي أن يمنع من

الضرب بالشاهين في معسكر الغرابة ، فإن صوته مرقق محرر يحل عقدة
الشجاعة ، ويضعف ضربة النفس ، ويشوق إلى الأهل والوطن ، ويورث
العتور في القتال ، وكذا سائر الأصوات والألحان المرفقة للقلب ، فالألحان
المرفقة المحزنة تباين الألحان المشرقة المشجعة ، فمن فعل ذلك على قصد
تغيير القلوب وتغيير الآراء عن القتال الواجب فهو عارض ، ومن فعله على
قصد التفتير عن القتل المحظور فهو بذلك مطيع

الرابع أصوات النيحة ونغماتها ، وتأثيرها في تهيج الحر والبكاء ،
وملازمة الكآبة والحرر فسمي محمود ، ومذموم ، فأما المذموم فكالحرر
على ما فسدت ، قال تعالى : { لكيلا تأسوا على ما فاتكم } ^(١٢٢) والحرر على
الأموات من هذا القبيل ، فإنه تسخط بقضاء الله تعالى ، وتأسف على ما
لا تدارك له ، فهذا الحرر لما كان مذموماً كان تحريكه بالنياحة مذموماً ،
فلذلك ورد أنهى الصريح ^(١٢٣) عن النياحة وأما الحرر المحمود فهو حرر
الإنسان على تقصيره في أمر دينه ، ويكأؤه على خطاياها ، والبكاء والتبكي
والحرر والتحارن على ذلك محمود ، وعليه بكاء آدم عليه السلام ، وتحريك
هد الحرر وتقويته محمود ، لأنه يبعث على التشمير للتدارك ، ولذلك كانت
نياحة داود عليه السلام محموده ، إذا كان ذلك مع دوام الحر وطول البكاء
بسبب الخطايا والذنوب ، فقد كان عليه السلام يبكي ويبكى ، ويحرر
ويحرر ، حتى كانت الجوائر ترفع من مجالس نياحته ، وكان يفعل ذلك
بالفاظته والحانه ، وذلك محمود ، لأن المفصلي إلى المحمود محمود ، وعلى هذا
لا يحرم على السواغظ الطيب أن يشتد على المدير بالحنانة الأشعار الحزنة

المرققة للقلب ، ولا أن يبكى ويتباكى ، ليتوصل به إلى ثبكية عميره ، وإثارة
حزنه

الحامس السماع في أوقات السرور تأكيداً للسرور وتهيئاً له وهو
مباح إن كان ذلك السرور مباحاً ، كالغناء في أيام العيد ، وفي العرس ، وفي
وقت قدوم الغائب ، وفي وقت الوليمة والعقيقة ، وعند ولادة المولود ، وعند
ختابه ، وعند حوطه القرآن العرير ، وكل ذلك مباح لأجل إظهار السرور به ،
ووجه جوازها أن من الألحان ما يثير الفرح والسرور والطرب ، فكل ما حاز
السرور به جاز إثارة السرور فيه ، ويسدل على هذا ، من النقل ، إنشاد النساء
على السطوح بالدف والألحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم -

طبع البدر علينا من ثنيات السودا
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع (٤٥)

فهذا إظهار السرور لقدمه ، - صلى الله عليه وسلم - وهو سرور محمود ،
فاظهاره بالشعر والغمات والرقص والحركات أيضاً محمود ، فقد نقل عن
جماعة من الصحابة ، رضى الله عنهم ، أنهم حملوا في سرور أصابهم (٤٦) ،
كما سيأتى في أحكام الرقص ، وهو جائز في قدوم كل قادم يحوز الفرح به ،
وفي كل سبب مباح من أسباب السرور ، ويسدل على هذا ما روى في
الصحيحين عن عائشة ، رضى الله عنها ، أنها قالت لقد رأيت النبي - صلى
الله عليه وسلم - (٤٧) يسترنى بردائه ، وأنا أنظر إلى الحبيشة يلعبون في
المسجد حتى أكون أنا الذى أسأله ، فأعندوا قدر الجارية الحديثة السن
الحريصة على اللهو ، إشارة إلى طول مدة وقوفها

وروى البخارى ومسلم أيضا في صحيحهما ، حديث عقيل عن الزهري عن عروة ، عن عائشة رضى الله عنها ، أن أبا بكر رضى الله عنه ، دخل عليها وعندهما جاريتان في أيام منى تدققان وتصربان ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - متغش بثوبه ، فافتهرهما أبو بكر رضى الله عنه ، فكشف لعي - صلى الله عليه وسلم - عن وجهه ، وقال : « دعهما يا أبا بكر فإنتها أيام عي » وقالت عائشة ، رضى الله عنها رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - يستري بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد ، فحرهم عمر ، رضى الله عنه ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أَمَّا يَا بَنِي أَرْقَدَ » (٤٨) - يعنى من الأمن - ومن حديث عمرو بن الحارث عن ابن شهاب نحوه ، وفيه تخيير وتصربان (٤٩) ، وفي حديث أسى طاهر عن ابن وهب والله لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقوم على باب حجرتي ، والحبشة يلعبون في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يستري بثوبه أو بردائه لكي أنظر إلى لعبهم ثم يقوم من أجلي ، حتى أكون أب الذي أنصرف (٥٠) وروى عن عائشة ، رضى الله عنها قالت كنت ألعب بالبنيات عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٥١) قالت وكان يأتيني صواحب لي ، فكن يتقعن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسر حديثهن إلي ، فيلعبن معي ، وفي رواية ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لها يوم « ما هذا » ، قالت بنتي ! . قال « مما هذا الذي أرى في وسطهن » قالت فريس ، قال « ما هذا الذي عليه » قالت جنبان ، قال « فريس له حياحس » . قالت أو ما سمعت

أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام حيل لها أجمحة ؟ قالت فضحك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت بواجذه والحديث محمول عندما عى عاده الصبيان في اتحاد الصورة من الحرف والرقاع من غير تكميل صورته ، بدليل ما روى في بعض الروايات أن الفرس كان له حفاخان من رقاع

وقالت عائشة رضي الله عنها دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندي حارينان ، نعيان يعاء بُعات ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر ، رضي الله عنه ، فالتهمى ، وقال : صرنا الشيطان عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقبل عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال دعهما ، فلما عقل عمرتهما ، فخرجتا (٥٢) ، وكان يوم عيد يلعب فيه السودون بالندرق والحراب ، فإما سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإما قال تشتتهن تنظرين ؟ فقلت نعم ، فأعامتني وراءه ، وحدي على خده ، ويقول دونكم يا بنى أرفدة حتى إذا مللت ، قال « حسبك » ، قلت نعم ، قال « فادهبي » وفي صحيح مسلم فوضعت رأسي على منكبيه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى أنا الذي انصرفت

فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين ، وهو نص صريح في أن اللعب واللعب ليسا حرام ، وفيها دلالة على أنواع من الرخص واللعب أولاً اللعب ، ولا يحفى عدة الحبشة في الرقص واللعب ثانياً: فعل ذلك في المسجد

ثالثاً: قوله - صلى الله عليه وسلم - « دونكم يا بنى أرفدة » ، وهذا أمر بالمعيب والنماس له ، فكيف يقدر كونه حراماً ؟

رابعاً : منعه لآسى بكر وعمر رضى الله عنهما ، عن الإنكار والتغيير ،
وتعجيله بأنه يوم عيد ، أى هو وقت سرور ، وهذا من أسباب السرور
خامساً : وقوفه طويلاً فى مشاهدة ذلك وسماحة لواقعة عائشة رضى
الله عنها ، وقبه دليل على أن حسن الخلق فى تطييب قلوب النساء والصبيان
بمشاهدة اللعب أحسن من خشونة الزهد والتقشف فى الامتناع والجمع منه .
سادساً : قوله - صلى الله عليه وسلم - ابتداء لعائشة «أتشتهد أن
تقطرى» ؟ ولم يكن ذلك عن اضطرار إلى مساعدة الأهل خوفاً عن غضب أو
وحشة ، فإن الالتماس إذا سبق ربما كان الرد سب وحشة فلاححة فيه
سابعاً : الرخصة فى الغناء والصرب بالدف من الجاريتين مع أنه شبه
ذلك بمرمار الشيطان ، وفيه بين أن الممار غير ذلك
ثامناً : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرع سمعه صوت
الجاريتين وهو مصطجع ، ولو كان يضرب بالآوتار فى موضع لا جور
الجلوس ثم لقرع صوت الآوتر سمعه بعد هذا على أن صوت النساء غير
محرم تحريم صوت المزامير ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة فهدد
المعايبس والنصوص تدل على إباحة الغناء والرقص ، والضرب بالدف ،
واللعب بالدرق والحرب ، والنظر إلى رقص الحبيشة والرنوح فى أوقات
السرور كلها ، قياساً على يوم العيد ، فإنه وقت سرور ، وفى معتاد يوم
العرس ، والوليمة ، والعقيقة والختان ، ويوم القدوم من السفر ، وسائر
أسباب الفرح ، وهوكل ما يحور به الفرح شرعاً ، ويجوز الفرح بريارة
الإحواى ولقائهم واجتماعهم فى موضع واحد على طعام أو كلام ، فهو أيضاً
مظنة السماع

السادس سماع العشاق تحريكا للشوق ، وتهيجنا للعشق ، وتسلية
لنفس ، فإن كان في مشاهدة العشوق فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كان مع
المعارقة فالغرض تهيج الشوق ، والشوق ، وإن كان ألما ففيه نوع لذة إذا
انضاف إليه رجاء الوصال ، فإن الرجاء لديد ، واليأس مؤلم ، وقوة لذة
الرجاء بحسب قوة الشوق ، والحب للشئ الموهو ، ففي هذا السماع تهيج
العشق وتحريك الشوق ، وتحصيل لذة الرجاء المقدر في الوصال مع
الاطناب في وصف حسن المحبوب ، وهذا حلال إن كان المشتاق إليه ممن
يباح وصاحبه ، كمن يعشق زوجته أو مربيته فيصعد إلى غنائها لتضاعف
لذته في لقائها ، فيحظى بالمشاهدة البصر ، والسماع الأذن ، ويفهم لطائف
معاني الوصال والعراق القلب فتترادف أسباب اللذة ، فهذه أنواع تمتع
من جملة مباحات الدنيا ومتاعها ، وما الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وهذا
منه ، وكذلك إن غضب منه جاربه ، أو حيل بينه وبينها بسبب من الأسباب ،
فله أن يحرك بالسماع شوقه ، وأن يستثير به لذة رجاء الوصال ، فإن
باعها أو طلقها حرم عليه ذلك بعده ، إذ لا يجوز تحريك الشوق حيث لا
يجوز تحقيقه بالوصل واللقاء وأما من يتمثل في نفسه صورة صبي أو
امرأة لا يحل له النظر إليها ، وكان ينزل ما يسمع ما تمثل في نفسه فهذا
حرام ، لأنه محرك للعكر في الأفعال المحظورة ، ومهيج للداعية إلى ما لا يباح
الوصول إليه ، وأكثر العشاق والسفهاء من الشباب في وقت هيجان الشهوة
لا يتفكرون عن إضرار شيء من ذلك ، وذلك ممنوع في حقهم ، ما فيه من
الداء الدفين ، لا لأمر يرجع إلى نفس السماع ، ولذلك سئل حكيم عن العشاق ،
مقال دخان يصعد إلى دماغ الإنسان ، ويهيجه السماع

السابع : سماع من أحب الله وعشقه ، وشتاق إلى لقاءه ، فلا يطر إلى شيء إلا رآه فيه سبحانه ، ولا يقرع سمعه إلا سمعه منه أوفيه . فالسماع إلى حفة مهيج لشوقه ومؤكد لعشقه وحنه ومور رناده فله ومستخرج منه أحوالا من المكاشفات والملاطفات لا يحيط بوصف بها ، يعرفها من داقها ، وينكرها من كل حسه عن دوقها ، وتسمى تلك الأحوال بلسان الصوفية وجداً ، مأخوذ من الوحد ، والمصادفة ، أي صادف من نفسه أحوالا لم يكن بصددفها قس السماع ، ثم تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف وبوايع لها تحرق القلب بيرانها وتنقية من الكدورات كما تنهى النار الحواهر المعروضة عليها من الحدث ثم يتبع الصعاء الحاصل به مشاهدات ومكاشفات ، وهي غاية مطلب المحبين لله تعالى ونهية ثمرات القربات كلها فالمعصى إليها من جملة القربات ، لا من جملة المعاصى والمناجات ، وخصوص هذه الأحوال بقلب بالسماع سببه سر الله تعالى في محاسبة البغيات المورومة بالأرواح وتسحير الأرواح لها وتأثيرها بها شوقاً ، وفرح وحزب ونسباً وانقباضاً ، ومعرفة السبب في تأثر لأرواح بالأصوات من دقائق علوم المكاشفات وأبليد الجامد القسسى القلب المحروم عن لذة السماع ، يعجب من السماع المستمع ووجده ، واضطراب حاله ، وتغير لونه ، تعجب النهمية من لذة اللون ينج^{١٢} ، وتعجب العبير من لذة المباشرة ، وتعجب الصبي من لذة الرياسة واتساع أسباب الجاه وتعجب الحاهل من لذة معرفة الله تعالى ومعرفة جلاله وعظمته ، وعجائب صيغه ، ولكل ذلك سبب واحد ، وهو أن الله نوع إدراكه والإدراك يستدعى مدركاً ، ويستدعى قوة مدركة ، فمن لم تكمل قوة إدراكه لم

يُتصور منه ابتداءً فكيف يدرك لذة الطعوم من فقد الذوق وكيف يدرك
لذة الألحان من فقد السمع ، ولذة المعقولات من فقد العقل ، وكذلك دوق
السمع بالقلب بعد وصول الصوت إلى السمع يُسْرَك بحاسة باطنة في
القلب فمن قدما عدم لا محالة لذته

ولعلك تقول كيف يتصور العشق في حق الله تعالى ، حتى يكون السماع
محركا له ؟

فاعلم أن من عرف الله أحبه لا محاله ، ومن تأكدت معرفته تأكدت
محبته بقدر تأكد معرفته ، والمحبة إذا تأكدت سميت عشقا ، فلا معنى
للعشق إلا محبة مؤكدة مفرطة ، ولذلك قالت العرب إن محمدا قد عشق
ربه ، لما رأوه يتحنن للعبادة في جبل حراء

واعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال ، والله تعالى جميل
يحب الجمال ، ولكن الجمال إن كان يناسب الخلفة ، وصفاء اللون ، أدرك
بحاسة البصر ، وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو الرتبة ، وحسن
الصفات والأخلاق ، وإرادة الحيرات لكافة الخلق ، وإعاضتها عليهم على
الدوام ، إلى غير ذلك من الصفات الساطنة ، أدركت بحاسة القلب ، ولفظ
الجمال قد يستعار أيضا لها ، فبقاها إن علانا حسن وجميل ، ولا تُراد
صورته ، وإنما يعنى به أنه جميل الأخلاق محمود الصفات ، حسن السيرة ،
حتى قد يحب الرحمن بهذه الصفات الباطنة استحسانا لها ، كما تحب
الصورة الظاهرة ، وقد تتأكد هذه المحبة فتسمى عشقا ، وكم من الغلاة في
حب أرباب المذاهب كالشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، رضى الله عنهم ،
حتى يذبلوا أموالهم وأرواحهم في بصرتهم وموالاتهم ، ويريدوا على كل

عاشق في الخلو والمباينة ، ومن العجب أن يعقل عشق شخص لم تشاهد قط صورته ، أجميل هو أم قبيح ، وهو الآن ميت ، ولكن لجمال صورته الباطنة ، وسيرته المرضية ، والحرارة الحاصلة من عمله لأهل الدين وغير ذلك من الحاصل ، ثم لا يعقل عشق من تُرى الحيرات منه ، بل على التحقيق من لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلا وهو حسنة من حسناته ، وأثر من آثار كرمه وعُرفه من بحر حوده بل كل حسن وجمال في العالم أدرك بالعقول والأبصار والأسماع وسائر الحواس من مبتدأ العالم إلى منقرضة ، ومن ندوة الثريا إلى منتهى الثرى ، فهو ذرة من جزائ قدرته ولمعة من أنوار حضرته

سيت شعري كيف لا يعقل حب من هذا وصفه ، وكيف لا يتأكد عند العارفين بأوصافه حبه ، حتى يجاوز حدا يكون إطلاق اسم العشيق عليه ظلما في حقه لقصوره عن الإناء عن فرط محبته فسبحان من احتجب عن الظهور بشدة ظهوره ، وسתר عن الأنصار بشفراق نوره ، ولولا احتجابه سمعين حجابا من نوره لأحرقت سبحات وجهه أنصار الملاحظين لجمال حضرته ، ولولا أن ظهوره سبب خائنه لبهتت العقول ، ودهشت القلوب ، وتخاذلت القوى ، وتنافرت الأعضاء ، ولو ركبت القلوب من الحجارة والحديد ، لأصبحت تحت منادى أنوار تجليه دكا دكا^(٥٤) فأئى تطبيق كنه نور الشمس أبصار الصعافيش ، وسبأتى تحقيق هذه الإشارة في كتاب المحبة ويتضح أن محبة غير الله تعالى قصور وجهل ، بل المتحقق بالمعرفة لا يعرف غير الله تعالى ، إذ ليس في انوجود تحقيقا إلا الله وأفعاله ، ومن عرف الأفعال ، من حيث إنها أفعال ، لم يجاور معرفة الفاعل إلى غيره

فمن عرف الشافعي مثلاً رحمه الله وعلمه وتصنيفه من حيث إنه تصنيفه ، لا من حيث إنه مبين وجلد وحبر وورق وكلام مظلوم ولغة عربية ، فلقد عرفه ولم يجاوز معرفة الشافعي إلى غيره ، ولا جاوزت محبته إلى غيره ، فكل موحود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وفعله ، ويديم أفعاله ، فمن عرفها من حيث هي صنع الله تعالى قرأى من الصنع صفات الصانع كما ترى من حسن التصنيف فضل المصنف ، وجلالة قدره ، كانت معرفته ومحبته مقصورة على الله تعالى ، غير مجاوزة إلى سواه ، ومن حد هذا العشق أنه لا يقبل الشراكة ، وكل ما سوى هذا العشق فهو قابل للشراكة ، إن كل محبوب سواه يتصور له بطير ، إما في الوجود ، وإما في الإمكان ، أما هذا الجمال فلا يتصور له ثان ، لا في الإمكان ولا في الوجود ، فكان اسم العشق على حب غيره مجازاً محضاً لا حقيقة

نعم ، الناقص القريب في نقصانه من البهيمة ، قد لا يدرك من لفظه العشق إلا طلب الوصال ، الذي هو عبارة عن تماس ظواهر الأحاسام ، وقضاء شهوة الوقاع ، فمثل هذا الحمار ينبغي أن لا يستعمل معه لفظه العشق ، والشوق ، والوصال ، والأس ، بل يجنب هذه الألفاظ والمعاني كما تحنب البهيمة النرجس والريحان وتحصن بالقت والحشيش وأوراق العصبان ، فإن الألفاظ إما يجور إطلاقها في حق الله تعالى ، إذا لم تكن موهمة معنى يحب تقديس الله تعالى عنه ، والأوهام نحلف باحتمال الأوهام ، فليتنبه لهذه الدقيقة في أمثال هذه الألفاظ ، بل لا يبعد أن ينشأ من مجرد السماع لصفات الله تعالى وجد غالب ينقطع بسببه مياط القلب ، فقد روى أبو هريرة ، رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم أنه

ذكر ملاما كان في بني إسرائيل على جبل ، فقال لأمه من خلق السماء ؟
 قالت الله عز وجل ، قال فمن خلق الأرض ؟ قالت الله عز وجل ، قال
 فمن خلق الجبال ؟ قالت الله عز وجل ، قال فمن خلق الغيم ؟ قالت الله
 عز وجل ، قال إني لأسمع لله شأنا ، ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع (٥٥) ،
 وهذا كأنه سمع ما دل على جلال الله تعالى ، وتعام قدرته فطرب لذلك
 ووجد ، فرمى نفسه من الوحد وما أنزلت الكتب إلا ليطربوا بذكر الله
 تعالى قال بعضهم رأيت مكتوبا في الإنجيل عينا لكم فلم تطربوا ،
 وزمرنا لكم فلم ترقصوا ، أي شوقناكم بذكر الله تعالى فلم يشاققوا فهذا
 ما أردنا أن نذكره من أقسام السماع وبواعثه ، ومقتضياته ، وقد ظهر على
 القطع إباحته في بعض المواضع ، والندب إليه في بعض المواضع

فإن قلت فهل له حالة يحرم فيها ؟

فأقول إنه يحرم بحمسة عوارض عارض في المسمع ، وعارض في آلة
 الاستماع ، وعارض في سظم الصوت ، وعارض في نفس المستمع أو في
 مواظبته ، وعارض في كون الشخص من عوم الخلق . لأن أركان السماع
 هي المسمع ، والمستمع ، وآلة الاستماع

العارض الأول أن يكون المسمع ، امرأة لا يحل النظر إليها ، وتحشى
 العتنة ، وهذا حرام لما فيه من خوف الفتنة ، وليس ذلك لأجل الغباء ، بل لو
 كانت المرأة بحيث يُغتن بصوتها في المحاورة من غير الحار ، فلا يجوز
 محاورتها ومحادثتها ولا سماع صوتها في القرآن أيضا ، وكذلك الصبي
 الذي تخاف فتنته

فإن قلت فهل تقول إن ذلك حرام بكل حال حسماً للندب ، أو لا يهرم

إلا حيث تحاف الفتنة في حق من يخاف العنت

عاقول هذه مسألة محتملة من حيث اتفق بتجديدها أصلاً

أحدهما أن الحلوة بالأحذية والنظر إلى وجهها حرام ، سواء حيفت الفتنة أو لم تحف ، لأنها مظنة الفتنة على الجملة ، فقضى الشرع بحسم الباب من غير التفات إلى الصور

والثاني أن النظر إلى الصبيان مباح إلا عند خوف الفتنة ، فلا يلحق الصبيان بالنساء في عموم الجسم ، بل يتبع فيه الحال ، وصوت المرأة رائر بين هذين الأصلين ، فإن قسناه على النظر إليها وجب بحسم الباب ، وهو قياس قريب ، ولكن بينهما فرق ، إذ الشهوة تدعو إلى النظر في أوراها ، ولا تدعو إلى سماع الصوت ، وليس تحريك النظر لشهوة الماسة ، كتحريك السماع بل هو أشد ، وصوت المرأة في غير الغناء ليس بعورة ، فلم تنزل النساء في زمن الصحابة ، رضى الله عنهم ، يكلمن الرجال في السلام ، والاستفتاء ، والسؤال ، والمشاورة ، وغير ذلك ، ولكن لعناء مزيد أثر في تحريك الشهوة ، فقياس هذا على النظر إلى الصبيان أولى ، لأنهم لم يؤمروا بالاحتجاب ، كما لم تؤمر النساء بستر الأصوات ، فينبغي أن يتبع مثار الفتنة ويقصر التحريم عليه ، هذا هو الأقوى عندي ، ويتأيد بحديث الجريتين المغيبتين في بيت عائشة رضى الله عنها ، إذ يعلم أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يسمع أصواتهما ، ولم يحترز منه ، ولكن لم تكن الفتنة محوقة عليه ، فلذلك لم يحترز ، فإذا اختلف هذا بأحوال امرأة ، وأحوال الرجل في كونه شاب وشيخاً ، ولا يبعد أن يختلف الأمر في مثل هذا بالأحوال ، فإننا نقول للشيخ أن يقبل روحه وهو صائم ، وليس للشباب

ذلك لأن القُبلة تدعو إلى الوقوع في الصوم ، وهو محظور ، والسماع يدعو إلى النظر والمقاربة وهو حرام فيختلف ذلك أيضا بالأشخاص

العارض الثاني - في الآفة ، بأن تكون من شعير أهل الشُّرب أو المحدثين ، وهي المزامير والأوتار وطيل الكوبة ، فهذه ثلاثة أنواع ممسوعة ، وما عدا ذلك يبقى على أصل الإباحة كالدف وإن كان فيه الجلاجل ، وكانطيل والشهين والضرب بالقضيب وسائر الآلات

العارض الثالث في نظم الصوت ، وهو الشعر ، فإن كان فيه شيء من الحيا والفحش والبهجو ، أو ما هو كذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ، - صلى الله عليه وسلم - أو على الصحابة ، رضى الله عنهم ، كما رتبته الروافض في هجاء الصحابة وغيرهم ، فسماع ذلك حرام ، بألحان وغير الألحان ، والمستمع شريك للقاتل ، وكذلك ما فيه وصف امرأة بعيثها ، فإنه لا يجوز وصف المرأة بين يدي الرجال ، وأما هجاء الكفار وأهل البدع فذلك جائز ، فقد كان حسار بن ثابت رضى الله عنه يذاقح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويهاجى الكفار وأمره - صلى الله عليه وسلم - (٥٦) بذلك فأما التشبيب وهو التشبيب بوصف الخضود ولأصداغ وحسن القد والقامة وسائر أوصاف النساء فهذا فيه نظر ، والصحيح أنه لا يحرم نظمها وإنشادها بلحر وغير لحر وعلى المستمع أن لا ينزله على امرأة معينة فإن نزله فلينزله على من يحل له ، من روجه وحارثته ، فإن نزله على أجنبية فهو العاصي بانتنزيه ، وإحالة الفكر فيه ، ومن هذا وصفه فيبغى أن يحتب سماع وأسا فإن من غلب عليه عشق نزل كل ما يسمعه عليه سواء كان النغمة مناسله أو لم يكن إن ما من لفظ إلا ويمكن تنزيله على

معان بطريق الاستعارة ، فالذى يغلب على قلبه حب الله تعالى يتذكر
 بسواداً^(٥٧) الصديق مثلاً ظلمة الكفر ، وبضارة الخدور الإيمان ، ويذكر
 الوصال بقاء الله تعالى ، ويذكر انفراق الحجاب عن الله تعالى في رمة
 المردودين ، ويذكر الرقيب المشوش لروح الوصال عواثق الدنيا وأفاتها
 المشوشة لدوام الأسى بالله تعالى ، ولا يحتاج في تبريل ذلك عليه إلى استنباط
 وعكر ومهلة بل يسبق المعاني العالية على القلب إلى فهمه مع اللفظ ، كما
 روى عن بعض الشيوخ أنه مر في السوق فسمع واحداً يقول الخيار عشرة
 حبة ، فعليه الوجع ، فسئل عن ذلك ، فقال : إذا كان الخيار عشرة حبة ،
 فما قيمة الأثرار ؟ واختار بعضهم في السوق فسمع قائلاً يقول يا سعت
 برى فغلبه الوحس ، ففيل له على ماذا كان وجس ؟ فقال سمعته كأنه
 يقول يا سعت برى ، حتى أن العجمي قد يغلب عليه الوجس على الأبيات
 المنظومة بلغة العرب ، فإن بعض حروفها يوازن الحروف العجمية فيعهم
 منها معنى أحر أشد بعضهم

وما زارسى فسى * * الليل إلا حياه

فتواجد عليه رجل أعجمي ، فسئل عن سبب وجسه ، فقال إنه يقول
 ما زاريم وهو كما يقول فإن لفظ زار يدر في العجمية على المشرف على
 الهلاك ، فتوهم أنه يقول كلنا مشرقون على الهلاك ، فاستشعر عند ذلك
 خطر هلاك الآخرة ، والمحترق في حب الله تعالى وجسه بحسب فهمه ، وفهمه
 بحسب تحيله ، وليس من شرط تحيله أن يوافق مراد الشاعر ولعنه فهذا
 الوجس حق وصدق ، ومن استشعر خطر هلاك الآخرة فجدد بأن يتشوق
 عليه عقله وتضطرب عليه أعضاؤه ، فإذا ليس في تغيير أعيان الألفاظ كبير

مائدة ، بل الذى غلب عليه عشق مخلوق ينبغى أن يحترق من السماع بأى لفظ كان ، والذى غلب عليه حب الله تعالى فلا تضره الألفاظ ولا تمنعه من فهم المعانى اللطيفة المتعلقة بمجارى همته الشريفة

العارض الرابع فى المصمم ، وهو أن تكون الشهوة غالبة عليه ، وكان فى غرة الشجب ، وكانت هذه الصفة أغلب عليه من غيرها ، فالسمع حرام عليه سواء غلب على قلبه حب شخص معين أو لم يغلب ، فإنه كيفما كان فلا يسمع وصف الصدغ ، والخد ، والفراق ، والتوصل ، إلا ويحرك ذلك شهوته ، ويفزله عن صورة معيته ، يتغى الشيطان بها فى قلبه ، فتشعل فيه نار الشهوة ، وتحدث نواعث الشر ، وذلك هو البصرة لحرب الشيطان ، والتخدير للعقل المانع منه الذى هو حزب الله تعالى ، والقتال فى القلب ، ثم بين حور الشيطان ، وهى الشهوات ، وبين حزب الله تعالى وهو نور العقل إلا فى قلب قد فتحه أحد الجدين ، واستولى عليه بالكلية ، وغالب الغلوب الآخر قد فتحها جند الشيطان ، وغلب عليها فتحتاج حينئذ إلى أن تستأنف أسباب القتال لإزعاجها ، فكيف يجوز تكثير أسلحتها وتشحيز سيوفها وأسيحتها ، والسماع مشدد لأسلحة جند الشيطان فى حق مثل هذا الشخص ، فليخرج مثل هذا عن مجمع السماع فإنه يستضر به

العارض الخامس أن يكون الشخص من عوام الخلق ، ولم يغلب عليه حب الله تعالى ، فيكون السماع له محسوبا ، ولا علمت عليه شهوة ، فيكون فى حقه محظورا ، ولكنه أبيع فى حقه كسائر أنواع اللذات المباحة ، إلا أنه إذا اتحد به ديدنه وهجيره وقصر عليه أكثر أوقاته فهذا هو السفيه الذى ترد شهادته ، فإن المواظبة على اللهو جناية ، وكما أن الصغيرة بالإصرار

والمدامنة نصير كثيرة ، فكنذلك بعض المباحات بالمدامنة يصير صغيرة ، وهو كالمواطنة على متابعة الزوج والحشة والنظر إلى لعنهم على الدوام ، فإنه ممنوع ، وإن لم يكن أصله ممنوعاً ، إذ فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن هذا القليل اللعب بالشطرنج ، فإنه مباح ولكن المواطنة عليه مكروهة كراهة شديدة ، ومهما كان الغرض اللعب وانتلذذ باللهو عندك إما يباح له فيه من ترويح القلب ، إذ راحة القلب معالجة في بعض الأوقات ، لتبعث روحه فتشتت في سائر الأوقات بأحد في الدنيا كالكسب والتجارة ، أو في الدين ، كالصلاة والقراءة ، واستحسان ذلك فيما بين تضاميف الجسد كاستحسان الحال على الخد ، ولو استوعبت الحيلان الوجه لشوّهته ، فمأقبح ذلك ، فيعود أحسن قبها بسبب الكثرة ، فما كل حسن يحسن كثيره ، ولا كل مباح يباح كثيره ، بل الحذر مباح والاستكثار منه حرام ، فهنا المباح كسائر المباحات

فإن قلت فقد أدى مساق هذا الكلام إلى أنه مباح في بعض الأحوال دون بعض ، ألم أطلق القول أولاً بالإباحة ، إذ إطلاق القول في المفسر بلا أو نعم جلف (٥٨) وحطاً

فأعلم أن هذا غلط ، لأن الإطلاق بما يتمتع لتفصيل يشأ من عين م فيه النظر فما م يشأ من الأحوال العارضة المتصلة به من خارج فلا يمنع الإطلاق ، ألا ترى أن إذا سئلنا عن العسل أهو حلال أم لا (قلنا إنه حلال على الإطلاق ، مع أنه حرام عن المحرور (٥٩) الذي يستصر به ، وإذا سئلنا عن الخمر قلنا إنها حرام ، مع أنها تحل لمن غص بلقمة أو شربها مهما (٦) لم يجد غيرها ولكن هي من حيث إنها حمر ، حرام ، وإنما أبيحت لعارض

الصحابة والعسس من حيث إنه غسل حلال ، وإنما حرم لعارص الضرر ، وما يكون لعارص فلا يلتفت إليه ، فإن البيع حلال ، ويحرم بعارص الوقوع في وقت النداء يوم الجمعة ، ونحوه من العوارص ، والسماع من حملة المباحات من حيث إنه سماع صوت طنب موزون مفهوم ، وإنما تحريمه لعارص خارج عن حقيقة رآته ، فهذا انكشف العطاء عن دليل الإباحة فلا قبالي يمر يحالف بعد ظهور الدليل

وأما الشافعي رضي الله عنه فليس بتحريم العناء من مذهبه أصلاً ، وقد نص الشافعي وقال في الرجل يتخذ صناعة لا تجوز شهادته ، وذلك لأنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل ، ومن أحده صيغة كان منسوب إلى السفهة وسقوط المروءة ، وإن لم يكن محرماً نسباً التحريم ، فإن كان لا ينسب نفسه إلى العناء ولا يؤتى لذلك ، ولا يأتى لأجله ، وإنما يعرف بأنه قد يطرأ في الحال فيترجم بها لم يسقط هذا مروءته ، ولم يبطل شهادته ، واستدل بحديث الجاريتين اللتين كانت تعبيان في بيت عائشة رضي الله عنها

وقال يونس بن عبد الأعلى (١١) سألت الشافعي - رحمه الله - عن إباحة أهل المدينة للسمع فقال الشافعي لا أعلم أحداً من علماء الحجاز كره السماع إلا ما كان منه في الأوصاف ، فامد النداء ، وذكر الاطلال والمرابع ، وتحسين الصوت بأحاس الأشعار فمباح ، وحيث قل إنه لهو مكروه يشبه الباطل ، فقله لهو ، صحيح ولكن اللهو من حيث إنه ليس بحرام ، فلعب الحشنة ورقصهم لهو ، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه ولا يكرهه بل اللهو واللغو لا يؤخذ الله تعالى به إن عني به أنه فعل ما لا فائدة

فيه ، فإن الإنسان لو وُضِفَ على نفسه أن يصنع يده على رأسه في اليوم مائة مرة ، فهذا عبث لا فائدة له ولا يحرم . قال الله تعالى (لا يؤاخذكم الله بالقسم ، من غير عقد عليه ولا تصميم ، والمخالفة فيه مع أنه لا فائدة فيه لا يؤاخذ به ، فكيف يؤاخذ بالشعر والرقص ؟) وأما قوله يشبهه الباطل فهذا لا يدل على اعتقاد تحريمه ، بل هو قال هو باطل صريحا لما دل على التحريم ، وإسما يدل على حلوه عن الفائدة ، والباطل ما لا فائدة فيه . فقول الرجل لا مرأته مثلاً بعت نفسي منك ، وعولها اشتريت ، عقد باطل ، مهما كان القصد اللعب والمطايبة ، وليس حرام إلا إذا قصد به التملك المحقق لذى منع الشرع منه ، وأما قوله مكروه فينزل على بعض القواصع التي كرتها لك ، أو ينزل على التنزيه ، فإنه نص على إباحة لعب الشطرنج ، وذكر إنى أكره كل لعب ، وتعليقه يدل عليه فإنه قال ليس ذلك من عدة ذوى الدين والمروءة ، فهذا يدل على التنزيه ، ورده الشهادة بالمواظمة عليه لا يدل على تحريمه أيضا ، بل قد ترد الشهادة بالأكل في السوق ، وما يحرم المروءة ، بل الحياكة مباحة ، ونسبت من صنائع ذوى المروءة ، وقد ترد شهادة المحترف بالحرفة الحسياسة ، فتعليقه يدل على أنه أراء بالكرامة التنزيه ، وهذا هو الظن أيضا بغيره من كبار الأئمة ، وإن أرادوا التحريم فما ذكرناه حجة عليهم

بيان حجج القائلين بتحريم السماع ، والجواب عنها

احتجوا بقوة (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) ٦٦ قال ابن مسعود والحسن البصري ، والنخعي ، رضى الله عنهم إن لهو الحديث هو العناء ، وروت عائشة - رضى الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « إن الله تعالى حرم القينة وبيعها وثمنها وتعلمها » ٦٧ ، فنقول أم القينة - فالمراد بها الجارية التي تغنى للرجال في مجلس الشرب ، وقد ذكرنا أن عناء لأجنبية للفساق ومن يخاف عليهم الفتنة حرم ، وهم لا يقصدون بالفتنة إلا ما هو محظور ، فأما غناء الجارية لما لكها فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث ، بل لغير ما لكها سماعها عند عدم الفتنة ، مدليل ما روى في الصحيحين من غناء لجاريتين في بيت عائشة - رضى الله عنها -

وأما شراء لهو الحديث بالدين استهدلاً به ليحصل به عن سبيل الله فهو حرام مذموم وليس النزاع فيه ، وليس كل عناء بدلاً عن الدين يشتري به ، ومضلاً عن سبيل الله تعالى ، وهو المراد في الآية ولو قرأ القرآن ليحصل به عن سبيل الله لكان حراماً

حكى عن بعض المتأفقين أنه كان يؤم للناس ولا يقرأ إلا سورة عبس لما فيها من الاعتبار مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهم عمر بقتله ، ورأى فعله حراماً ، لما فيه من الإصلاخ ، فالإصلاخ بالشعر والعناء أولى بالتحريم

واحتجوا بقوله تعالى (أقص هذا الصيث تعجبون وتضحكون ولا

تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) (٦٥) قال ابن عباس - رضى الله عنهما - هو الغناء بلغة حمير ، يعنى السمد فنقول ينبغي أن يحرم الضحك وعدم البكاء أيضاً ، لأن الآية تشتمل عليه

فإن قيل إن ذلك مخصوص بالصحة على المسلمين لإسلامهم ، فهذا أيضاً مخصوص بأشعارهم وغنائهم في معرض الاستهزاء بالمسلمين ، كما قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوور) (٦٦) وأراد به شعراء الكفار ، ولم يدل ذلك على تحريم نظم الشعر في نفسه

واحتجوا بما روى جابر - رضى الله عنه - أنه ، - صلى الله عليه وسلم - قال « كان إبليس أول من ناح وأول من تغنى » (٦٧) فقد جمع بين النياحة والغناء ، قلنا لا جرم كما استثنى منه نياحة داود عليه السلام ، ونباحة المذنبين من خطاياهم ، فكذلك يستثنى الغناء الذى يراد به تحريك السرور والحزن والشوق ، حيث يباح تحريكه بل استثنى غناء الجاريتين يوم العيد في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وغناء هن عند قدومه عليه السلام بهولهن

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع واحتجوا بما روى أبو أمامة عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « ما رقع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمساك » (٦٨)

قلنا هو منزل على بعض أنواع الغناء الذى قدمناه ، وهو الذى يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ، وعشق المخلوقين ، فأما ما يحرك الشوق إلى الله ، والسرور بالعيد ، أو حدوث الوجد ، أو قدوم العائش ،

فهذا كله بضاد مراد الشيطان ، سبيل قصة الحاربتين واندحشة ، والأخبار التي نقلناها من الصحاح ، فانتجوز في موضع واحد نص في الإباحة ، واسع في ألف موضع محتمل للتأويل ومحتمل للتنزيل ، أما العمل فلا تأويل به ، إذ ما حرم فعله ، إنما يحل معارضه الاكراه فقط ، وما أُنِيج فعله يحرم معارضه كثيرة حتى الغيات والقصور .

واحتجوا بما روى عنه من عامر أن أنبى - صلى الله عليه وسلم - قال « كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديبه هرسه ورميه بقوسه وملاعبته لامراته » (٦٩)

قلنا فقلوله باطل لا يدل على التحريم ، بل يدل على عدم الفائدة ، وقد يسلم على أن التلهي بالنظر إلى الحبشة خارج عن هذه الثلاثة وليس بحرام ، بل يلحق بالمحضور غير المحصور قياساً كقلوله - صلى الله عليه وسلم - « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأحدى ثلاث » ، ١٧ ، فإنه يلحق به رابع وخامس ، فذلك ملاعبة امرأته لا فائدة له إلا القتل ، وفي هذا دليل على أن التعرج في البساتين ، وسماع أصوات الصيور وأنواع المداعبات ، مما يلهو به الرجل لا يحرم عليه شيء منها ، وإن جاز وصفه بأنه باطل

واحتجوا بقول عثمان - رضي الله عنه - ما تعنيت ، ولا تميت ولا مسست ذكرى يميني مد بايغت بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

قلنا فليكن النسي ومن الذكر باليمين حراماً ، إن كان هذا دليل تحريم الغناء ، فمن أين يثبت أن عثمان - رضي الله عنه - كان لا يترك إلا الحرام

واحتجوا بقول بن مسعود - رضي الله عنه - « الغناء يست في القلب

انفاق » (٧١) . وراى بعضهم « كما ينبت الماء النقى » ، ورفع بعضهم إلى
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو غير صحيح
 قالوا وصرع بن عمر - رضى الله عنهم - قوم محرمون وفيهم رجل
 يتغنى ، فقال ألا أسمع الله لكم ، ألا لا أسمع الله لكم
 وعن نافع أنه قال . كنت مع ابن عمر - رضى الله عنهما - في طريق ،
 فسمع زمارة راع ، فوضع أصبعيه في أذنيه ، ثم عدس عن الطريق ، فلم يزل
 يقول يا نافع أسمع ذلك ؟ حتى قلت لا ، فأخرج أصبعيه ، وقال هكذا
 رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صنع (٧٢) ، وقال الفضيل بن
 عياض رحمه الله الغناء رقية الرنا ، وقال بعضهم الغناء رائد من رواد
 الفجور ، وقال يزيد بن الوليد إياكم والغناء ، فإنه ينقص الحياء ، ويزيد
 الشهوة ، ويهدم المرأة ، وإنه لينوب عن الحمر ، ويقعل ما يفعله السكر ،
 فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء ، فإن الغناء داعية الرد ، فقول قول
 ابن مسعود - رضى الله عنه - يبت النفاق أراد به في حق المعصية ، فإنه في
 حقه يبت النفاق ، إذ فرصة كله أن يعرض نفسه على غيره ، ويروح صوته
 عنه ، ولا يزال سافق ويتودد إلى الناس برعوا في غيائه ، وذلك أيضاً لا
 يوجب تحريماً ، فإن لبس الثياب الحميلة وركوب الحيل المهلجة (٧٣) ،
 وسائر أنواع الزينة والتفاخر بالحرث والأتعام والزرع ، وغير ذلك يعبت في
 القلب النفاق والرياء ، ولا يطلق القول بتحريم ذلك كله ، فليس السبب في
 ظهور النفاق في القلب المعاصي فقط ، بل المباحات التي هي مواقع نظر
 الحلق أكثر تأثيراً ، ولذلك نزل عمر - رضى الله عنه - عن فرس هملج تحته
 وقطع ذنبه ، لأنه استشعر في نفسه الحياء لحسن مشيئته ، فهذا النفاق من

المباحات ، وأما قول بن عمر - رضي الله عنهما - ألا لا أسمع الله لكم ، فلا يدل على التحريم من حيث إنه غناء ، بل كانوا محرمين ، ولا يليق بهم البرفث ، وظهر به من مخيلهم أن سماعهم لم يكن لو جُدَّ وشوق إلى ربرة بيت الله تعالى ، بل مجرد اللهو ، فأنكر ذلك عليهم لكونه ممكراً ، بالإصافة إلى حالهم وحال الإحرام ، وحكايات لأحوال تكثر فيها وجوه الاحتمال ، وأما وضعه أصبعيه في أذنيه فيعارضه أنه لم يأمر نافعاً بذلك ولا أنكر عليه سماعه ، وإنما فعل ذلك هو لأنه رأى أن يبره سماعه في الحال وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ، ويمنعه عن فكر كان فيه أو ذكر هو أولى منه ، وكذلك فعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أنه لم يسمع من عمر ، لا يدل أيضاً على التحريم ، بل يدل على أنه الأولى تركه

ونحن نرى أن الأولى تركه في أكثر الأحوال ، بل أكثر مباحات الدنيا الأولى تركها إذا علم أن ذلك يؤثر في القلب ، فقد خضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد الفراغ من الصلاة ثوب أسى جهنم ، إذ كانت عليه أعلام شعلت قلبه (١٤) ، أفترى أن ذلك يدل على محريم الأعلام على الثوب ؟ فلعله - صلى الله عليه وسلم - كان في حالة كان صوت رمارة الراعي يشعله على تلك الحانة ، كما شغله العلم عن الصلاة ، بل الحاجة إلى استترة الأحوال الشريفة من القلب بحيلة السماع قصور بالإصافة إلى من هو دائم الشهود للحق ، وإن كان كمالاً بالإصافة إلى غيره ، ولذلك كان المحصرى وماداً أعمل سماع يقطع إذا مات من يسمع منه ١٤ إشارة إلى أن السماع من الله تعالى هو الدائم ، فلا نسياء عليهم السلام عن الدوام في لذة السمع والشهود ، فلا يحتاجون إلى التحريك بالحيلة ، وأما قول الفضيل هو رقية الزما ، وكذلك

ما عداه من الأقاويل القريرية منه ، فهو مترن على سماع الفساق والمغتلمين من الشبهان ، ولو كان ذلك عاماً لما سمع من الجاريتين في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وأما القياس فغاية ما يذكر فيه أن يقاس على الأونار ، وقد سبق الفرق أو يقال هو لهو ولعب ، وهو كذلك ، ولكن الدنيا كلها لهو ولعب ، قال عمر - رضي الله عنه - لزوجه إنما أنت لعبة في راوية البيت ، وجميع الملاعبة مع النساء لهو إلا الحرثة التي هي سبب وجود الولد ، وكذلك المرح الذي لا فحش فيه جلال ، نقل ذلك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (٧٢) ، وعن الصحابة ، كما سيأتي تفصيله في كتاب آفات اللسان إن شاء الله ، وأي لهو يزيد على لهو الحبشة والرنوج في لعبهم ، وقد ثبت بالنص إباحته ، هي أسمى أقول إنهو مروح للقلب ، ومخفف عنه أعباء الفكر ، والقلوب إذا أكرهت عصيت ، وترويحها إغانة لها على الحد ، فالمواظب على الفقه مثلاً ، ينبغي أن يتعطل يوم الجمعة ، لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام ، والمواظب على فوائد الصلوات في سائر الأوقات ، ينبغي أن يتعطل في بعض الأوقات ، ولأجله كرهت الصلاة في بعض الأوقات ، فالعطلة معوبة على العمر ، واللهو معين على الحد ، ولا يصير على الجد المحض ، والحق المر ، إلا نفوس الأنبياء عليهم السلام

فإنهو دواء القلب من سوء الإعياء والخلل ، فينبغي أن يكون مباحاً ، ولكن لا ينبغي أن يستكثر منه كما لا يستكثر من الدواء فإذا اللهو على هذه النية بصبر قرينة ، هذا في حق من لا يحرك اسمع من قلبه صفة محمودة يطلب تحريكها ، بل ليس له إلا اللذة والاستراحة المحضة فينبغي أن

يستحب له ذلك فيتوصل به إلى المقصود الذي ذكرناه ، نعم هذا يدور على
 نقصان عن دروة لكمال ، فإن الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه
 بغير الحق ، ولكن حسبات الأبرار سيئات المقرين ، ومن أحاط بعلم علاج
 القلوب ، ووجوه استلطف بها لسياقتها إلى الحق ، علم قصداً أن ترويحها
 بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه (٧٦)

فقد خرج من جملة لتفصيل السابق .
 أن السماع قد يكون حراماً محضاً وقد يكون مباحاً ، وقد يكون
 مكروهاً ، وقد يكون مستحباً
 أما الحرام

فهو لأكثر الناس من الشبان ، ومن غلبت عليهم شهوة الدنيا ، فلا
 يحرك السماع معهم إلا ما هو الغلب على قلوبهم من الصفات المذمومة
 وأما المكروه .

فهو من لا ينزله عن صورة المطلقين ، ولكنه يتحذه عادة له في أكثر
 الأوقات على سبيل اللهو
 وأما المباح :

فهو من لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن
 وأما المستحب .
 فهو من غلب عليه حب الله تعالى ، ولم يحرك السماع منه إلا الصفات
 المحمودة

« والحمد لله ، وصلى الله على محمد وآله ، إل هـ .

الهوامش

- (١) طاهر بن عبد الله بن طاهر (٢٤٨ - ٤٥ هـ - ٩٦ - ١٠٥ م) من علماء الطائفة النوازي القضاة ببلاد ومن آثاره الفكرية (شرح مختصر الترمذي) في الفقه - وهو في أحد عشر جزءاً
- (٢) محمد بن إدريس (١٥٠ - ٢٠٤ هـ - ٧٦١ - ٨٢٠ م) صاحب المذهب ، وأحد الأئمة الأربعة
- (٣) مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ - ٧١٢ - ٧٩٥ م) صاحب المذهب ، وأحد الأئمة الأربعة ، وإمام المدينة
- (٤) الثعالب بن ثابت (٨ - ١٥٠ هـ - ٦٩٩ - ٧٦٧ م) صاحب المذهب ، وأحد الأئمة الأربعة ، وإمام مذهب الرأي
- (٥) سفيان بن سعيد بن مسروق (٩٧ - ١٦١ هـ - ٧١٦ - ٧٧٨ م) أمير المؤمنين في الحديث
- (٦) حماد بن أسامة الكوفي (١٢١ - ٢٠١ هـ - ٧٢٩ - ٨١٧ م) من حفاظ الحديث ، والثقة في روايته
- (٧) الشافعي ، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود (٤٦ - ٩٦ هـ - ٦٦٦ - ٧١٥ م) من أكابر التابعين حافظ ومجتهد وصاحب مذهب
- (٨) هارون بن بشر، جليل (١٩ - ١٠٣ هـ - ٦٤ - ٧٢٩ م) من التابعين ، فقيه حافظ وحديث
- (٩) محمد بن علي بن عطية الحارثي (٢٨٦ هـ - ٩٩٦ م) الواعظ الزاهد الفقيه صاحب (قوت القلوب) و (علم القلوب)
- (١٠) الحفيد بن محمد بن الحفيد النعماني الحراري (٢٩٧ هـ - ٩١٠ م) الصوفي الفقيه

صسط للصوف بالشريعة وكان شيخ المذهب في عصره

(١١) سري بن عيسى السقطي (٢٥٣ هـ - ٨٦٧ م) أول منصوفة بغداد ، وإمامهم في عصره ، وهو حل الجعيد ، وأستاذ

(١٢) ثوبان بن إبراهيم الأحميمي المصري (٢٤٥ هـ - ٨٥٩ م) الصوفي الراهب وهو أول من تكلم بمصر في الأحوال والمقامات

(١٣) الحارث بن أسيد المجاسبي (٢٤٣ هـ - ٨٥٧ م) من أكابر الصوفية وعلماء الأصول

(١٤) البقرة ٢٢٥

(١٥) أي ومتى

(١٦) صطر ١

(١٧) حديث ما بعث الله نبيا إلا حسن الصوت الترمذي في الشماثل عن قتاده ورواه

قوة وكان بينكم حسن الوجه حسن الصوت ورويه متصلا في الأغليات من

رواية فتارة عن أسد ، والصواب الأول ، قاله اندارقطي ورواه بن مردويه في

التفسير من حديث علي بن أبي طالب وطرقه كلها ضعيفة

(١٨) حديث لله أشد أبنا للرجس الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته

متفق عليه من حديث أبي هريرة ، بلعظ من أسد الله شيء ما أسد سبي يتغنى

بالقرآن

(١٩) حديث كان داود حسن الصوت في الميافة عن نفسه وفي تلاوة الربور - الحديث لم

أجد له أصلا

(٢٠) حديث لقد أوتي مراما من مرام آل داود قبله في مدح أبي موسى وهو متفق

عليه من حيث أبي موسى

(٢١) لقمان ١٩

(٢٢) حديث المبع من ملاهي والأوتار والمزامير البخاري من حديث أبي عامر أو أبي

مالك الأشعري ليكون في أمني أقوام يستعملون الصبر والتحرير والمجازف ،

صورته عند انخاري صورة النحليق . ولذلك ضعفه ابن حزم ، ووصله أبو داود والإسماعيلي وأما عبد الملهي قاله ابن جوهري وأحمد من حديث أبي أمامة إن الله أمرني أن أمحق المرامير والكباريات ، يعنى الرائط والمعروف وله من حديث قيس من سعد بن عبادة إن ربي حرم من أسمى والكوبة والنقى ، وله في حديث لاسي امامة باستحلالهم الحصور وصربهم بالدقوع ، وكلها ضعيفة ولاسي الشيخ من حديث مكحول مرسلا الاستماع إلى الملهي معصية . الحديث ولاسي داود من حديث ابن عمر سمع مرارا فوضع أصبعيه عن أنبيه قال أبو داود . وهو مفكر

(٢٣) حديث من لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه ، متفق عليه من حديث ابن عباس بن شير

(٢٤) حديث العهي عن الحنعم وأمرفت والنقى متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢٥) أي متى

(٢٦) السكندحيي شراب مركب من حامض وحلو . والكلمة معرفة عن الفارسية سركا انكبي .

(٢٧) الأعراف ٣٢

(٢٨) أي متى

(٢٩) حديث إيشاد الشعر بين يدي رسول الله . صلى الله عليه وسلم . متفق عليه من حديث أبي هريرة أن عمر من بحسان وهو ييشاد الشعر في المسجد فليظ إليه ، فقار قد كنت أتشد وفيه من هو خير منك . الحديث ولمسلم من حديث عائشة إيشاد حنعم

هجوت مصداً فأجبت عنه وعبد الله في ذلك الجراء

القصيدة . إيشاد حنعم أيضاً

وإن سدام المجد من كل هاشم هو بيت محروم والذل العبد

والبخاري إمامنا أبو رباحة

وفينا رسول الله يقول كتابه إذا المشق محرووب من العجر صنع
الآيات

(٢٠) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب .

(٢١) حديث عائشة في الصحيحين ، لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة

وعلى أبو بكر وبلا

الحديث وفيه إمامنا أبو بكر

كل مريء مصبح في أهله والموت أدنى من شرك بعله
وإمامنا بلا

ألا ليت شعري هل أبين لينة يوار وحولي أنحر وجنيل
وهل أرى يوما مياه مجنة وهن يبدون في شامة وضعف

هو في الصحيحين ، لكن أصل الحديث والمصدر عند البخاري فقط ليس عند مسلم

(٢٢) حديثه . كان صلى الله عليه وسلم ينقل الناس مع القوم في ساء المسجد وهو يقول

هذا لجمال لا جمال خير هذا أير ربا وأظهر
وقد صلى الله عليه وسلم مرة أخرى

للهم إن العيش عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

قال مصطفى والميتان في الصحيحين . قلت البيت الأول انفرد به البخاري في قصة

الهجرة من روية عروة ، مرسلًا وفيه البيت الثاني أيضا إلا أنه قبل الأجر

بدن العيش ، يمثل شعر رجل من المسلمين بم يسم لي ، قال ابن شهاب ولم يلدعا

في الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل بيت شعر ثام صر هذا ،

لميت ، والبيت الثاني في الصحيحين من حديث أسير تجرير ورسول الله - صلى

الله عليه وسلم - معهم يقولون .

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة

وبين البيت الثاني موروثا ، وفي الصحيحين أيضا أنه قال في حفر الخندق سقط

سورك في الابصار والمهاجرة وفي رواية سعد ، وفي رواية لمسلم ، فأكبرهم ، ولهما من حديث سهل بن سعد ، فاعفوا للمهاجرين ولا مناصر (٢٢) حديث كان يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يهاجر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو يذبح - الحديث العجاري ، تعيقاً ، وأبو داود ، والترمذي ، والحاكم ، متصلاً ، من حديث عائشة ، وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح اسناد وفي الصحيحين أنها قالت إنه كان يتأفح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(٢٤) حديث أنه قال للبايع لما أنشدته شعراً ، لا يفحص الله فاك البغوي في معجم الصحابة ، ومن عبد البر في الاستيعاب ، بإسناد ضعيف من حديث البايع ، واسمه قيس بن عبد الله ، قال أنشدته النبي - صلى الله عليه وسلم -

سبح اسماء مجدنا وجودنا وإننا لندرجو فوق ذك مطهرا
الأنبياء ورواه البيهقي بلفظ علونا العباد عفة وتكرما
الأنبياء ، وفيه حق . أحسنت يا أبا بكر ، لا يفحص الله فاك ، وللحاكم من حديث حريم بن أوس سمعت العباس يقول يا رسول الله ، إني أريد أن امتدحك ، فقال قل ، لا يفحص الله فاك ، فقال العباس

من قبلها طبت في اطلال وفي مسنوع حيث يحصف الورق (٢٥) حديث عائشة كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتناشدون الأشعار وهو يستسم ، الترمذي من حديث جابر بن سمرة وصححه ، ولم أقف عليه من حديث عائشة

(٢٦) حديث الشريد أنشدت أبي - صلى الله عليه وسلم - مدته فاعفاه من قول أمية بن أبي الصلت كل ذلك يقول هيه هيه الحديث رواه مسلم

(٢٧) حديث أنس كان يحدى له في السفر ، وإن أنشدته كان يحدو بالنساء ، وكان البراء ابن مالك يحدو بالرجال

الحديث أبو داود الطيالسي ، وأتفق الشيخان منه على قصة أنشدته دون ذكر البراء من مالك

(٢٨) محمد بن داود بن سفيان بن جعفر الصوفي (٢٤٢ هـ - ٩٥٢ م) من حفاظ الحديث وهو شيخ القسوقية في نيسابور

(٢٩) أي متى

(٤٠) المراد - في الأصل - عمود الخيل والشبهين هنا هو نوع من الخرافات الصوت الرقيق ، يستخدمه الرعاة عنده

(٤١) هو مقام إبراهيم . بجوار الكعبة - وفي القرآن الكريم (. واتخذوا من مقام إبراهيم مصبى) - انقرة ١٢٥ .

(٤٢) الحطيم بناء قبالة الميراب من خارج الكعبة

(٤٣) الحدود ٢٢

(٤٤) حديث عن السباحة متفق عليه من حديث أم عطية أخذ علينا النبي - صلى الله عليه وسلم - في البيعة أن لا تفرج

(٤٥) حديث إنشاء النساء عند قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

عليه السلام
وحب الشكر علينا
ما دعا الله داع

ليحقق في دلائل النبوة ، من حديث عائشة مفسلا وليس فيه ذكر للدف والألحاح

(٤٦) حديث رجل جماعة من الصحابة في سرور أصابهم أبو داود من حديث علي

(٤٧) حديث عائشة رأت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سترى برأسه وأنا أنظر إلى

الحشوة يلعبون في المسجد - الحديث هو كما ذكره المصنف أيضا في الصحيحين ولكن قوله إنه فيهما من رواية عفير عن أنس بن مالك كما ذكر ، بل هو عند البحري كما ذكر ، وعند مسلم من رواية عمرو بن الحارث عنه

(٤٨) حديث عائشة رأت النبي - صلى الله عليه وسلم - يستترى بثوبه وأنا أنظر إلى

الحشوة وهم يلعبون في المسجد فرجهم عمر فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - أما يا بني أرقدة تقدم لقله حديث دون رجرجهم عمر لهم إلى آخره ، فرواه مسلم من

حديث أبي هريرة دون قوله أمما يابسى أرفدة بل قال دعهم يا عمر ، زاد النسائي
فإنهم بنو أرفدة ولهما من حديث عائشة دونكم يابسى أرفده ، وقد ذكره
المصنف بعد هذا

(٤٩) حديث عمرو بن انجارت عن ابن شهاب نحوه وفي يعديان ويضربان رواه مسلم ،
وهو عند البخاري من رواية الأوزاعي عن ابن شهاب

(٥٠) حديث أبي طاهر عن ابن وهب ، والله لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
يقوم على باب حجرى والحشمة يعبون بحراهم الحديث رواه مسلم أيضا

(٥١) حديث عائشة كتبت اللعب بالبنات عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحديث
وهو في الصحيحين كما ذكر المصنف ، لكن مختصر إلى قولها فيلعبن معي وأما
الرواية المأثورة التي ذكرها المصنف بقوله وفي رواية فليسكن من الصحيحين إنما
رواها أبو داود بإسناد صحيح

(٥٢) حديث عائشة دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعندي جاريتان تغنيان
بعدها بعث - الحديث ، هو في الصحيحين كما ذكر المصنف والرواية أنثى عراها بها
مسلم كما ذكر .

(٥٣) كلمة مرسية معناها نوع من الحلوى تشبه القضايف يؤدم بهذه اللون

(٥٤) الذكالك - ومفرده - بذكك - الأرض يكون عليها غث

(٥٥) حديث أبي هريرة أن غلاما كان في بني إسرائيل على جبل فقال لأمه من خلق
السماء ؟ فقالت الله - الحديث وفيه رمى نفسه من الجبل فتقطع رواه ابن حبان

(٥٦) حديث أمروءة صلى الله عليه وسلم حسا بن ثابت بهجاء المشركين متفق عليه من
حديث البراء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان أمجمهم أو هاجمهم وجبريل
معك

(٥٧) في النسخة المطبوعة - الأصم - بسوار - بالراء -

(٥٨) الحلف بضم الحاء وسكون اللام - خلاف المفروض وقياس الحلف - في المنطق -
هو ما يستدل به بامتداد أحد المقيضين على تحقيق الآخر

(٥٩) الحرور . من دأخته انحرار

(٦٠) اي متى

(٦١) انصدق . يوسر بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة (١٧٠ - ٢٦٤ هـ - ٧٨٧ -

٨٧٧م) من كبار فقهاء مصر ، ورواة الاحاديث والاحبار

(٦٢) البقرة ٢٢٥

(٦٣) لقمان ٦٠

(٦٤) حديث عائشة إن الله حرم انقيته وبيعها وتعيها وتعيها لطرائي في الاوسط

بإسناد ضعيف قال البيهقي ليس بمحفوظ

(٦٥) :الجم ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١

(٦٦) الشعراء ٤٢٢

(٦٧) حديث جابر كان إبليس أول من ناح وأول من تعنى ، لم أحد له أصلاً من حديث

جابر وذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ، ولم يخرج له ولده في

مسند

(٦٨) حديث أبي أمامة ما رفع أحد عقيرته نعتاً إلا بعث الله شيطانين على منكبيه

يضران بأعقابهما على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك الله أبي

الدنيا في دم أملاهي ، والطرائي في الكبر ، وهو ضعيف

(٦٩) حديث عتبة بن عامر كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا تأديته فرسه ورمحه

بقوسه وملاعيته زوجته ، أصحاب السبع الأربعة وفيه اضطراب

(٧٠) حديث لا يحمل دم امرئ إلا نحدى ثلاث متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٧١) حديث ابن مسعود سمع النبي في القرب كما يبيت الماء البقل قال المصنف

وامرؤع عمر صحيح لأن في إسناده من لم يُسمَ رواه أبو داود ، وهو في رواية ابن

العبد ليس في رواية اللؤلؤي ، ورواه البيهقي مرهوعاً وموقوفاً

(٧٢) حديث باهع كنت وابن عمر في طريق ، فسمع امرأة را ع فوضع أصبعه في أذنيه

الحديث ، ورعنه أبو داود وقال هذا حديث مبكر

(٧٣) الفرس النهمليج هو الذي يسير في سرعة ويحترق

(٧٤) حديث جلع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد الفراغ من الصلاة ثوب أسى
جهنم إذ كان عليه أعلام شملت قلبه ، متعلق عليه من حديث عائشة

(٧٥) أحاديث مزاج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كثيرة أنظر إحياء علوم الدين
ص ١٥٧٣ - ١٥٧٧ .

(٧٦) هنا ينتهي الباب الأول من كتاب السماع - في (إحياء علوم الدين) - لحجة الإسلام
أبي حامد الغزالي - ص ١١٢٠ - ١١٥٣ في الكتاب - ونقد اكتفينا به ، لأنه هو
المخصص « بحكم » السماع أما الباب الثاني - من ص ١١٥٣ حتى ص ١١٨٣ -
فلقد أثربا عدم إيراد « لأن موضوعه هو » في آثار السماع وأدبه « ، فهو - إلى حد
كبير - خارج عن إطار مدقنا في كتابنا هذا - وهو أدخل في الدراسات الصوفية
وأحوال التصوفة ونقد اكتفينا منه بالعبارة التي أوردناها الغزالي في ختامه وهي
السطور التي تل إشارة هذا التعقيب

(ج)

ابن تيمية (*)

أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم الحرانی
(٦٦١ - ٧٢٨ هـ - ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م)

(مسألة السماع)

(*) هذه هي نصوص فتاوى ابن تيمية في « مسألة » السماع . أحدا ما نصها من
(مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) - المجلد الحادي عشر - ص ٥٥٧ -
٦٤٥ - تحقيق وجمع وترتيب البر حوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - بمساعدة
أبيه محمد - طبعة المملكة العربية السعودية - على نفقة الملك خالد بن عبد العزيز
ولقد استكمل تحقيق النص - بالترجمة لأعلامه ، والتعليق عن بعض إشارات ،
والتخريج لما به من آيات القرآن الكريم
ولأن النص فتاوى متعددة - ولقد استعنيب عن ما فيه من تكرار لا يصيف فكرا
جديدا .

ماذا تقول السادة الأعلام ؟

أئمة الإسلام ، ورثة الأنبياء عليهم السلام - رضى الله عنهم -
وأرضاهم ، في صفة « سماع الصالحين » ما هو ؟ وهل سماع القصائد
الملحنة بالآلات المطربة هو من القُرب والطاعات أم لا ؟ وهل هو مباح ، أم
لا ؟

فأجاب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية - رضى الله عنه -
الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعن آلِهِ وسلم تسليماً
أصل هذه « المسألة » أن يعرق بين السماع لدى يُنتفع به في الدين ، وبين
ما يَرَحُّص فيه رفعا للخرج ، بين سماع المتقربين ، وبين سماع المتلعبين^(١)
فأما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده ، وكان سلف الأمة من
الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح قلوبهم ، وزكاة
نفوسهم - فهو سماع آيات الله تعالى ، وهو سماع البينين ، وأهل العلم ،
وأهل المعرفة

قال الله تعالى ، لما ذكر من ذكره من الأنبياء في قوله (أولئك الذين أنعم
الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ، ومن حمينا مع نوح ، ومن ذرية

إبراهيم وإسرائيل ، وممن هديتنا واحتببنا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) (٢) . وقال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وحلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ، وعلى ربهم يتوكلون) (٣) وقال تعالى (إن الدين أوتوا العلم من قبله إذا يتى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يسكون ويزيدهم خشوعاً) (٤) . وقال تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) (٥)

وبهذا السماع ، أمر الله تعالى ، كما قال تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحموا) (٦) وعلى أهله أثنى كما في قوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) (٧) وقال في الآية الأخرى (أفلم يدبروا القول؟ أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين؟) (٨) فالقول الذي أمروا بتدبره هو القول الذي أمروا بسماعه

وقد قال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) (٩) وقال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته) (١٠) .

وكما أثنى على هذا السماع ، ثم المعرضين عن هذا السماع ، فقال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا إلى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً) (١١) وقال تعالى (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم مغثون) (١٢) وقال تعالى (وقال الرسول يا رب إني هومي اتحدوا هذا القرآن مهجوراً وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) (١٣) وقال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين . كأنهم خصمٌ مستنفرة ، فرت من قسورة) (١٤) وقال تعالى (وقالوا قلوبنا في

أَكْنَة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب (١٥) وقال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً) (١٦)

وهذا هو السماع الذي شرعه الله لعباده في صلاة الفجر ، والعشائين ، وغير ذلك

وعنى هذا السماع ، كان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجتمعون ، وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ وأتباعون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يقول لأنى موسى ياأنا موسى ذكربنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون وهذا هو السماع الذي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشهده مع أصحابه ، ويستدعيه منهم ، كما في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال « قال النبي - صلى الله عليه وسلم - اقرأ على القرآن ، قلت اقرأه عليك وعبيك أنزل » فقال إني أحب أن أسمع من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئناك على هؤلاء شهيداً) (١٧) قر حسبك « تنصرت فإذا عياها تدرهن » وهذا هو الذي كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسمعه هو وأصحابه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) (١٨) و « الحكمة » هي السمة

وقد تعالى (قر إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ عَلَى حُرْمِهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَحْمِ يَهْتَدِىٰ نَفْسُهُ ، وَمَنْ ضَلَّ فَعَلْنَا مَا مِنَ الْمُدْرِينَ) (١٩) وكذلك غيره من

الرسول ، قال تعالى (يا بني آدم أما يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصبح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٢٠)

وسلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذروكم لقاء يومكم هذا) قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين (٢١) وقال تعالى (وسيق الدين كهموا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوه فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتيكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذروكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) (٢٢)

وقد أحرر أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح ، والمعرض عنه ضال شقي قال تعالى (فلما يأتيكم من هدى فمن اتبع هداى فلا يضر ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة صنتاً وبحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) . قال كذلك آتتكم آياتنا فنسيتموها وكذلك اليوم ننسى (٢٣) وقال تعالى (ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) (٢٤)

و « ذكر الله » يراد به تارة ذكر العبد ربه ، ويراد به الذكر الذى أنزل الله كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) (٢٥) وقال نوح (أو محبتهم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) (٢٦) وقال (وقالوا يا أيها الذى أرسل عليه الذكر إنا لم نجور) (٢٧) وقال (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه) (٢٨) وقال (وإنه لذكر لك ولقومك) (٢٩) وقال (إن هو إلا نكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم) (٣٠) وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين (٣١)

وهذا « السماع » له آثار إيمانية من المعارف القدسية ، والأحوال الركبية ، يطول شرحها ووصفها ، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ، ودموع العين ، وإقشعرار الجلد ، وهذا مذكور في القرآن وهذه الصفات موجودة في الصحابة ، ووجدت بعدهم آثار ثلاثة الاضطراب ، وانصراف ، والانعفاء ، والموت في التابعين

و « بالحملة » فهذا السماع هو أصل الايمان قبل ان الله بعث محمداً - صلى الله عليه وسلم - إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما نطقه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى ، وأفلح ، ومن أعرض عن ذلك ضل وشقى .

وأما « سماع المكاء والتصديّة » ، وهو التصفيق بالأيدى والمكاء مثل الصغير ونحوه ، عهدا هو سماع للمشرّكين الذي ذكره الله تعالى في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصديّة) ١٣٢ ، فأحبر عن المشرّكين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويب بالقم قرينة ودينا ، ولم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ، ولا حصروه قط ، ومن قال إن النبي - صلى الله عليه وسلم - حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته والحديث الذي ذكره محمد بن طاهر المقدسي (٢٢) في « مسألة السماع » و « في صفة التصوف » ، ورواه من طريقه الشيخ أبو جعفر عمر السهروردي (٢٤) صاحب مؤلف المعارف « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنشده أعراسي

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا صبيب لها ولا راقى
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقي

وأنه تواجد حتى سقطت الردة عن منكبيه ، فقال له معاوية ما أحسن
لهوكم ، فقال له مهلاً يا معاوية ، ليس بكريم من لم يتواجد عند ذكر
الحبيب . فهو حديث مكذوب موضوع باتفاق أهل العلم بهذا الشأن
وأظهر منه كذباً حديث آخر ، يذكرون فيه أنه لما نشر الفقراء بسبقهم
الأغنياء إلى الجنة تواحدوا ، وحرقوا ثيابهم وأر حبرائيل برل من السماء
فقال يا محمد ، إن ربك يطلب بصيعة من هذه الحرق ، فأخذ منها حرقه
فعلقها بالعرش ، وأن ذلك هو ريق الفقراء . وهذا وأمثاله إنما يرويه من
هو من أجهل الناس بحال النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، ومن
بعدهم ، ومعرفة الإسلام والإيمان

وهو يشبه رواية من روى « أن أهل الصفة قاتلوا مع الكفار لما اكسر
المسلمون يوم حنين ، أو غير يوم حنين ، وأنهم قالوا : نحن مع الله ، من كان
الله معه كنا معه » ومن روى « أن صبيحة المعراج وجد أهل الصفة
يتحدثون بسر كان الله أمر نبيه أن يكتمه ، فقال لهم من أين لكم هذا ، قالوا
الله علمنا إياه ، فقال يا رب ، ألم تأمرني ألا أفشيئه » . فقال أمرتك أنت ألا
تفشيئه ، وبكتي أب أحبرتهم به »

ونحو هذه الأحاديث التي يرويها طوائف منتسبون إلى الدين ، ومع
فرط جهلهم بدين الإسلام ، فيبدون عليها من النفاق والبدع ما يناسبها ،
تارة يسقطون التوسط بالرسول وأنهم يصلون إلى الله تعالى من غير طريق
الرسول مطلقاً فهذا أعظم من كفر اليهود والنصارى ، فإن أولئك أسقصوا
وساطة رسول واحد ولم يسقطوا وساطة الرسل مطلقاً
وهؤلاء إذا أسقطوا وساطة الرسل مطلقاً عن أنفسهم ، كان هذا أغلط من

كفر أولئك لكنهم يقولون لا يسقط الوساطة إلا عن الخاصة ، لا عن عامة ، فيكوبون أكفر من أهل الكتاب من جهة إسقاط السفارة مطلقاً عنهم في بعض الأحوال ، وأهل الكتاب أكفر من جهة إسقاط سفارة محمد مطلقاً ، بل أهل الكتاب الذين يقولون إنه رسول إلى الأمين دون أهل الكتاب خير من هؤلاء ، فإن أولئك أخرجوا عن رسالته من له كتاب ، وهؤلاء يرحلون عن رسالته من لا يبقى معه إلا خيالات ووسوس وقلنون ألقاها به الشيطان ، مع ظنه أنه من خواص أولياء الله وهو من أشد أعداء الله ، وقارة يجعلون هذه الآثار المختلفة حجة فيما يفترونه من أمور تخالف دين الإسلام ، ويدعون أنها من أسرار الحواص ، كما يفعل الملاحدة والفرامطة والباطنية ، وقارة يجعلونها حجة في الإعراض عن كتاب الله وسنة نبيه إلى ما اتهموه من اتحاد دينهم لهواً وبعياً

وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يشرع لصالحي أمته وعبيادهم ورؤسائهم أن يحتلموا على استماع الآبيات الملحة مع ضرب بالكف أو ضرب بالقصيب ، أو الدف كما لم يبيح لأحد أن يخرج عن متابعتة واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة ، لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ، ولا لعامى ولا لخاصى ، ولكن رخص النبي - صلى الله عليه وسلم - في أنواع من السهو في العرس وفحوه ، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بالدف ، ولا يصفق بكف ، بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال « التصفيق للنساء والتسبيح للرجال » وعن تحتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء « (٣٥)

ولد كان الغناء والضرب بالدف والكف من عمل النساء كان السلف
يسمونه من يفعل ذلك من الرجال محبثا ، ويسمون الرجال المغير محابيثا ،
وهذا مشهور في كلامهم

ومن هذا الباب حديث عائشة - رضى الله عنها - لما دخن عليها أبوها ، -
رضى الله عنه - في أيام العيد ، وعندها جاريتان من الأنصار تغنيان بما
تقاوت به الأنصار يوم بعث فقال أبو بكر - رضى الله عنه - « أمرمار
الشیطان في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان رسول الله -
صلى الله عليه وسلم ، معرضا بوجهه عنهما ، مقلدا بوجهه الكريم إلى
الحائط فقال دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدا ، وهذا عيدنا أهل
الإسلام » نفى هذا الحديث بيان أن هذا لم يكن من عادة النبی - صلى الله
عليه وسلم - وأصحابه الاجتماع عليه ولهذا سماه الصديق زمارة
الشیطان ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أقر الجوارى عليه معللا ذلك بأنه
يوم عيد والصغار يرحص بهم في اللعب في الأعياد ، كما جاء في الحديث
« ليعلم المشركون أن في ديننا فسحة » . وكان لعائشة لعب تلعب بهن ويحكن
صواحيباتها من صغار النسوة يلعبن معها ، وليس في حديث الجاريتين أن
النبي - صلى الله عليه وسلم - استمع إلى ذلك والأمر والنهي إنما يتعلق
بالاستماع ، لا بمجرد السماع كما في الرؤية ، فإنه إنما يتعلق بقصد
الرؤية ، لا بما يحصل منها بغير الاختيار

وكذلك في اشتمام الطيب إنما يبيى المحرم عن قصد الشم ، أما إذا شم
ما لم يقصده فإنه لا شيء عليه وكذلك في مباشرة المحرمات كالحواشي
الخمسة من السمع ، والبصر ، والشم ، والدوق ، واللمس إنما يتعلق الأمر

واسهى من ذلك بما للعبد فيه قصد وعمى ، وأما ما يحصل بغير اختياره فلا أمر فيه ولا نهى

وهذا مما وحه به الحديث الذى فى السرى عن ابن عمر « أنه كان مع النبى - صلى الله عليه وسلم - فسمع صوت رمرة راع ، فعدل عن انصريق ، وقال هل تسمع ؟ هل تسمع ؟ حتى انقطع الصوت »

فإن من الناس من يقول بتقدير صحة هذا الحديث ، ثم يأمر ابن عمر بسد أذنيه ، فيجاب بأنه كان صغيراً . أو يحاب بأنه لم يكن يستمع ، وإنما كان يسمع . وهذا لا إثم فيه . وإنما النبى - صلى الله عليه وسلم - فعل ذلك طلباً للأفصل والأكمل . كمن اجتاز بطريق فسمع قومًا يتكلمون بكلام محرم فسد أذنيه كيلا يسمعه ، فهذا حسن ، ولو لم يسد أذنيه لم يأثم بذلك ، اللهم إلا أن يكون فى سماعه ضرر دينى لا يدفعه . لا بالسد

و « بالجملة » فهذه (مسألة السماع) تكلم كثير من المتأخرين فى السماع هل هو محظور ، أو مكروه ، أو مباح ، وليس المقصود بذلك مجرد رفع الحرج ، بل مقصودهم بذلك أن يُنَحِّذَ طريقاً إلى الله يجتمع عليه أهل الديانات لصالح القلوب والتشويق إلى المحبوب والتخويف من المرهوب ، والتحزين على فوات المطلوب فتستقرل به الرحمة ، وتستجلب به النعمة ، وتحرك به مواجيد أهل الإيمان ، وتستجلى به مشهد أهل العرفان ، حتى يفور بعضهم إنه أقضل لبعض الناس أو للخاصة من سماع القرآن من عدة وجوه حتى يجعلونه قوتاً للقلوب ، وغذاءً للأرواح ، وحامياً للنفوس يحدوها إلى السرى إلى الله وبحثها عن الإقبال عليه

ولهذا يوجد من اعتاده ، واعتدى به لا يحن إلى القرآن ولا يعرج به ولا

يجد في سماع الآيات كما يجد في سماع الأبيات ، بل إذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية ، وألسن لاغية ، وإذا سمعوا سماع المكاء والتصديبة حشعت الأصوات ، وسكنت الحركات ، وأصغت القلوب ، وتعاطت المشروب فمن تكلم في هذا هل هو مكروه ؟ أو مباح ؟ وشبهه بما كان النساء يغير به في الأعياد والأفراح ، لم يكن قد اهتدى إلى الفرق بين طريق أهل البخسارة ، والعلاج ، ومن تكلم في هذا هل هو من الدين ؟ ومن سماع المتقين ؟ ومن أحوال المقربين ؟ والمقتصدين ؟ ومن أعمال أهل اليقين ؟ ومن طريق المحبين المحبوبين ؟ ومن أعمال السالكين ، إلى رب العالمين ، كان كلامه فيه من وراء وراء بمنزلة من سئل عن علم الكلام المختلف فيه ، هل هو محمود ؟ أو مذموم ؟ فأخذ يتكلم في جنس الكلام وانقسامه : إلى الاسم ، والفعل ، والحرف ، أو يتكلم في مدح الصمت ، أو في أن الله أباح الكلام والنطق ، وأمثال ذلك مما لا يمس المحل المشتبه المتنازع فيه .

فإذا عرف هذا فاعلم أنه لم يكن في عصفوان القرون الثلاثة المفضلة ، لا بالحجاز ، ولا بالشام ، ولا باليمن ، ولا مصر ، ولا المغرب ، ولا العراق ، ولا خراسان ، من أهل الدين والصلاح والزهد والعبادة من يجتمع على مثل سماع المكاء والتصديبة ، لا بدف ، ولا بكف ، ولا بقضيب ، وإنما أحدث هذا يعد ذلك في أواخر ائمة النائية ، فلما رآه الأئمة أنكروه

فقال الشافعي - رضى الله عنه - حلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنارقة ،

يسمونه « التغبير » يصدون به الناس عن القرآن

وقال يزيد بن هارون (٣٦) ما يعبر إلا الفاسق ، ومتى كان التغبير ١٩

وسئل عنه الإمام أحمد (٣٧) ، فقال أكرهه ، هو محدث قيل أنجلس

معهم ؟ قال لا

وكذلك سائر أئمة الدين كرهوه ، وأكابر الشيوخ الصالحين لم يحضروه ، فلم يحضره إبراهيم بن أدهم (٣٨) ، ولا المضي بن عياض (٣٩) ، ولا معروف الكرخي (٤٠) ، ولا أبو سليمان الدراني (٤١) ، ولا أحمد بن أبي الحواري (٤٢) والسري السقطي ، وأمثالهم والذين حضروه من الشيوخ المحمودين تركوه في آخر أمرهم وأعيان المشايخ غابوا أهله كما فعل ذلك عبد القادر (٤٣) ، والشيخ أبو النيان (٤٤) ، وغيرهما من المشايخ

وما ذكره الشافعي - رضي الله عنه - من أنه من إحداه الرندقة كلام إمام خبير بأصول الإسلام ، فإن هذا السماع لم يرفع فيه ، ويدعو إليه في الأصل ، لا من هو منهم بالرندقة كابن الراوندي (٤٥) والغازي (٤٦) وابن سينا (٤٧) ، وأمثالهم كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي (٤٨) - في مسألة السماع - عن أبي الراوندي قال إنه اختلف الفقهاء في السماع فأباحه قوم ، وكرهه قوم ، وأنا أوحى - أو قال - وأنا أمر به فحالف إجماع العلماء في الأمر به

و « الغازي » كان بارعاً في الغناء الذي يسمونه « الموسيقى » وله فيه طريقة عند أهل صناعة الغناء ، وحكايته مع بن حمدن (٤٩) مشهورة لما ضرب فأبكاهم ، ثم أصحكهم ، ثم نومهم ثم خرج

و « بن سيف » ذكر في إشارته ، في « مقامات العارفين » في الترقيب فيه ، وفي عشق الصور ، ما يناسب طريقة أسلافه الفلاسفة والصابئين المشركين ، الذين كانوا يعبدون الكواكب ، والأصنام ، كأرسطو (٥٠) وشيعته من اليونان - ومن أتبعه كبر قلنس (٥١) ، وثامسطيوس ، والأسكندر الأفروديسي (٥٢) ، وكان أرسطو وزير الأسكندر بن فيليس المقدوني (٥٣)

اندى تؤرخ له اليهود والنصارى ، وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة
وأما « دو القرنين » المذكور في القرآن ، الذي بى « السد » فكان قتل
هو لاء بر من طويل ، وأما الأسكندر اندى ورر له أرسطو فإنه إنما نطع بلاد
حراسان ونحوها في دولة الفرس ، ولم يصل إلى السد ، وهذه الأمور
مبسوطة في غير هذا الموضع

و « ابن سينا » أحدث فلسفة ركبها من كلام سلفه اليونان ، ومما أحده
من أهل الكلام المبتدعين الجهمية ^(٥٤) ، ونحوهم ، وسلك طريق الملاحدة
الإسماعيلية ^(٥٥) في كثير من أمورهم العلمية والعملية ومرجه بشيء من
كلام الصوفية وحقيقته يعود إلى كلام إخوانه الإسماعيلية القرامطة ^(٥٦)
الباطنية فإن أهل بيته كانوا من الإسماعيلية أتباع الحاكم الذي كان
بمصر ، وكانوا في زمة ، ودينهم دين أصحاب « رسائل إخوان الصفا » ^(٥٧) ،
وأمثالهم من أئمة منافق الأمم الذين ليسوا مسلمين ولا يهود ولا
نصارى

وكان الفارابي قد حذق في حروب اليونان ، التي هي تعاليم أرسطو
وأتباعه من الفلاسفة المشائين ، وفي أصواتهم صناعة الغناء ، ففي هؤلاء
الطوائف من يرعب فيه ويجعله مما تزكو به النفوس ، وترتاض به ، وتهذب
به الأخلاق

وأما « الحنفاء » ، أهل ملة إبراهيم الخليل ، الذي جعله الله إماماً ، وأهل
دين الإسلام ، الذي لا يقبل الله من أحد ديناً غيره ، المتبعون لشرعية حاتم
الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فهؤلاء ليس فيهم من يرغب في ذلك ،
ولا يدعو إليه ، وهؤلاء هم أهل القرآن والإيمان ، والهوى ، والسعد ،

والرشد ، والنبور ، والفلاح وأهل المعرفة والعلم ، واليقين والإخلاص ،
والمحبة له ، والتوكل عليه ، والحشية له ، والإنابة إليه

ولكن قد حضره أقوام من أهل الإرادة ، ومن له نصيب من المحبة لما
قبه من التحريك لهم ، ولم يعلموا غائله ، ولا عرفوا معيته ، كما دخل قوم
من الفقهاء أهل لإيمان بما جاء به الرسول في أنواع من كلام العلاسفة
لمخالف لدين الإسلام ظناً منهم أنه حق موافق ، ولم يعلموا غائله ، ولا
عرفوا معيته ، كما دخل قوم من الفقهاء أهل للإيمان بما جاء به الرسول في
أنواع من كلام العلاسفة المخالف لدين الإسلام ، ظناً منهم أنه حق موافق ،
ولم يعلموا غائله ، ولا عرفوا معيته ، فإن القيام بحقائق الدين علماً وحالاً
وقولاً وعملاً ومعرفة ودوقاً وخبرة لا يستقل بها أكثر الناس ، ولكن الدليل
الحامع هو الاعتصام بالكتاب والسنة ، فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه
وسلم - بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً

وقد قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الإسلام ديناً) (٥٨) وقد قال تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٥٩) قال عبد الله بن
مسعود « حط لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حطاً وحط حطوطاً ،
عن يمينه وشماله ، ثم قال : هذا سبيل الله وهدى سبيل ، على كل سبيل منها
شيطان يدعو إليه ثم قرأ (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله)

وقد قال تعالى (والسبقون الأولين من المهاجرين والأنصار والذين
اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) (٦٠) ، فقد رضي الله عن

السابقين رضى مطلقاً ، ورضى عن اتبعهم بإحسان . قال عبد الله بن مسعود إن الله نظر في قلب محمد فوجد قلبه خير قلوب العباد ، فاصطفاه برسالته ، ثم نظر في قلوب الناس بعد قلبه ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد . فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسناً ، وما رأوه قبيحاً فهو عند الله قبيح . وقال عبد الله بن مسعود من كان منكم مستتاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة . أولئك أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعظمها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم

ومن كان به حبرة بحقائق الدين ، وأحوال القلوب ومعارفها ، وأذواقها ، ومواجيدها ، عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة ، ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والفسدة ما هو أعظم منه فهو للروح كالخمر للجسد ، يفعل في النفوس فعل حميا الكؤوس

ولهذا يورث أصحابه سكرًا أعظم من سكر الخمر ، فيحدون لذة بلا تمييز كما يحد شارب الخمر ، بل يحصر لهم أكثر وأكر مما يحصل لشارب الخمر ، ويصددهم ذلك عن ذكر الله ، وعن الصلاة أعظم مما يصددهم الخمر . ويوقع بينهم العداوة والبغضاء ، أعظم من الخمر . حتى يقتل بعضهم بعضاً من غير مس بيده بل بما يقتل بهم من الشياطين ، فإنه يحصر لهم أحوال شيطانية بحيث تشر عليهم الشياطين في تلك الحال . ويتكلمون على أسنتهم ، كما يتكلم الجنى على لسان المصروع إما بكلام من جس كلام الأعاجم ، الذين لا يفقه كلامهم ، كلسان الترك ، أو الفرس ،

أو غيرهم ويكون الإنسان الذي ليسه الشيطان عريباً لا يحسن أن يتكلم بذلك ، بل يكون الكلام من حسن كلام من تكون تلك الشياطين من إخوانهم ، وإما بكلام لا يعقل ولا يفهم به عيسى ، وهذا يعرفه أهل المكاشفة « شهوداً وعباداً »

وهؤلاء الذين يدخلون النار مع خروجهم عن الشريعة هم من هذا النمط . فإن الشياطين تلبس أحدهم ، بحيث يسقط إحساس بدنه ، حتى إن المصروع يضرب ضرباً عظيماً ، وهو لا يحس بذلك ، ولا يؤثر في جنده فكذلك هؤلاء تلبسهم الشياطين ، وتدخل بهم اندر ، وقد تطير بهم في الهواء ، وإنما يلبس أحدهم الشيطان مع تغيب عقله ، كما يلبس الشيطان المصروع

وبأرض الهند ، والمغرب ، صرب من الرط يقال لأحدهم المصلي ، فإنه يصل النار كم يصل هؤلاء ، وتلبسه ويحلها ويصير في الهواء ، ويقف على رأس لرج ، ويعبر أشياء بلع مما يفعله هؤلاء . وهم من الرط الذين لا أخلاق لهم والجن تحطف كثيراً من الإنسان وتغيبه عن أبصار الناس ، وتطير بهم في الهواء وقد باشرنا من هذه الأمور ما يطول وصفه ، وكذا يعرف هذا هؤلاء المتولهون والمتنصبون إلى بعض المشتبه إذا حصص له وجد صماعى ، وعند سماع الكاء والتصديع منهم من يصعد في الهواء ، ويقف على راج الرياح ، ويدخل النار ، وأحد لحدود المحمي النار ثم يصعه على بدنه ، وأنواع من هذا الحبس ولا تحصص له هذه الحال عند الصلاة ، ولا عند الذكر ، ولا عند قراءة القرآن لأن هذه عبادات شرعية إيمانية إسلامية فبوية محمدية ، نظرت الشياطين ، وتلك عبادات بدعية شركية شيطانية فلسفية تستحلب شياطين

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الصحيح « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » وقد ثبت في الحديث الصحيح « أن أسيد بن حضير لما قرأ سورة الكهف ، نزلت الملائكة لسماعها ، كالظلة فيها السرح »

ولهذا كان المكاء والتصديعة يدعو إلى الفواحش والظلم ، ويصد عن حقيقة ذكر الله تعالى والصلاة كما يفعل الخمر ، والسلف يسمونه تغبيراً ، لأن التغبير هو الصرب بالقصيب على جلد من الجلود ، وهو ما يغير صوت الإنسان على التلحين ، فقد يصم إلى صوت الإنسان إما النصفيق بأحد ايديين على الأخرى وإما الضرب بقصيب على فخذ وحيد ، وإما الضرب باليد على أختها ، أو غيرها على دف أو طبل ككناقوس النصارى والنفخ في صفارة كنوق اليهود ، فمن فعل هذه الملاحى على وجه الديانة والتقرب فلا ريب في صلالته وجهاله

وأما إذا فعلها على وجه التمتع والتلعب فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام ، فقد ثبت في صحيح البخارى وغيره « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أضر أنه سيكون من أمته من يستحل الجمر والحريز ، والحمير والمعروف ، وذكر أنهم يمسحون قرده وجنازير » (١١)

و « المعارف » هى الملاحى كما ذكر ذلك أهل اللغة ، جمع معزفة ، وهى الآلة التى يعزف بها أى يصوت بها ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو بزاعاً إلا أن بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى ذكر في البيراع وجهين بخلاف الأوتار ونحوها ، فإنهم لم يدكروا فيها بزاعاً . وأما

العراقيون الذين هم أعلم بمذهبه وأتبع له ، فلم يذكروا مزاعمًا لا في هذا ، ولا في هذا بل صنف أفضلهم في وقته أبو الطيب الطبري^(٦٢) شيخ أسي أسحق الشيرازي^(٦٣) في ذلك مصنف معروفًا ولكن تكلموا في العناء المحرود عن آلات النهو هل هو حرام ، أو مكروه ، أو صا ح ؛ وذكر أصحاب أحمد له في سلفه ثلاثة أقوال ، وذكروا عن الشافعي قولين ، ولم يذكروا عن أبي حنيفة و مالك في ذلك شرا عا

وذكر زكريا بن يحيى الساجي^(٦٤) - وهو أحد الأئمة المتقدمين المائلين إلى مذهب الشافعي - أنه لم يخالف في ذلك من الفقهاء المتقدمين إلا إبراهيم بن سعد من أهل البصرة ، وما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي وأبو القاسم القشيري^(٦٥) وغيرهما عن مالك ، وأهل المدينة في ذلك فغلط ، إنما وقعت التشبهة فيه ، لأن بعض أهل المدينة كان يصغر السماع ، إلا أن هذا ليس قول أئمتهم وفقهائهم ، بل قال إسحاق بن عيسى الطباع سألت مالكًا عما يترخص فيه أهل المدينة من العناء ، فقال إنما يفعله عبدا الفساق ، وهذا معروف في كتب أصحاب مالك وهم أعلم بمذهبه ، ومذهب أهل المدينة من طائفة في المشرق ، لا علم لها بمذهب الفقهاء ومن ذكر عن مالك أنه ضرب بعود فقد افترى عليه . وإنما نهت عن هذا ، لأن فيما جمعه أبو عبد الرحمن السلمي ، ومحمد بن طاهر المقدسي ، في ذلك حكايات وأثار يظن من لا خبرة له بالعلم وأحوال السلف أنها صدق

وكان « الشيخ أبو عبد الرحمن » - رحمه الله - فيه من الخير والزهد والدين والنصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ والآثار التي توافق مقصوده كل ما يصدر قل هذا يوحد في كتبه من الآثار الصحيحة ، والكلام المنقول ، ما ينتفع به في الدين ، ويوحد فيها من الآثار السقيمة ،

والكلام المردود ، ما يضر من لا خبرة به ، وبعض الناس توقف في روايته حتى أن البيهقي كان إذا روى عنه يقول حدثنا أبو عبد الرحمن من أصل سماعه ، وأكثر الحكايات التي يرويها أبو القاسم الفشيري صاحب الرسالة (٦٦) عنه فإنه كان أجمع شيوخه لكلام الصوفية

و « محمد بن طاهر » له فصيلة حيدة من معرفة الحديث ، ورجاله ، وهو من حفاظ وقته ، لكن كثيرا من المتأخرين أهل الحديث ، وأهل الزهد ، وأهل الفقه ، وغيرهم ، إذا صنفوا في باب ذكروا ما روى فيه من عث وسمين ، ولم يميزوا ذلك وجماع الأمر في ذلك أنه إذا كان الكلام في السماع وغيره ، هل هو طاعة وقربة ؟ فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك ، وإذا كان الكلام هل هو محرم ؟ أو غير محرم ؟ فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك ، إذ ليس الحرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله ، والله سبحانه وتعالى ذم المشركين على أنهم ابتدعوا دينًا لم يشرعه الله لهم ، وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله تعالى فقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (٦٧) . وقال تعالى (وإذا معلوا فاحشاة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ؟ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وادعوه مخلصين له الدين) (٦٨)

وكثير من الناس يفعل في السماع وغيره ، ما هو من جنس الفواحش المحرمة ، وما يدعوا إليها ، ورعهم أن ذلك يصلح القلوب ، فهو مما أمر الله به ، هؤلاء بهم نصيب من معنى هذه الآية قال تعالى (قل من حرم ربة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للدين آمنوا في الحياة

الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل إنما حرم ربي الفواحش ، ما ظهر منها وما بطن ، والإثم ، والبغى ، بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴿١٦﴾

* * *

سئل شيخ الإسلام « رحمه الله » عن « السماع »

فأجاب « السماع » الذي أمر الله به ورسوله ، واتفق عليه سلف الأمة ومشائخ الطريق هو سماع القرآن ، فإنه سماع النبيين ، وسماع العالمين ، وسماع العارفين ، وسماع المؤمنين ، قال سبحانه وتعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ، وممن هدينا واجتبینا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) ١٦٠ وقال تعالى (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ، ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ، ويخرون للأذقان يسكون ويريدهم خضوعاً) (١٦١) وقال تعالى (وإذا سمعوا ما أنزل إلى أرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فأكتنبت مع الشاهدين) (١٦٢) وقال تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم

آياته زادتهم إيماناً وعلم ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٧٢) وقال سبحانه وتعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (٧٣) وقال تعالى (وإذا صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين) (٧٥)

وقال سبحانه وتعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلتج جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) (٧٦) وقال سبحانه وتعالى (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) (٧٧) وهذا كثير في القرآن

وكما أثنى سبحانه وتعالى على هذا السماع ، فقد ذم المعرضين عنه ، كما قال (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن وانصتوا فبه لعلكم تغلبون) (٧٨) ، وقال (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يحروا عليها صماً وعمياناً) (٧٩) ، وقال سبحانه وتعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنقرة) (٨٠) وقال سبحانه وتعالى (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه) (٨١) ، وقال (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يفعلون ولو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) (٨٢) ، وقال سبحانه وتعالى : (وإذا تنهى عليه آياتي وإلى مستكبراً كان لم يسمعها كان في أدنيه وقرأ فبشره بعذاب أليم) (٨٣)

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسوله الله - صلى الله عليه وسلم - وإجماع

المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ، ويحبه ويرغب فيه ويدمرون
من يعرض عنه ، ويغضه ، ولهذا شرع الله للمسلمين في صلاتهم ولطسهم ،
شرع سماع المغرب ، والعشاء الآخر

وأعظم سماع في الصلوات سماع الفجر الذي قال الله فيه (وقرآن
الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) (٨٤) ، وقال عبد الله بن رواحة - رضي
الله عنه - يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم -

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر سابع
يبيت يحافي عن فرشاه إذا استقبلت بالشركين أصابع
أراد الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقبات أن ما قال وقع
وهو مستحب بهم خارج الصلوات ، وروى عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - « أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ وهم يستمعون ،
فجلس معهم » وكان أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا
اجتمعوا أمروا واحداً منهم يقرأ والباقيون يستمعون

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول يا أبا موسى ' دكرنا
ربنا فيقرأ وهم يستمعون ومر النبي - صلى الله عليه وسلم - بأبي
موسى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال « لقد أوتي هذا مرماراً
من مزاعم داود » ، وقال « يا أبا موسى ' لقد مررت بك البارحة وأنت
تقرأ فجعلت استمع بقراءتك » فقال لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحترته
لنت تحبيراً أي حسنته لك تحسيناً

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »
« وينوا القرآن بأصواتكم » ، وقال « لله أشد أذن للرجل حسن الصوت ،

من صاحب القينة إلى قبيته « وقوله - « ما أذن الله إذنا » أى سمع سمعاً ،
ومنه قوله (أدبت لربها وحقت)^(٨٥) أى سمعت ، والآثار في هذه كثيرة

وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية
يطور شرحها ووصفها وله في الجسد آثار محمودية من خشوع القلب ،
ودموع العين واقشعرار الجلد ، وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن ،
وكانت موجودة في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الدين أثنى
عليهم في القرآن ، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة الاضطراب ،
والاحتلاج ، والإغماء - أو الموت واليهام فانكر السلف ذلك - إما
لبعدتهم ، وإما لحبهم

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك ، فإن أفسس إذا لم يكن
مضطرباً كان صاحبه فيما تولد عنه معذوراً ، لكن سبب ذلك قوة الوارد
على قلوبهم ، وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا
مذمومين ، كما لم الله الدين قال فيهم (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك)^(٨٦)
وقال (ألم يأن للذين آمنوا أن تحشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ،
ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ، فقست
قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون)^(٨٧) ولو أثر فيهم آثاراً محمودية لم يجديهم
عن حد العقل فكانوا كمن أخر حهم إلى حد العلة كانوا محمودين أيضاً
ومعدورين .

فأما سماع القاصدين لصلاح القلوب في الاجتماع على ذلك إما نشيد
مجرد ، نظير الغمار ، وإما بالتصفيق ، ونحو ذلك ، فهو السماع المحدث في
الإسلام فإنه أحدث بعد ذهاب القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي -

صلى الله عليه وسلم - حيث قال « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم
الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » وقد كرهه أعيان الأمة وهم يحصره أكابر
الشايع (٨٨)

وقال الشافعي - رحمه الله - حُلِّسْتُ بعدد شيئاً أحدثته الزنادقة
يسمونه التغبير يصدور به الناس عن القرآن

وسئل عنه الإمام أحمد بن حنبل فقال هو محدث أكرهه ، قيل له إنه
يرق عليه القلب . فقال لا تجلسوا معهم قيل له أيهجرون ؟ فقال لا
يبلغ بهم هذا كله فبين أنه بدعة ثم يعنها القرون العاضلة ، لا في الحجاز ،
ولا في الشام ، ولا في اليمن ، ولا في مصر ، ولا في العراق ، ولا في حراسان ،
ولو كنتم مسلمين به منفعة في دينهم ففعله السلف

ولم يحصره مثل إبراهيم بن أدهم ، ولا الفصيل بن عياض ، ولا
معروف الكرخي ، ولا السري السقطي ، ولا أبو سليمان الداراني ، ولا مثل
الشيخ عبد القادر ، والشيخ عدي ، والشيخ أبي البيان ، ولا لشيخ حياة ،
وغيرهم ، بل في كلام طائفة من هؤلاء - كالشيخ عبد القادر وغيره - السهي
عنه وكذلك أعيان المشائخ

وقد حصره من المشائخ طائفة ، وشرطوا له المكان ، والإمكان ،
والخلال ، والشيخ الذي يحرس من الشيطان وأكثر الدين حصروه من
المشائخ اموثوق بهم رجعوا عنه في آخر عمرهم كالحنيد فإنه حضره وهو
شاب وتركهم في آخر عمره وكان يقول من تكلف السماع فتن به ، ومن
صادفه السماع استراح به فقد دم من يجتمع له ، ورجص فيمن يصادفه
من غير قصد ، ولا اعتماد للحلوس به

وسبب ذلك أنه مجمل ليس فيه تفصيل فإن الآيات المتضمنة لذكر الحب والوصر والهجر والقطيعة والشوق والتتيم والصبر على العدل واللوم ونحو ذلك، هو قور محمل ، يشترك فيه محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، ومحب الإخوان ، ومحب الأوطان ، ومحب النسوان ، ومحب الموالى ، فقد يكون فيه منفعة إذا هيج القاطن ، وآثار الساكن ، وكان ذلك مما يحبه الله ورسوله لكن فيه مضرّة راجحة على منفعته كما في الحمر والميسر ، فإن فيها إثم كبير ، ومنايع للناس ، وإثمهما أكثر من نفعهما (٨٩).

فهذا لم تأت به أنثريفة ، لم تأت إلا بالمصلحة الحاصلة أو الراجعة وأما ما تكون مفسدته غالبة على مصلحته ، فهو بمنزلة من يأخذ درهماً بدينار ، أو يسرق خمسة دراهم ، ويتصدق منها بدرهمين

وذلك أنه يهيج الوجد المشترك ، فيثير من النفس كوامن تصره آثارها ، ومغذى النفس ويفتنها ، فتعتاض به عن سماع القرآن ، حتى لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا الحذاز به ولا استنطابة له ، بل يبقى في النفس بغض لذلك ، واشتغال عنه ، كمن شغل نفسه بتعلم التوراة والإنجيل وعلوم أهل الكتاب ، والصائين واستفادته العلم والحكمة منها ، فأعرض بذلك عن كتاب الله وسنة رسوله (٩٠) إلى أشياء أخرى تطول

فلما كان هذا السماع لا يعطى بنفسه م يحبه الله ورسوله من الإخوان والمعارف ، بل قد يصعد عن ذلك ، ويعطى ما لا يحبه الله ورسوله أو ما يبغضه الله ورسوله ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا سلف الأمة ولا أعيان مثنائها .

ومن نكته أن الصوت يؤثر في النفس بحسنه ، فتارة يفرح ، وتارة

يحزن ، وتارة يغضب ، وتارة يرضى ، وإذا قوى أسكر الروح فتصير في لذة مطربة من غير تمييز كما يحصل للنفس إذا سكرت بالرقص ، ولجسد أيضاً إذا سكر بالطعام والشراب ، فإن السكر هو الطرب الذي يؤثر لذة بلا عقل ، فلا تقوم منفعة بقلك اللذة بما يحصل من عيبه العقل ، التي صمدت عن ذكر الله وعن الصلاة ، وأوقعت العداوة واليغصام

و « بالجملة ، فعلى المؤمن أن يعلم أن النسي - صلى الله عليهم وسلم - لم يترك شيئاً يقرب إلى الحق إلا وقد حدث به ، ولا شيئاً يبعد عن الغار إلا وقد حدث به ، وأن هذا السماع لو كن مصلحة شرعه الله ورسوله ، فإن الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (٩١) ، وإذا وجد فيه منعمة نفعه ، ولم يجد شامداً لك ، لا من الكتب ولا من السنة ، لم يلتفت إليه

فان سهل بن عبد الله انتسرى (٩٢) كل وجد لا يشهد له الكتب والسنة فهو باطل

وقال أبو سيمان الدارني إنه لثلم بقبى المكتة مع نكت القوم فلا أقبلها إلا شاهدين علي الكتاب ، والسنة وقار أبو سليمان أيضاً ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن بفعله ، حتى يجد فيه أثراً ، فإذا وجد فيه أثراً كان نوراً على نور

وقال الحبيب بن محمد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ، ولم يكتب الحديث ، لا يصلح له أن يتكلم في علمنا (٩٣).

و « أيضاً » فإن الله يقول في الكتاب (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) (٩٤) قال السلف من الصحابة والتابعين « المكاء » كالصغير

وضحوه ، من التصويت ، مثل الغناء ، و « التصدية » التصفيق باليد فقد
أشهر الله عن المشركين أنهم كانوا يجعلون التصدية والعناء لهم صلاة ،
وعادة ، وقرية ، يعتاصون به عن الصلاة التي شرعها الله ورسوله

أما المسلمون من المهاجرين والأنصار ولذين اتبعوهم بإحسان -
فصلاتهم وعبادتهم القرآن ، واستماعه ، والركوع والسجود ، وذكر الله
ودعاؤه ، ومعهم ولد مما يحببه الله ورسوله فمن اتخذ الغناء والتصفيق
عبادة وقرية فقد صاهى المشركين في ذلك ، وشبههم فيما ليس من فعل
المؤمنين المهاجرين والأنصار فإن كان يفعل في بيوت الله بعد زاد في
مشابته أكبر وأكبر واشتغل به عن الصلاة وذكر الله ودعاؤه ، فقد
عظمت مشابته لهم وصار له كفل عظيم من الذي دل عليه قوله سبحانه
وتعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)

لكن قد يعر له ذلك لاجتهاده ، أو لحسنات ماحيه ، أو غير ذلك عيما
يفرق فيه (بين) المسلم والكافر لكن مفارقتة للمشركين في غير هذا لا يصح
أن يكون مذموماً خارجاً عن الشريعة ، داخل في السعة التي صاهى بها
المشركين ، فينصاع للمؤمن أن يتفطن لهذا ، ويفرق بين سماع المؤمنين الذي
أمر الله به ورسوله وسماع المشركين الذي نهى الله عنه ورسوله

ويعلم أن هذا السماع المحدث هو من حسن سماع المشركين ، وهو إنيه
أقرب منه إلى سماع المسلمين وإن كان قد غلط فيه قوم من صابغ
المسلمين عار الله لا يضيع أجرهم وصلاتهم لما وقع من خطائهم ، فإن
النبي - صلى الله عليه وسلم - قال « إذا اجتهد الحاكم فأصاب قله أحران ،
وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر واحد »

وهذا كما أن جماعة من السلف قاتلوا أمير المؤمنين علياً متآويل ، وعلى ابن أبي طالب وأصحابه أولى بالحق منهم ، وقد قال فيهم : مَنْ قصد الله فله الجنة

وجماعة من السلف والخلف استحلوا بعض الأشربة بتأويل .. وقد شئت بالكتاب والسنة تحريم ما استحلوه .. وإن كان خطؤهم مغفوراً لهم والذين حضروا هذا السماع من المشائخ الصالحين شرعوا له شروطاً لا توجد إلا نادراً ، فعامة هذه السماعات خارجة عن إجماع المشائخ ، ومع هذا فإخطئوا - والله يعقر لهم خطأهم فيما خرجوا به عن السنة - وإن كانوا معدومين

والسبب الذي أخطأوا فيه أوقع أمماً كثيرة في المنكر الذي نهوا عنه ، وليس للعالمين شرعه ولا منهج ، ولا شريعة ولا طريقة أكمل من الشريعة التي بعث الله بها نبيه محمداً - صلى الله عليه وسلم - كما كان يقول في خطبته « خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم - »

وأما « الرقص » فلم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا أحد من الأئمة ، بل قد قال الله في كتابه (واقصد في مشيك) (٩٥) وقار في كتابه (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً) (٩٦) أي بسكينة ، ووقار

وإما عباده المسلمين الركوع والسجود ، بل الدف والرقص في الطابق لم يأمر الله به ولا رسوله (٩٧) ، ولا أحد من سلف الأمة ، بل أمروا بالقرآن في الصلاة ، والسكينة

ولو ورد على الإنسان حال يغلب فيها حتى يخرج إلى حالة خارجة عن

المشروع ، وكان ذلك الحال بسبب مشروع كسماع القرآن وبحود . سلم إليه ذلك الحال كما تقدم ، عاماً إذا تكلف من الأسباب ما لم يؤمر به ، مع علمه بأنه يوقعه فيما لا يصلح له مثل شرب الخمر مع علمه أنها تسكره وإذا قال ورد على الحال ، وأنا سكران ، قيل له إذا كان السبب محظوراً ، لم يكن السكران معذوراً

هذه الأحوال الفاسدة من كان هيها صادقاً فهو متدع ، ضال ، من جنس حقراء العدو ، وأعوان الظلمة ، من ذوي الأحوال الفاسدة الدين صارعوا عباد النصارى ، والمشركين ، والصائتين ، في بعض ما لهم من الأحوال ومن كان كاذباً فهو منافق ضال

قال سيد المسلمين في وقته الفضيل من عياض - في قوله تعالى (يبلوكم أيكم أحسن عملاً) (٩٨) قال أخلصه ، وأصوبه ، قيل له يا أبا عبي ما أخلصه ؟ وأصوبه ؟ قال إن العمل إذا كان حاصلاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص أن يكون لله ، والصواب أن يكون على السنة .

وكان يقول من قرأ صاحب بدعة فقد أمان على هدم الإسلام ومن زوج كريمة لصاحب بدعة فقد قطع رحمه ، ومن انتهر صاحب بدعة ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً ، وأكثر إشارته وإشارات غيره من المشائخ بالبدعة إنما هي إلى البدع في العبادات والأحوال ، كما قال عن النصارى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبها عليهم) (٩٩) ، وقال ابن مسعود « عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خالياً فاقشعر جلده ، من مخافة الله ، إلا نحأت (١) عنه خطايا كما ينهات الورق اليابس عن

الشجرة ، وما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله خالياً قدمعت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبداً ، وإن اقتصدت في سبيل وسنة خير من اجتهد في خلاف سبيل وسنة ، فاحرصوا أن تكون أعمالكم - إن كانت اجتهداً أو اقتصدت - على متهاج الأنبياء ، وستهم وأما قول القائل هذه شبكة يصاد بها العوام ، فقد صدق ، فإن أكثرهم إنما يتخذون ذلك شبكة لأجل الطعام ، والتواضع على الطعام كما قال الله قبيهم (يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأخيار والرهبان لم يأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) (١١) ومن فعل هذا فهو من أئمة الضلال ، الذين قيل في رؤوسهم (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسل وقالوا ربنا إنما أطعنا سادتنا وكبراءتنا فأضلونا السبيل ربنا آتاهم ضعف من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) (١٢)

وأما الصادقون منهم فهم يتخذونه شبكة ، لكن هي شبكة محرقة ، يخرج منها الصيد إذا دخل فيها ، كما هو الواقع كثيراً ، فإن الذين دخلوا في السماح المنتدع في الطريق ، ولم يكن معهم أصل شرعى شرعه الله ورسوله ، أورثتهم أحوالاً فاسدة (١٣)

وإلى عبادته وصحبته ، وطاعته ، والرغبة إليه ، والتبذل له والتوكل عليه أحسن من الإسلامية ، والشرعية القرآنية ، والمناهج الموصلة الحقيقة الجامعة لمصالح الدنيا والآخرة

وإذا كان غير مشروع ، ولا مأمور به ، فالتطهر ، أو الإنصات له ، واستفتاح باب الرحمة ، هو من جنس عادة الرهبان ، ليس من عبادة أهل الإسلام والإيمان ، ولا عبادة أهل القرآن ولا من أهل السنة والإحسان ، والحمد لله وحده

سُئِلَ

عمر قال إن السماع على الناس حرام وعلى حلال ، هل يفسق في ذلك أم لا ؟

فأجاب ... رضي الله عنه - من ادعى أن المحرمات تحريمًا عامًا ، كالقواحش ، والظلم ، والملاهي ، حرّم على الناس حلال لله فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، ومن ادعى في الدخوف والشباب (١٤) أنهما حرام على بعض الناس دون بعض فهذا مخالف للسنة ، والإجماع ، وأئمة الدين ، وهو ضال من الضالّين ومن تمّ مصرّاً على مثل ذلك كان فاسقاً والله أعلم

سُئِلَ

عن أقوام يرقصون على الغناء بالدف ، ثم يسجد بعضهم لبعض على وجه التواضع هل هذا سنة ؟ أو فعله الشيوخ الصالحون ؟

الجواب : لا يجوز السجود لغير الله ، واتخاذ الصرب بالدف والغناء والرقص عبادة هو من البدع التي لم يفعلها سلف الأمة ، ولا أكابر شيوخها ، كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي (١٥) والسري السقطي ، وغير هؤلاء

وكذلك أكابر الشيوخ المتأخرين مثل الشيخ عبد القادر ، والشيخ عدي (١٦) ، والشيخ أبي مدين (١٧) ، والشيخ أبي البيان ، وغير هؤلاء ، فإنهم لم يحضروا « السماع البدعي » ، بل كانوا يحضرون « السماع الشرعي » سماع الأنبياء ، واتباعهم ، كسماع أنقران والله أعلم

سُئِلَ شَيْخُ الْإِسْلَام :

عن رجل يحب السماع والرقص ، فأشار عليه رجل فقال هذه الآيات

أنكروا رقصاً وقالوا حرام	فعليهم من أجل ذلك سلام
أعبد الله يا فقيه ، وصل	وابزم الشرع فالسماع حرام
بل حرام عليك ، ثم حلال	عند قوم أحوالهم لا تلام
مثل قوم صفو ويار لهم من	جانب الطور جدوة وكلام
فإذا قوبل السماع بلهو	محرام على الجميع حرام

فأجاب :

الحمد لله رب العالمين ، هذا الشعر يتضمن منكراً من القول وزوراً ، بل
أوله يتضمن مخالفة الشريعة وآخره يفتح باب الزبدقة والإلحاد ،
والمخالفة للحقيقة الإلهية الدينية النبوية ، وذلك أن قول القائل

مثل قوم صفوا ويار لهم من جانب الطور جدوة وكلام
يتضمن تمثيل هؤلاء بموسى بن عمران ، الذي نودي من جانب الطور
ولما رأى النار (قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً ، لعل آتيكم منها بحر أو
جدوة من النار لعلكم تصطلون) (١٩)

وهذا قول طائفة من الناس ، يسلكون طريق الرياضة والتصفيه ،
ويظنون أنهم بذلك يصلون إلى أن يحاطبهم الله ، كما خاطب موسى بن
عمران وهؤلاء ثلاثة أصناف

« صنف » يرفعون أنهم يحاطبون بأعظم مما حوَّط به موسى بن
عمران ، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الوحدة والاتحاد ، القائلين بأن
الوجود واحد كصاحب « الفصوص » (١٩) وأمثاله .

فإن هؤلاء يدعون أنهم أعلى من الأنبياء ، وأن انحط الذي يحصل لهم

من الله أعلى مع يحصل لإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - ومعلوم أن هذا الكفر أعظم من كفر اليهود والنصارى ، الذين يفصلون الأنبياء على غيرهم ، لكن يؤمنون ببعض الأنبياء ، ويكفرون ببعض

و « النوع الثاني » من يقول إن الله يكلمه مثل كلام موسى بن عمران ، كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة والمتصوفة ، الذين يقولون إن تكليم موسى عبص فاص على قلبه من العقل الفعال ، ويقولون إن النبوة مكتسبية

و « النوع الثالث » الذين يقولون إن موسى أفصل ، لكن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى ، ولكن موسى مقصوداً بالتكليم دون هذا ، كما يوجد هذا في أخبار صاحب (مشكاة الأنوار) (١١) وكذلك سلك مسلكه صاحب « خلع البعلين » (١٢) وأمثالهما

وأما قوله في أول الشعر لمن يخاطبه « الرم الشرع يا فقيه وصل » ، يشعر بأنك أنت تبج الشرع ، وأما نحن فلما إلى الله طريق غير الشرع ، ومن ادعى أن به طريقاً إلى الله يوصله إلى رضوان الله وكرامته وثوابه غير الشريعة التي بعث الله بها رسوله ، فإنه أيضاً كافر ، يستتاب ، فإن تاب ، وإلا ضربت عنقه ، كطائفة اسقطوا التكليف ورغموا أن العبد يصل إلى الله بلا متابعة الرسال

و « طائفة » يظنون أن الخواص من الأولياء يستغنون عن متابعة محمد - صلى الله عليه وسلم - كما استغنى الخضر عن متابعة موسى ، وجهه هؤلاء أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ومحمد - صلى الله عليه

وسلم - رسول إلى كل أحد ظاهراً وباطناً ، مع أن قصيدة الحضر لم تحالف
شريعة موسى ، بل وافقتها ، ولكن الأسباب المبيحة للفعل لم يكن موسى
علمها ، فلما علمها تبين أن الأفعال توافق شريعته لا تخالفها



وسئل شيخ الإسلام :

علامة الزمان ، تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد
السلام بن عبد الله بن أسى القاسم بن تيمية الحراسي - رضى الله عنه -
عن « جماعة » يجتمعون على قصد الكبائر من القتل ، وقطع الطريق ،
والسرقة وشرب الخمر ، وغير ذلك ثم إن شيخاً من المشايخ المعروفين
بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك ، فلم يمكنه إلا أن يقيم
لهم سماعاً يجمعون فيه بهذه النية ، وهو يدق بلا صلصلة ، وغناء
المغنى بشعر مباح بعيد شجاعة ، فلما فعل هذا قاتل منهم جماعة ، وأصبح
من لا يصلح ويسرق ولا يركى يتورع عن الشبهات ، ويؤدى المفروضات ،
ويحتسب المحرمات فهل يباح فعل هذا السماع لهذا الشيخ على هذا الوجه ،
لما يترتب عليه من المصالح ؟ مع أنه لا يمكنه دعوتهم إلا بهذا ؟

فأجاب الحمد لله رب العالمين

أصر جواب هذه المسألة وما أشبهها أن يُعلم أن الله يعث محمداً صلى
الله عليه وسلم - بالهدى ، ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله
شهيداً وأنه أكمل له ولأمته الدين ، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم
دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) (١١٢) وأنه
بشَّرَ بالسعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه فقال تعالى : (ومن يطلع

الله والرسول أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النحيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (١١٣) وقال تعالى (ومن يعص الله ورسوله فمن له نار جهنم خالدين فيها أبداً) (١١٤)

وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما معناه به ، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) (١١٥) وأخبر أنه يدعو إلى الله وإلى صراطه المستقيم ، كما قال تعالى (قر هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) (١١٦) وقال تعالى (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) (١١٧)

وأخبر أنه يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الصلوات ، ويحرم الخبائث كما قال تعالى (ورحمى وسعت كل شئ فسأكتننها للدين يتقون ويؤتور الزكاة والدين هم بآياتنا يؤمنون ، الدين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعرووه ومصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) (١١٨)

وقد أمر الله الرسول - صلى الله عليه وسلم - بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - في الصحيح أنه قال « ما بعث الله نبياً إلا كان حقاً عليه أن يدخل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم » وثبت عن العرباض

« بن سارية قال » وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة وجلت
 منها القلوب ، ودرعت منها العيون قال فقلنا يا رسول الله كأن هذه
 موعظة مودع ، فإذًا تعهد إلينا ، فقال : أوصيكم بالسمع والطاعة ، فإنه من
 يعيش منكم بعدى فسيرى أحلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
 الراشدين المهتدين من بعدى ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواصي ، وإياكم
 ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة » وثبت عنه - صلى الله عليه وسلم -
 أنه قال « ما تركت من شيء بعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به » وقال
 « قرركم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك »

وتشاهد هذا « الأصل العظيم الجامع » ، من الكتاب والسنة كثيرة ،
 وترجم عليه أهل العلم في الكتب (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة) كما
 ترجم عليه البخارى والبيهقى (١١٩) وغيرهما فمن اعتصم بالكتاب والسنة
 كان من أولياء الله المتقين ، وحرمه الفلحين ، وجنده الغالبين ، وكان السلف
 - كمالك وغيره - يقولون السنة كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف
 عنها غرق ، وقال الزهرى (١٢) كان من مضى من علمائنا يقولون
 الاعتصام بالسنة نجاة

إذا عرف هذا فمعلوم أى ما يهدى الله به الضالين ويرشد به العاوين
 ويتوب به على العاصين ، لابد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب
 والسنة وإلا فإنه لو كان ما بعث الله به الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا
 يكفى في ذلك ، لكان دين الرسول ناقصاً ، محتاجاً تنقمة ، وينبغي أن يعلم أن
 الأعمال الصالحة أمر الله بها أمر إيجاب أو استحباب ، والأعمال الفاسدة
 نهى الله عنها

والعمل إذا اشتمل على مصلحة ومفسدة ، فإن الشارع حكيم ، فإن غلبت مصلحته على مفسدته شرعه ، وإن غلبت مفسدته على مصلحته لم يشرعه ، بل نهى عنه ، كما قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (١٢١) وقال تعالى (يسألونك عن الخمر والمنكر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا) (١٢٢) ولهدا حرمهم الله تعالى بعد ذلك

وهكذا ما يراه الخاس من الأعمال مقرباً إلى الله ، ولم يشرعه الله ورسوله ، فإنه لا بد أن يكون ضرره أعظم من نفعه وإلا فلو كان نفعه أعظم غالباً على ضرره لم يهمله الشارع ، فإنه - صلى الله عليه وسلم - حكيم ، لا يهمل مصالح الدين ، ولا يفوت المؤمنين ما يقربهم إلى رب العالمين .

إذا تبين هذا فنقول للسائل إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعين على الكبائر ، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق السعي يدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة ، أو عاجز عنها ، فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر والفسوق والعصيان بالطرق الشرعية ، التي اغتاهم الله بها عن الطرق البدعية

فلا يجوز أن يقال أنه ليس في الطرق الشرعية التي بعث الله بها نبيه ما يتوب به العصاة ، فإنه قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يخصصه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية ، التي ليس فيهما ما ذكر من الاجتماع البديعي ، بل السابقون

الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان - وهم خير أولياء الله المتقين ، من هذه الأمة - نابوا إلى الله تعالى بالطرق الشرعية ، لا بهذه الطرق البدعية - وأمصار المسلمين ، وقراهم قديماً وحديثاً مملوءة ممن تأب إلى الله واتقاه ، وفعل ما يحبه الله ويرضاه بالطرق الشرعية ، لا بهذه الطرق البدعية

فلا يمكن أن يقال - إن العصاة لا تمكن توبتهم إلا بهذه الطرق البدعية ، بل قد يقال إن في الشيوخ من يكون جاهلاً بالطرق الشرعية ، عاجزاً عنها ، ليس عنده علم بالكتب والسنة ، وما يخاطب به الناس ويستمعهم إياه ، مما يتوب الله به عليهم ، فيعدل هذا الشيخ عن الطرق الشرعية إلى الطرق البدعية ، إما مع حسن قصد ، إن كان له دين ، وإما أن يكون غرضه التراسل عليهم ، وأخذ أموالهم بالباطل ، كما قال تعالى (يأتئسها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) (١٢٣) فلا يعدل أحد عن الطرق الشرعية إلى البدعية إلا لجهل ، أو عجز أو عرض فاسد ، وإلا فمن المعلوم أن سماع القرآن هو سماع النبيين والعارفين والمؤمنين قال تعالى في النبيين (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ، ومن هدينا واحقطينا ، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكياً) (١٢٤) وقال تعالى في أهل المعرفة (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ، مما عرفوا من الحق) (١٢٥) وقال تعالى في حق أهل العلم (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تتلى عليهم يحرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويحرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) (١٢٦) وقال في المؤمنين (إنما

المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم يتفقون أولئك هم المؤمنون حقا) (١٢٧) وقال تعالى (الله يرسل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله) (١٢٨)

وبهذا السماع هدى الله العباد وأصلح لهم أمر المعاش والمعاد ، وبه بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبه أمر المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان وعليه كان يجتمع السلف

وقول السائل وغيره هل هو حلال ؟ أو حرام ؟ لفظ مجمل فيه تليس ، يشتبه الحكم فيه ، حتى لا يحسن كثير من المفتين تحرير الجواب فيه ، وذلك أن اكلام في السماع وغيره من الأفعال على ضربين

أحدهما أنه هل هو محرم ؟ أو غير محرم ؟ بل يفعل كما يفعل سائر الأفعال التي تلذ بها النفوس وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب كسماع الأعراس ، وغيرها ، مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو . لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله

النوع الثاني أن يفعل على وجه السيئة ، والعبادة ، وصلاح القلوب وتجريد حب العباد لربهم ، وتزكية نفوسهم ، وتطهير قلوبهم ، وأن تحرك من القلوب الخشية ، والإنابة ، والحب ورقة القلوب ، وغير ذلك مما هو من جنس العبادات وإطاعات ، لا من جنس اللعب والملهيات

فيصحب الفرق بين سماع المتقربين ، وسماع المتلعبين ، وبين السماع الذي يفعله الناس في الأعراس ، والأفراح ، ونحو ذلك من العادات ، وبين السماع الذي يفعل لصلاح القلوب ، والتقرب إلى رب السموات ، فإن هذا يسأل عنه

هل هو قرينة وطاعة ؟ وهل هو طريق إلى الله ؟ وهل لهم بد من أن يفعلوه لما فيه من رقة قلوبهم ، وتحريك وجدهم لمحبوبهم ، وتركية نفوسهم ، وإزالة القسوة عن قلوبهم ، وبحو ذلك من المقاصد التي تقصد بالسمع ؟ ، كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم عن وجه العبادة والصلاة ، لا على وجه اللهو واللعب

إذا عرف هـ حقيقة السؤال هل يباح للشيوخ أن يجعل هذه الأمور التي هي إما محرمة ؟ أو مكروهة ؟ أو مباحة ؟ قرينة وعبادة وطاعة ، وطريقة إلى الله يدعو بها إلى الله ، ويتوب به العاصين ، ويرشد به الغاوين ويهدي به الضالين ؟

ومن المعلوم أن الدين له « أصلان » فلا دين إلا ما شرع الله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله والله تعالى عاب على المشركين أنهم حرموا ما لم يحرمه الله ، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله

ولو سئل العالم عمن يعدو بين جبلين هل يباح له ذلك ؟ ، قال نعم ، فإذا قيل إنه على وجه العبادة كما يسعى بين الصفا والمروة ، قال إن فعله عني هذا لوجه حرام منكر ، يستتاب فاعله ، فرب تاب وإلا قتل ولو سئل عمن كشف الرأس ، وليس الإزار والبرداء ، أفشى بأن هذا جائز فإذا قيل إنه يفعله على وجه الإحرام ، كما يحرم الحاح قال إن هذا حرام منكر .

ولو سئل عمن يقوم في الشمس . قال هذا جائز فإذا قيل إنه يفعله على وجه العبادة قال هذا منكر كما روى البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - « أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى رجلاً قائماً في الشمس فقال من هذا ؟ ، قالوا هذا أبو إسرائيل يريد أن يقوم في

الشمس ، ولا يقعد ، ولا يستطر ، ولا يتكلم . هذان النسي - صلى الله عليه وسلم - مروه فليتكلم ، وليجلس ، وليستطل ، وليتم صومه ، فهذا لو فعله لرحه أو عرص صباح لم ينه عنه . لكن لما فعله على وجه العبادة بهى عنه وكذلك لو دخل الرجل إلى بيته من خسف البيت ، لم يحرم عليه ذلك ، ولكن إذا فعل ذلك على أنه عبادة ، كما كانوا يفعلون في الجاهلية كان أحدهم إذا أحرم لم يدخل تحت سقف . فنهوا عن ذلك ، كما قال تعالى (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، ولكن البر من اتقى ، وآتوا البيوت من أبوابها) (١٢٩) فبين سبحانه أن هذا ليس ببر ، وإن لم يكن حراماً فمن فعله على وجه البر والتقرب إلى الله كان عاصياً مدموماً ، مبتدعاً ، والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، لأن العاصي يعلم أنه عاص فيتوب ، والمتدع يحسب أن الذي يفعله طاعة فلا يتوب .

ولهذا من حضر السماع للعب واللهو ، لا بعده من صالح عمله ، ولا يرحو به الثواب ، وأما من فعله على أنه طريق إلى الله تعالى فإنه يتحده ديناً ، وإذا سهى عنه كان كمن سهى عن دينه . ورأى أنه قد انقص عن الله ، وحرم نصيبه من الله تعالى إذا تركه . فهؤلاء ضلال باتفاق علماء المسلمين ولا يقول أحد من أئمة المسلمين . إن انحاد هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى أمر لإجماع المسلمين ، ومن نظر إلى طاهر العمل وتكلم عليه ، ولم يفتخر إلى محض العامل ودينه كان جاهلاً متكلماً في الدين بلا علم .

فالسؤال عن مثل هذا أن يعال هل ما يفعله هؤلاء طريق وقربة وطاعة لله تعالى يحبها الله ورسوله أم لا ؟ وهل يثابون على ذلك أم لا ؟ وإذا لم يكن هذا قربة وطاعة وعبادة الله ، ففعلوه على أنه قربة وطاعة وعبادة وطريق إلى الله تعالى ، هل يحل لهم هذا الاعتقاد ؟ . وهذا العمل على هذا الوجه ؟

وإذا كان السؤال على هذا الوجه ثم يكرر للعالم الختبع للرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يقول إن هذا من القرب والطاعات ، وأنه من أنواع العبادات ، وأنه من سبيل الله تعالى وطريقه الذي يدعو به هؤلاء إليه ، ولا أنه مما أمر الله تعالى به عباده لا أمر إيجاب ، ولا أمر استحباب وما لم يكن من الواجبات والمستحبات فليس هو محمودا ، ولا حسنة ، ولا طاعة ، ولا عبادة ، متفق المسلمي

فمن فعل ما ليس بواجب ، ولا مستحب على أنه من حسن الواجب أو المستحب فهو ضال معتدع ، وعمله على هذا الوجه حرام بلا ريب لا سيما كثير من هؤلاء الذين ينخدون هذا السماع المحدث طريقا يقدمونه على سماع القرآن وحداً ونوقا ، وربما قدموه عليه اعتقادا فقجدهم يسمعون القرآن بقلوب لاهية وألسن لاغية ، وحركات مضطربة ، وأصوات لا تقبل عليه قلوبهم ، ولا ترتاح إليه نفوسهم ، فإذا سمعوا « المكاء » و « التصديعة » أصغت القلوب ، واتصل الحب بالمحبوب (١٢) وحشعت الأصوات ، وسكنت الحركات ، فلا سعة ، ولا عطاس ، ولا لعط ، ولا صياح ، وإن قرأوا شيئا من القرآن ، أو سمعوه كان على وجه التكلف والسحرة ، كما لا يسمع الإنسان ما لا حاجة له به ولا فائدة له فيه ، حتى إذا ما سمعوا مرمار الشيطان أحبوا ذلك ، وأقبلوا عليه ، وعكفت أرواحهم عليه

فهؤلاء جند الشيطان ، وأعداء الرحمن ، وهم يظنون أنهم من أولياء الله المتقين وحابهم ، أشبه بحال أعداء الله المنافقين ، فإلى المؤمن يحب ما أحبه الله تعالى ، ويبغض ما أبغض الله تعالى ، ويوالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله ، وهؤلاء يحبون ما أبغض الله ويبغضون ما أحب الله ، ويوالون أعداء الله ، ويعادون أولياءه ، ولهذا يحصل لهم تنزلات شيطانية بحسب ما فعلوه من

مرامير الشيطان وكلما بعدوا عن الله ورسوله وطريق المؤمنين قربوا من أعداء الله ورسوله وخذ الشيطان فيهم من بطر في الهواء والشيطان طائر به ، ومنهم من يصرع الحاصرين وشياطينه تصرعهم ، وفيهم من يحضر طعاما ، وإداما ويملا الإبريق من الهواء والشياطين فعلت ذلك فيحسب الجاهلون أن هذه من كرامات أولياء الله المتقين ، وإنما هي من جنس أحوال الكهنة والسحرة وأمثالهم من الشياطين ومن يميز بين الأحوال البرحمانية والنفسانية والشيطانية لا يشتبه عليه الحق بالباطل

سُئِلَ شيخ الإسلام

عن يقول إن بعض المشائخ إذا أقام السماع يحضره رجال الغيب ، وينشق السقف والحيطان ، وتنزل الملائكة ترقص معهم ، أو عليهم وفيهم من يعتقد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يحضر معهم فماذا يجب على من يعتقد هذا الاعتقاد ؟ وما هي صفة رجال الغيب ؟

فأجاب وأما من زعم أن الملائكة أو الأنبياء تحضر « سماع المكاء والتصدية » محبة ورغبة فيه فهو كاذب مفتر ، بل إنما تحضره الشياطين ، وهي التي تنزل عليهم ، وتنفخ فيهم ، كما روى الطبراني وغيره عن ابن عباس مرفوعا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - « إن الشيطان قال يارب اجعل لي بيتا قال بيتك احمام قال اجعل لي قرآنا قال قرآنك الشعر قال يارب اجعل لي مؤذنا قال مؤذنتك المزمار » وقد قال الله تعالى في كتابه

محاطاً بالشيخان (واستفرد من استطعت منهم بصوتك) (١٢) ، وقد فسر ذلك طائفة من السلف بصوت الغناء ، وهو شامل له ولغيره من الأصوات المستفزة لأصحابها عن سبيل الله وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « إنما نهيت عن صوتين أحمرين هاجرين صوت لهُو ، ولعب ، ومرامير الشيطان ، وصوت لطم حدود أو شق جيوب وسعاء بدعوى الحاهلية » (١٣) ، كقولهم « انهفاه » و« اكبداه » و« اصيراه »

وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحصور الشياطين في مجمع السماع الجاهلية ذات المكاء ، والتصدية وكيف يكر التمسك عندهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني ، حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤوس الحاصرين ، ورأى بعض المشائخ المكاشفين أن شيطانه قد احتمله حتى رقص به ، فلما صرح بشيطانه هرب ، وسقط ذلك الرجل

وهذه الأمور لها أسرار ، وحقائق لا يشهد بها إلا أهل البصائر الإيمانية والمشاهد الإيمانية ، ولكن من اتسع ما جاءت به الشريعة ، وأعرض عن سبيل المتدعة ، فقد حصل له الهدى ، وحبر الدنيا والآخرة ، وإن لم يعرف حقائق الأمور بمنزلة من سلك السبيل إلى مكة خلف الدليل الهادي ، فإنه يصل إلى مقصوده ، ويحد الراد والماء في مواعينه ، وإن لم يعرف كيف يصل ذلك وسببه ، ومن سلك خلف غير الدليل الهادي كان صاعداً عن الطريق فلما أن بهلك وإما أن يشقى مدة ثم يعود إلى الطريق

و « الدليل الهادي » هو الرسول الذي بعثه الله إلى الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً ميراً وهادياً إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض .

وأثار الشيطان تطهر في أهل السماع الجاهل مثل الإزباد ، والإرغاء ،
والصراخات المبكرة ونحو ذلك مما يضارع أهل الصرع الذين يصرعهم
الشيطان ولذلك يجدون في نفوسهم من ثوران مراد الشيطان بحسب
الصوت إما وجداً في الهوى المذموم وإما غصب وعدوان على من هو
مظلوم ، وإما لطم وشق ثياب وصياح كصياح المحرور المحروم ، إلى غير
ذلك من الآثار الشيطانية التي تعترى أهل الاجتماع على شرب الخمر إذا
سكروا بها . فإن السكر بالأصوات المطربة قد يصير من جنس السكر
بالأشربة المطربة ، فيصددهم عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويمنع قلوبهم
حلاوة القرآن ، وفهم معانيه ، وإبغاعه فيصيرون مصارعين للذين يشترور
لهو الحديث ليضعفوا عن سبيل الله ويوقع بينهم العداوة والبغضاء حتى
يقتل بعضهم بعضاً بأحواله الفاسدة الشيطانية ، كما يقتل العائن (١٣٢) من
أصابعه بعينه

ولهذا قال من قال من العلماء إن هؤلاء يحب عليهم القود والدية
والقصاص ، إذا عرف أنهم قتلوا بالأحوال الشيطانية الفاسدة ، لأنهم
ظالمون . وهم يقتطون بما يفتنونه من مراداتهم المجرمة . كما يفتبط
الظلمة المسلطون أ هـ



الهوامش

- (١) نسخة اعتقدين، بدل المتفرقع، والمتأخرين، بدل المتعبيين
- (٢) مريم ٥٨
- (٣) لأعقل ٣
- (٤) لاسره ١٠٧ - ١٠٩
- (٥) المائة ٨٣
- (٦) الأعراف ٢٠٤
- (٧) الرمر ١٧ - ١٨
- (٨) المؤمنون ١٨
- (٩) محمد ٢٤
- (١٠) ص ٢٩
- (١١) لقمان ٧٠
- (١٢) فصلت ٢٦
- (١٣) العرفان ٣٠ - ٣١
- (١٤) البدر ٤٩ - ٥١
- (١٥) غصت ٥
- (١٦) النساء ٤١
- (١٧) الإسراء ٤٥ - ٤٦
- (١٨) آل عمران ١٦٤
- (١٩) النمل ٩١ - ٩٢
- (٢٠) الأعراف ٣٥
- (٢١) الأنعام ١٣٠
- (٢٢) الرمر ٧١
- (٢٣) طه ١٢٢ - ١٢٦
- (٢٤) الرحرف ٣٦
- (٢٥) الأنبياء ٥
- (٢٦) الأعراف ١٩
- (٢٧) الحجر ٦
- (٢٨) الأنبياء ٢
- (٢٩) الرحرف ٤٤
- (٣٠) ص ٨٧
- (٣١) يس ٦٩
- (٣٢) الأنفال ٣٥.

(٢٣) محمد بن طاهر بن علي أحمد المقدسي الشيباني (٤٤٨ - ٥٠٧ هـ - ١٠٥١ - ١١١٣ م) من حفاظ الحديث ، والرحالة المؤرخين . كان ظاهري المذهب في الفقه ، وله أثر عديدة في الحديث وعلومه

(٢٤) عمر بن محمد بن عبد الله بن عمرو ، أبو حفص شهاب الدين (٥٣٩ - ٦٣٢ هـ - ١١٤٥ - ١٢٢٤ م) ، فقيه شافعي ، ومفسر ، وواعظ . ومن كبار الصوفية ترك آثاراً في التفسير والتصوف

(٢٥) القفال ، في هذا الحديث ، يرى التصديق ربي التسييح تقطع بأن المقام هو مقام اتصال ، والنساء ينهين الإمام عن خطأ القراءة في الصلاة بالتصديق ، والرجال يجهلون بالتصديق فلا يستشهدون به هذا خارج عن إطار النور والحرارة

(٢٦) يزيد بن هارون بن رباح بن ثابت ، أبو خالد (١١٨ - ٢٠٦ هـ - ٧٢٦ - ٨٢١ م) من ثقات حفاظ الحديث

(٢٧) أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله (١٦٤ - ٢٤١ هـ - ٧٨٠ - ٨٥٥ م) أحد الأئمة الأربعة وإمام أهل الحديث

(٢٨) إبراهيم بن آدم بن منصور ، أبو إسحاق (١٦١ هـ - ٧٧٨ م) من مشاهير الرهاد ، والعقهاء

(٢٩) لقصيل بن عياض بن مسعود التميمي أبو علي (١٠٥ - ١٨٧ هـ - ٧٢٣ - ٨٠٣ م) من كبار العباد الصالحين ، ثقة في الحديث . كان شيخاً للحرم المكي وهو من أساتذة الإمام الشافعي

(٤٠) معروف بن هرون الكرخي ، أبو محفوظ (٢٠٠ هـ - ٨١٥ م) أحد كبار الرهاد والمتصوفة

(٤١) عبد الرحمن بن أحمد بن عصبة العنسي المدحجي ، أبو سليمان (٢١٥ هـ -

٨٣٠م) من كبار المتصوفة والره.

(٤٢) أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري (٢٢٠ هـ - ٨٤٥ م) من كبار المتصوفة والرهاد.

(٤٣) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن يوسف بن الحسين أبو محمد ، من النجاشي الحيلاني ، أو الكيلاني (٤٧١ - ٥٦١ هـ - ١٠٧٨ - ١١٦٦ م) من كبار الرهاد و المتصوفة ومؤسس الطريقة القادرية

(٤٤) أبو البهاء بن محمد بن محفوظ القرشي - ويعرف أيضاً بن أبي الحوراسي (٥٥١ هـ - ١١٥٦ م) متصوف وراهب ، وفقيه شافعي وهو شيخ الطريقة البهائية الصوفية

(٤٥) أحمد بن يحيى بن إسحاق ، أبو الحسين الراوندي (٢٩٨ هـ - ٩١ م) أحد الفلاسفة المشاهير بالعلماء ، من كتبه (عصيدة المعتزلة) الذي رد عليه الجاحظ بكتبه (عصيدة المعتزلة)

(٤٦) محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ - ٨٧٤ - ٩٥ م) من كبار فلاسفة المسلمين والمعروف بالعلم الثاني

(٤٧) الحسين بن عبد الله بن سعيد ، أبو علي (٣٧ - ٤٢٨ هـ - ٩٨ - ٢٧ م) من أشهر فلاسفة المسلمين والملقب بالشيخ الرئيس

(٤٨) محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الرازي السهمي النيسابوري ، أبو عبد الرحمن (٣٢٥ - ٤١٣ هـ - ٩٣٥٦ - ١٠٢١ م) من كبار المتصوفة وله في المتصوف آثار كثيرة

(٤٩) هو سيف الدولة الحمداني عمر بن عبد الله بن حمدان أبو الحسن (٣٠٣ - ٣٥٦ هـ - ٩١٥ - ٩٦٧ م) من أشهر أمراء الدولة الحمدانية .

(٥) (٢٨٤ - ٣٢٢ ق م) فيلسوف يوناني الأشهر ، والمعروف بالعلم الأول .

(٥١) (٤١٢ - ٤٨٥ م) عيسى بن يوسف أفلاموسى محدث - درس في الإسكندرية ، وسار

رئيساً للأكاديمية الأفلاطونية بأثينا

(٥٢) من فلاسفة اليونان في القرن الثامن وهو من أهم شراح أرسطو

(٥٣) هو الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق م) صاحب الفتوحات الشهيرة في الشرق

(٥٤) عرقة مرجئة ، وجيرية ، تنسب إلى رعيمة الجهم بن صعوان السمرقندي ، أبو

محرر (١٢٨ هـ - ٧٤٥ م)

(٥٥) من الشيعة الإمامية ، عتقوا عن الإثني عشرية بقولهم إن الإمام بعد جعفر

الصديق هو ابنه إسماعيل ، وليس موسى الكاظم وهم يتميرون بالإغراق في

الباطنية والتأثيرات اليونانية

(٥٦) فرع من الشيعة الإسماعيلية يقولون إن الإمام بعد جعفر بن محمد هو محمد

ابن إسماعيل

(٥٧) هم من الشيعة الإسماعيلية - كونوا جماعة سرية - باطنية - بالمصرة في القرن

الرابع الهجري وفكرهم جديد من الباطنية ايعوضية والفلسفة اليونانية

والإسلام وواضح هنا ، تركيز ابن تيمية الهجوم على الباطنية بعضها

لمختلفة.

(٥٨) المائة ١٤ (٥٩) الأعمام ١٥٣ (٦٠) القوة ١

(٦١) قد سبق في بصوص هذا « الملحق » - بقدر ابن حزم لسيد هذا الحديث

(٦٢) طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ، أبو الصيب (٣٤٨ - ٤٥ هـ - ٩٦٠ -

١٠٥٨ م) فاضل ، ومقيه شافعي .

(٦٣) إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، أبو إسحاق (٣٩٢ - ٤٧٦ هـ - ١٠٠٣ -

١٠٨٢ م) من مواع علماء الشريعة والإفتاء والمباطرة في عصره

(٦٤) وكريم بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدي الندي البصري الساجي أبو يحيى (٢٢٠ - ٧ ٣ هـ - ٨٣٥ - ٩٢٠ م) من المحدثين والمصنفات الثقات ومن آثاره (علل الحديث) و (اختلاف الفقهاء)

(٦٥) في الأصل « لشقيرى - وهو خطأ - وأبو القاسم القشيري هو عبد الكريم بن هوارى (٢٧٦ - ٤٦٥ هـ - ٩٨٦ - ١٠٧٢ م) عالم وهد له آثار في التفسير والتصوف اشتهر منها رسالة القشيرية .

(٦٦) أى (الرسالة القشيرية)	(٦٧) الشورى ٢١
٦٨ الأعراف ٢٨ - ٢٩	(٦٩) الأعراف ٢٢ - ٢٣
(٧٠) مريم ٥٨	(٧١) الإسراء ١٠٧ - ٩
(٧٢) المائدة ٨٣	(٧٣) الأفعال ٢ - ٤
(٧٤) الأعراف ٢٤	(٧٥) الأحقاف ٢٩
(٧٦) الرمر ٢٣	(٧٧) الرمر ٢٨
(٧٨) فصلت ٢٦	(٧٩) الفرقان ٧٣
(٨٠) المدثر ٤٩	(٨١) النكهف ٥٧
(٨٢) الأفعال ٢٣ - ٢٢	(٨٣) لقمان ٧
(٨٤) الإسراء ٧٨	(٨٥) الأنشاق ٢
(٨٦) النقرة ٧٤	(٨٧) الحديد ١٦

(٨٨) يعف من تيمية من بالحكم عند « انكراة » لا « التبريم » ، والملة عند أنه

محدث لكن ، من اليأس في الحديث ، إذ لم يكن الإحدث في العبادات الدينية ، في

رأينا أنه لا بأس حتى بمنطق ابن تيمية الذي سبق وتحدث عنه

(٨٩) قياس ابن تيمية هذا ، ما في السماع من مبيعة وضرر ، على الجمر والميسر وفيهما

متابع وإثم - هذا القياس فيه نظر - فالحمر والميسر حرام وإثم ، عيهما متابع أما
 لساع فهو متاح قد يعرض به ما يجعله مكروفاً أو حراماً - فالأصل فيه الحل
 والإباحة ، بينما الأصل في الحمر والميسر الحرمة ، لأنهما من الفواحش وكناثر
 الآثام !

(٩٠) وأصح أن هذا هو السماع « العبادة - السدعة » ، وليس اللهو الذي رخص فيه رفعاً
 لمخرج عن الناس

(٩١) المائدة ٣

(٩٢) سهل بن عبد الله بن يوسف النستري ، أبو محمد (٢٠٠ - ٢٨٣ هـ - ٨١٥ -
 ٨٩٦ م) أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، له آثار في التصوف والتفسير
 (٩٣) هذا إذا كان الأمر شرعاً وديناً - أي لاند له من شاهد في الكتاب أو السنة ، أما ما
 ليس شرعاً وديناً فيكفي فيه أن يكون على أصل الإباحة

(٩٤) الأنفال ٣٥ (٩٥) لقمان ١٩ (٩٦) الفرقان ٦٢

(٩٧) ليس هناك من يقول إن الرقص مأثور به شرعاً ، من الله ورسوله ثم إن
 الاستشهاد بالآية التي تأمر بالمسكينة والوقار في المشى هو استشهاد في غير
 موضعه ، فالرقص شيء والحديث عن المشى شيء آخر ثم ، هل الحديث في
 الرقص هو حديث عن « عبادة » ، حتى يقال « إنها الركوع والسجود » ؟

(٩٨) هو ٧ (٩٩) الحديد ٣٧

(١٠٠) أي انحطت ورأت عنه حظاياه ، كما يروى ويتساقط أبورق عن أشجار

(١٠١) التوبة ٣٤ . (١٠٢) الأجراب ٦٦ - ٦٨

(١٠٣) بياض بالأهمل ، بعد كلمات عديدة و « أحسن من » ي « المقامح »

(١٠٤) مغلها شاة - يفتح الشين و بناء المشددة - نوع من المرمار

(١٠٥) معروف بن قيرور الكرجي أبو محفوظ (٢ هـ - ٨١٥ م) أحد أعلام الصوفية ورفادهم

(١٠٦) هو عدى بن مساهر بن إسماعيل الهكاري شرف الدين ، أبو الغصائر (٢١٧ هـ -

٥٥٥٧ هـ - ١٠٧٤ - ١١٦٢ م) من شيوخ التصوفة وسلكهم ، وإليه تنسب

الطائفة العدوية

(١٠٧) أبو مدني القلمسي شبيب بن الحسن الأندلسي (٥٩٤ هـ - ١١٩٨ م) من

مشاهير الصوفية بالمغرب

(١٠٨) القصص ٢٩

(١٠٩) الإشارة إلى كتاب فصوص الحكيم ، لتشيخ الصوفية الأكبر محي الدين بن عربي

(٥٦ - ١٢٨ هـ - ١١٦٥ - ١٢٤٠ م)

(١١) هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي

(١١١) الإشارة إلى كتاب (حلق النملين في الوصول إلى حصرة الجمع) لأبي القاسم

أحمد ابن هسي الأندلسي (٥٤٥ هـ - ٩١٥٠ م)

(١١٢) أمثلة ٣ (١١٢) النساء ٦٩

(١١٤) الحس ٢٣ (١١٥) النساء ٥٩

(١١٦) يوسف ١٠٨ (١١٧) الأعراف الشوري ٥٢.٥٢

(١١٨) الأعراف ١٥٦، ١٥٧

(١١٩) أبو القاسم اليعقوبي عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرباني (٢١٣ هـ -

٢١٧ هـ - ٨٢٧٨ - ٩٢٩ م) من العلماء الحفاظ له آثار في التفسير والحديث

(١٢) أبو عبد الله المصري ، محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم الزهري (٢٤٩ هـ -

٨٦٣ م) من حفاظ الحديث ومن آثاره في علومه (كتاب الصغفاء)

(١٢١) النقرة ٢١٦ (١٢٢) النقرة ٢١٩

(١٢٣) التوبة ٣٤ (١٢٤) مريم ٥٨

(١٢٥) أمثلة ٨٢ (١٢٦) الإسراء ١٧ - ١٩

- (١٢٧) الأنفال ٢ - ٤ (١٢٨) الزمر ٢٢
 (١٢٩) البقرة ١٨٩ (١٣٠) في الأصل « المحبوب بالمحب »
 (١٣١) الإسراء ٦٤
 (١٣٢) يقول ابن حزم في نقد رواية هذا الحديث - في (المحبي) - هو « حديث لا يدري له طريق » يساء ذكره هكذا مطلقاً . « انظر عسرته في مكانها من ملحق هذا الكتاب
 (١٣٣) العائش هو الحاسد بالعين

المصادر

● القرآن الكريم .

● كتب السنة النبوية .

- ١ - (صحيح البخارى) طبعة دار الشعب - القاهرة
- ٢ - (صحيح مسلم) طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
- ٣ - (سنن الترمذى) طبعة القاهرة سنة ١٩٢٧ م
- ٤ - (سنن النسائى) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٤ م
- ٥ - (سنن أبى داود) طبعة القاهرة سنة ١٩٥٢ م
- ٦ - (سنن ابن ماجه) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢ م
- ٧ - (سنن الدرامى) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ م
- ٨ - (مسند الإمام أحمد) طبعة القاهرة سنة ١٣١٣ هـ
- ٩ - (الموطأ) - للإمام مالك - طبعة دار الشعب ، القاهرة

● معاجم القرآن والسنة .

- ١ - (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) وضع محمد مؤاد عبد الباقي طبعة دار الشعب القاهرة
- ٢ - (معجم ألفاظ القرآن الكريم) وضع مجمع اللغة العربية - مصر - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠

- ٣ - (المعجم الممهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف) وضع وينسك (أى) وأحريين طبعة ليدرسنة ١٩٣٦ - ١٩٦٩ م
- ٤ - (مفتاح كنوز السعة) وضع وينسك (أى) ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي طبعة لاهور سنة ١٢٩١ هـ - ١٩٧١ م .

● الكتب الأخرى

- ابن تيمية • (مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) طبعة المملكة العربية السعودية - على نفقة الملك خالد بن عبد العزيز (مجموعة الرسائل الكبرى) - طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هـ - (مبهاج السنة النبوية) طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢ م
- ابن حجر المكي الهيتمي (كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع) - طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- ابن حزم الأندلسي (رسائل ابن حزم) تحقيق د . إحسان عباس طبعة بيروت سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م
- (المسنى) طبعة القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ
- ابن سعد • (الطبقات الكبرى) طبعة دار التمهير - القاهرة
- ابن القيم رافى : (كتاب السماع) تحقيق أبو الوفا المرازى طبعة القاهرة سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
- ابن الكلبي (كتاب الأصنام) طبعة القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر
- ابن منظور : (لسان العرب) طبعة دار المعارف - القاهرة .
- أحمد محمد منصور - وآخرين (دليل المطبوعات المصرية - ١٩٤٠ -

- ١٩٥٦ م) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٥
- ثروت عكاشة (دكتور) (التصوير الإسلامى) طبعة بيروت سنة ١٩٧٧ م
- (معراج دامة) طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧ م
- الجرجاني - الشريف (التعريعات) طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨
- رورنتال (م) - وآخرين (الموسوعة الفلسفية) ترجمه سمير كرم طبعة بيروت سنة ١٩٧٤ م
- الزركلى حيراندين : (الأعلام) طبعة بيروت سنة ١٩٦٩ م
- سركيس - يوسف إيلير (معجم المطبوعات العربية والمصرية) طبعة القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م
- الشاطبي - أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (الاعتصام) تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هـ
- الشعراني (الطبقات الكبرى) طبعة صبيح - القاهرة - بدون تدرج
- الشوكاني - محمد بن علي - (نيل الأوطار) طبعة بيروت سنة ١٩٧٣
- الطهطاوى - رفاعة رافع - (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق د محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٣ م
- عائدة نصير (الكتب ابعربية التى نشرت فى مصر - ١٩٢٦ - ١٩٤٠) طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠ م
- عبد الرحمن بدوى (دكتور) - (موسوعة الفلسفة) طبعة بيروت سنة ١٩٨٤ م
- عبد الغنى النابلسى (الشيخ) (إيصاح الدلالات فى سماع الآلات)

- تحقيق أحمد راتبه حموش . طبعة دمشق سنة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
- على مبارك (باشا) (الخطط النوفيقية) طبعة بولاق سنة ١٣٠٦ هـ -
(الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق د محمد عمارة طبعة بيروت سنة
١٩٨٠ م
- عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين) طبعة دمشق سنة ١٣٧٦ هـ -
١٩٥٧ م
- (معجم مصنفى الكتب العربية) طبعة بيروت سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- الغزالي - أبو حامد (إحياء علوم الدين) طبعة دار الشعب - القاهرة
(المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى) طبعة القاهرة سنة ١٩٦١ م
- فؤاد أفرام البسقاشي - وآخرين (دائرة المعارف) طبعة بيروت سنة
١٩٥٦ م .
- الفيروز آبادي (القاموس المحيط) طبعة بيروت سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- القرافي - أحمد بن إدريس (الأحكام في التمييز ما بين الفتاوى والأحكام
وتصرفات القاضى والإمام) تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة طبعة حلب
سنة ١٩٦٧ م
- (شرح المحصور) طبعة القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ -
القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) طبعة دار الكتب المصرية
- مجمع اللغة العربية - القاهرة (المعجم الفلسفى) طبعة القاهرة سنة
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
- (المعجم الوسيط) طبعة القاهرة سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م
- محمد عبده (الأستاذ الإمام) (الأعمال الكاملة) دراسة وتحقيق د

- محمد عماره طبعه بيروت سنة ١٩٧٢
- محمد عمارة (دكتور) (الإسلام وعضايا العصر) طبعه بيروت سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م
- (معارك العرب ضد الغزاة) طبعه دمشق سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
- (الغزو الفكري وهم أم حقيقة) طبعه دار الشروق - القاهرة سنة ١٩٨٩ م
- محمد غمازي عرابي (النصوص في مصطلحات الصوفية) طبعه دمشق سنة ١٩٨٥ م
- المقريزي (كتاب النقود القديمة الإسلامية) تحقيق الأب أنستس ماري الكرمل - ضمن كتاب (النقود العربية وعلم السميات) طبعه القاهرة - سنة ١٩٣٩ م
- هنري كريان (السهروردي المقتول ، مؤسس المذهب الإشراقي) ترجمة د عبد الرحمن بدوي ضمن كتاب (شخصيات قلقة في الإسلام) طبعه القاهرة سنة ١٩٦٤ م
- يوسف كرم - وآخرين - (المعجم الفلسفي) طبعه القاهرة سنة ١٩٧١ م



الفهرس

٥	تقديم :
١٣	الفصل الأول : المسلم والجمال
٢٧	الفصل الثاني : جماليات السماع
٥٦	وأدوات الموسيقى
٦٣	الفصل الثالث : إذن... فيما الخلاف ؟
١٠٩	الفصل الرابع : جماليات الصور
١٠٩	في القرآن الكريم
١١٧	والسنة النبوية
١٣٠	وموقف الفقهاء
١٣٦	وفي العصر الحديث
١٤٥	وأخيرًا :
١٥١	ملحق : (نصوص في الغناء والسماع
١٥٢	(أ) ابن حزم الأندلسي
١٨٥	(ب) أبو حامد الغزالي
٢٣٧	(ج) ابن تيمية : مسألة السماع
٢٩١	المصادر :

رقم الإبداع : ٩١ / ٢٢٠٠

الترقيم الدولي : ٩٧٧-٠٩-٠٠٣٨-٩

مطابع الشروفس

الطبعة الأولى : ١٦ شارع جواد حسن - طابف ٣٩٢٩٨١٤ - ٣٩٢٩٨٧٨

طبع في : ص ب ٨٠٩٤ - طابف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٧٦٣

الاسلام والعقود العائلية

● تكون العائلة في الدين مستعينة في فهم هذه الكميات. أمثلة من القرآن والسنة -
من أن هذه العائلة صغيرة ولا حصة في أصول الإسلام واحتياجات المسلمين ١٢
التي لا يمكن أن تكون إلا في الأصلية في الدين. في هذا المجال، فإن الأسرة

تستفيد من الوصية - بأن الأسرة الصغيرة تستفيد من الوصية. أمثلة من القرآن والسنة -
الأسرة التي تتكون من ثلاثة أشخاص. في هذه الحالة، فإن الأسرة التي تتكون من ثلاثة أشخاص

To: www.al-mostafa.com